المعجزة الأولى

تحويل الماء إلى خمر

«1وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ. 2وَدُعِيَ أَيْضاً يَسُوعُ وَتلاَمِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ. 3وَلَمَّا فَرَغَتِ الْخَمْرُ قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ». 4قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ! لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». 5قَالَتْ أُمُّهُ لِلْخُدَّامِ: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ». 6وَكَانَتْ سِتَّةُ أَجْرَانٍ مِنْ حِجَارَةٍ مَوْضُوعَةً هُنَاكَ حَسَبَ تَطْهِيرِ الْيَهُودِ، يَسَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِطْرَيْنِ أَوْ ثلاَثَةً. 7قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «امْلأُوا الأَجْرَانَ مَاءً». فَمَلأُوهَا إِلَى فَوْقُ. 8ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «اسْتَقُوا الآنَ وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْمُتَّكَإِ». فَقَدَّمُوا. 9فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْمُتَّكَإِ الْمَاءَ الْمُتَحَوِّلَ خَمْراً وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هِيَ – لَكِنَّ الْخُدَّامَ الَّذِينَ كَانُوا قَدِ اسْتَقَوُا الْمَاءَ عَلِمُوا – دَعَا رَئِيسُ الْمُتَّكَإِ الْعَرِيسَ 10وَقَالَ لَهُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَضَعُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلاً، وَمَتَى سَكِرُوا فَحِينَئِذٍ الدُّونَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الآنَ». 11هَذِهِ بِدَايَةُ الآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ فَآمَنَ بِهِ تلاَمِيذُهُ» (يوحنا 2: 1–11).

جرت هذه المعجزة في حفل عُرس في قرية قانا التي تبعد نحو عشرة كيلو مترات عن مدينة الناصرة. ودُعي المسيح وتلاميذه للعرس. أغلب الظن أن أصحاب العرس كانوا من أقرباء العذراء المكرَّمة.. وانتهت الخمر التي تُقدَّم للمدعوين. وواجه أصحاب الفرح أزمة، فلو لم يقوموا بواجب الضيافة لحدث حرجٌ كبير. وجاءت مريم أم يسوع إليه تقول: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ». فطلب من الخُدام أن يملأوا أجران الماء، وحوَّل الماء الذي فيها إلى خمر، وسدد الأعواز. وهذا شأنه دائماً.

المعجزة الأولى التي أجراها المسيح كانت في حفل بسيط لقومٍ فقراء. وتبدأ القصة بالقول: «وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ». هذا يعني أن يومين مُهمَّين سبقا هذا اليوم الثالث. أولهما ورد ذكره في يوحنا 1: 35 عندما وجد يوحنا وأندراوس يسوع فتبعاه بناءً على شهادة يوحنا المعمدان له، ثم جاء أندرواسُ ببطرس أخيه للمسيح. أما اليوم الثاني فورد ذكره في يوحنا 1: 43 عندما وجد المسيحُ فيلبس، ووجد فيلبسُ نثنائيل.

وفي اليوم الثالث دُعي يسوع وتلاميذه إلى عرس قانا الجليل، ولا بد أن هؤلاء الخمسة صاحبوا المسيح إلى وليمة العُرس، وفي قلوبهم ابتهاج الخلاص. والمسيح يشاركنا أفراحنا، ولا يفصل بين أفراح الروح بقبوله مخلِّصاً، وبين أفراح الزفاف إذ يشارك العائلات أفراحها.

وفرغَت الخمر.. قال بعض المفسرين إن ذهاب المسيح وتلاميذه الخمسة زاد عدد الضيوف، ولذلك لجأوا إليه! ولكني لا أتفق مع هذا التفسير، فقد دُعي المسيح وتلاميذه للعرس. أغلب الظن أن أصحاب الفرح كانوا فقراء، وفكروا بالتمنّي أن ما عندهم من خمر يكفي القادمين، ولكن المدعوّين استهلكوا أكثر مما قدَّر أصحاب العرس!

أولاً: المحتاجون للمعجزة

1- العروسان:

حفل الزفاف أسعد أيام العروسين. كان اليهود يُطلقون على العريس «الملك» وعلى العروس «الملكة». وأية طلبة للعروسين كانت تُجاب فوراً. أغلب الظن أن أحداً لم يُخبر العريس أن الخمر قد انتهت لأنهم لم يريدوا أن يُفسدوا عليه سعادة الزفاف. كان محتاجاً ولا يعلم. ما أكثر المرات التي نكون فيها محتاجين ولا نُحس أننا محتاجون! لكن يجب أن نشعر بالعطش قبل أن نطلب ماء الحياة، وبالجوع قبل أن نطلب الخبز الحيّ. يجب أن نشعر بخطيتنا قبل أن نلجأ لطلب الغفران والخلاص. ما أخطر موقف المحتاج الذي لا يُدرك أنه محتاج! أحياناً يمنع عنا أقرب الناس إلينا أخبار احتياجنا لأنهم يحبوننا. ولو أنهم يحبوننا فعلاً محبة عاقلة لأبلغونا فوراً بما نحتاجه لنطلبه من الرب.

2- أهل العروسين:

أحسُّوا بالحاجة فلجأوا إلى العذراء القديسة مريم. فقالت مريم أم يسوع له: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ». قدمت الطلب في صورة خبر، وليس في صورة أمر. هذا ما فعلته بعد ذلك أختان محبوبتان للمسيح، مريم ومرثا، عندما كان أخوهما لعازر مريضاً، فأرسلتا إليه خبراً (يوحنا 11: 3).

ما أجمل أن ندرك أن المسيح يعرف ما نحتاج إليه قبل أن نسأله، ويمكن أن نقدم له احتياجنا في صورة خبر: «ليس لنا خلاص. ليس عندنا مال. أبناؤنا يمتحنون. ابني مريض. قريبي في مأزق».

كان أهل العريس يدركون واجب الضيافة. لا بد من الخمر! وكان الربيون يقولون: «السُكر بالخمر فضيحة. لكن لا فرح بدون شرب خمر. نشرب بدون أن نسكر».

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- العذراء مريم:

عندما وجدت أن الأمور تتأزَّم وتسير في الاتجاه الخطأ لجأت إليه، وهي بهذا تعلمنا أن نلجأ إلى المسيح لأنه ملجأنا الحقيقي وعوننا الأول. قبل أن نلجأ إلى طبيب لنلجأ له. قبل أن نلجأ إلى محامٍ لنلجأ له. قبل أن نطلب استشارة الناس دعونا نطلب المشير العظيم الذي «يُدْعَى اسْمُهُ مُشِيراً» (إشعياء 9: 6) لأنه الإله القدير، وهو رئيس السلام الذي يعطي قلوبنا اطمئناناً، ثم نلجأ إلى البشر الذين نطلب مساعدتهم، والذين يكلِّفهم هو ويساعدهم ليساعدونا.

كانت العذراء تعرف من هو يسوع، وكانت تتعجب مما قيل فيه، وتحفظ جميع أموره متفكرة بها في قلبها (لوقا 2: 33، 51). وعندما عرضت عليه طلبة أصحاب العرس أجابها: «مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ! لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». يبدو لنا أنها لم تأخذ منه إجابة مباشرة، ولكنها فهمت قصده. وبإيمان كامل قالت للخدام: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ».

ما معنى قول المسيح لأمه: «مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ»؟

هذا تعبير عبري يتوقف معناه على نبرة صوت قائله. إذا قال القائل هذه العبارة بحِدَّة فهو يُوبّخ الذي يكلمه. أما إن قالها برقَّة، فهو يقصد أن يقول: «لا تقلقي. أنتِ لا تعرفين ما سأفعله، لكن اتركي الأمر لي وسأعالجه

بطريقتي. أنا سأتصرَّف». ولا يمكن أن يكون المسيح له المجد قد أجاب أمه العذراء القديسة مريم بحِدَّة، بل بكل محبة ورقة، وكأنه يقول لها: «يا أمي، لا داعي للقلق من هذا الموضوع. سلِّميه لي. اعتمدي عليَّ. إن عندي طريقتي لإنهاء المشكلة، لا تفكري في الموضوع مرة أخرى».

أما قوله لها: «يَا امْرَأَةُ» فقد يبدو لنا قول عدم توقير. لكن الحقيقة غير ذلك، فهذه هي كلمة التقدير والاحترام. لقد ناداها من على الصليب: «يَا امْرَأَةُ» (يوحنا 19: 26) وهو يسلمها للتلميذ الحبيب يوحنا. فتلك كلمة توقير.

ثم قال لها: «لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». وساعته هي ساعة إظهار مجده بإجراء المعجزة، كما أنها ساعة موته ورجوعه إلى الآب. وكأنه يقول لها: «لم تحِنْ ساعة إعلان ذاتي للناس، الإعلان الذي سيؤدي بي إلى الصليب». فتمجيد ابن الإنسان هو صلْبه، وما سبقه من معجزات وتعاليم أغاظت شيوخ اليهود فقرروا أن يصلبوه (يوحنا 12: 23، 24).

لم تعرف العذراء كيف سيكون حل المشكلة، إلا أنها أمرت الخدام أن «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ». وهذا إيمان فيه درس عظيم لنا، فما يقوله المسيح لك من أوامر وتعاليم هو أفضل شيء لك، حتى إن كنت لا ترى منطقيته.

3- التلاميذ:

«أَظْهَرَ مَجْدَهُ فَآمَنَ بِهِ تلاَمِيذُهُ» (آية 11). كان التلاميذ الخمسة قد آمنوا به في اليومين السابقين. فلماذا يقول إنه أظهر مجده فآمن به تلاميذه؟ الإجابة: إن الإيمان لا يتوقف عند درجة معينة، بل يزيد ويتقوى ويتعمق. هؤلاء الخمسة آمنوا به فتبعوه، وتركوا كل شيء ليسيروا وراءه، لكنهم كانوا محتاجين إلى تقوية إيمانهم. «أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي» (مرقس 9: 24). قال أحد الأتقياء: «يشبه المؤمن شخصاً يركب دراجة. راكب الدراجة لا يتوقف ولا يسير إلى الخلف، بل يجب أن يسير إلى الأمام باستمرار. والمؤمنون يجب أن يكونوا مثل راكب الدراجة، يتجهون دائماً إلى الأمام، ووجهتهم نحو المسيح دائماً».

3- الخدم:

«وَكَانَتْ سِتَّةُ أَجْرَانٍ مِنْ حِجَارَةٍ مَوْضُوعَةً هُنَاكَ حَسَبَ تَطْهِيرِ الْيَهُودِ، يَسَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِطْرَيْنِ أَوْ ثلاَثَةً». هذه ستة أوانٍ من الأحجار كانوا يضعون فيها الماء ليغتسلوا عند دخولهم من الخارج. وكان هناك نوعان من الاغتسال: غسل الأرجل عندما يدخلون وقد تغطت أرجلهم بغبار الطريق، ثم الأيدي ليتطهروا طقسياً. وبدون تطهير طقسي لم يكونوا يقدرون أن يأكلوا أو أن يصلّوا. وبسبب كثرة عدد الضيوف استُهلك الماء كله. كان كل إناء حجري يسع من أربع إلى ست صفائح من الماء. (المطر صفيحتا ماء).

أمر المسيح الخدام أن يملأوا الأجران الحجرية إلى فوق. ونلاحظ أن الأجران أجران ماء وليست للخمر، فلا يقول أحد إنه كان هناك خمرٌ مُتَبقٍّ من قبل. ولم تكن بها حتى رائحة خمر. طلب منهم أن يملأوها إلى فوق حتى لا يقول أحد إنه أكملها بالخمر. كانت كبيرة بحيث لم يكن ممكناً أن يُدخلوا الخمر إليها خلسة. الدليل واضح للغاية أمام الجميع أن هناك معجزة جرت. أجران فارغة ملأها الخدم وليس التلاميذ.

كان الخدم أول من أطاع أمر العذراء القديسة مريم، وأول من رأى المعجزة تتحقق، وآمن.

4- المتّكئون:

أمر المسيح الخدم أن يقدموا الخمر للمدعوين. فذاق رئيس المتكأ (ضيف الشرف) الخمر أولاً، وأبدى إعجابه به.

اليوم نرفض الخمر لأننا نخشى أن شاربها يعجز عن أن يُسيطر عليها فتسيطر هي عليه، كما يقول مثل ياباني: «يشرب الناس الكأس، فتشرب الكأس الكأس، فتشرب الكأس الناس!». تبدأ الخمر مُستعبَدة لك، وتنتهي مستعبِدة لك. ونخشى من شُرب الخمر على أولادنا الصغار إن رأونا نشرب، فيشربون بغير أن يتحكموا في أنفسهم. ونخشى من شرب الخمر لئلا نُعثر المحيطين بنا.

5- رئيس المتكأ:

عندما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحوّل خمراً، قال: «كُلُّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَضَعُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلاً، وَمَتَى سَكِرُوا فَحِينَئِذٍ الدُّونَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الآنَ». تلك عبارة عظيمة قالها رئيس المتكأ، ولكنه لم يُدرك عُمق معناها بالنسبة لما يفعله المسيح في حياة الناس. مع المسيح يجيء الأفضل دائماً أخيراً. في دراستك لكلمة الله تبدأ الدراسة، وكلما تعمقت فيها وجدت عمقاً أكبر. تبدأ بأن تأكل الكلمة فتجدها «أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ.. وُجِدَ كَلاَمُكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلاَمُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي» (مزمور 19: 10 وإرميا 15: 16).

وهذا يحدث في طاعتك له، فكلما تطيعه تكتشف البركة. قد تكون طاعته أولاً صعبة، ولكن بركات الطاعة تريك أن الأفضل يجيء أخيراً.

وفي تأديبه لك لا ترى التأديب للفرح بل للحزن، لكنه يعطي الذين يتدربون به ثمر برٍّ للسلام (عبرانيين 12: 11). فخاتمة التأديب دوماً أفضل. الآخِر مع المسيح دوماً أفضل. وهناك ترنيمة يقول مطلعها: «أفضل من أمسٍ كل صباح لي جديد».

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- حضر المسيح حفل زفاف:

وهذا يعلمنا: «لِيَكُنِ الزِّوَاجُ مُكَرَّماً عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ» (عبرانيين 13: 4). بعض الناس ينشرون البؤس من حولهم، ويقدمون رسالة المسيح باعتبار أنها فقط رسالة حزن على الخطية. لكن المسيح يقدم لنا إنجيل الملكوت المُفرح. عندما وُلد أعلن الملاك: «أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ» (لوقا 2: 10). وإنجيل المسيح معناه الخبر المُفرح، فحياتنا الإيمانية حياة فرح. عندما يرى أحدٌ الابتهاج في وجوهنا يريد أن يشاركنا ابتهاجنا.

في أحد مؤتمرات الكنيسة في «بيت السلام» بالعجمي بالإسكندرية بمصر، قالت خبيرة في علم النفس تعمل في مصحة عقلية: «لو أننا جئنا بمرضانا إلى بيت السلام بالعجمي، أؤكد أنهم سينالون شفاءهم، لأنهم سيرون سعادتكم وأنتم تتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، وتلعبون وتصلّون معاً بفرح، وتستمعون لكلمة الرب بفرح».

قدَّس المسيح أفراح الحياة بوجوده وسطها، وأعاد الفرح الذي ضيَّعته ظروف الحياة القاسية. وبارك المسيح حياة كل يوم، فإذا بالواجبات اليومية مقدسة مفرحة. أليس هو الذي حوّل الناموس إلى عهد النعمة. «لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا» (يوحنا 1: 17) حوّل الحسن (الناموس) إلى الأحسن (النعمة).

هذا هو المسيح العظيم الذي بدأ معجزاته في حفل عرس، فبارك، وستر، وسدَّد الأعواز.

2- وأجرى المسيح المعجزة في بيت فقير:

اشترك المسيح مع الناس العاديين، الخطاة. واستخدم أشياء عادية من أجران حجرية، وماء. وطلب تعاون الخَدَم معه، ليملأوا الأجران وليسقوا المتكئين.

هذا هو يسوع الذي جاءنا مولوداً في مذود، فنجد كلنا الطريق إليه: أغنياء وفقراء، خطاة وأتقياء، فعنده للكل كل ما يحتاجون إليه.

ولكن العادي في يد المسيح يصبح معجزياً! إن سلَّمتَه نفسك يُجري معجزة في حياتك وبحياتك. جرِّب أن تسلمه نفسك بالكامل، لترى المعجزات تتوالى عليك كل يوم!

3- وغيَّر المسيح الحسن إلى الأحسن:

شهد رئيس المتكأ أن الأخير صار أفضل. وهذا ما يفعله المسيح معك إن سلَّمته حياتك. ستكون آخرتك معه أفضل من أولاك.

حوَّل رموز العهد القديم إلى حقائق العهد الجديد: حول ذبائح العهد القديم، عندما جاءنا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم، إلى ذبيحة واحدة، هي ذبيحة نفسه، فوجد لنا فداءً أبدياً.

وحوَّل معمودية الماء التي عمد بها يوحنا إلى معمودية الروح القدس. معمودية يوحنا للتوبة. والتوبة جميلة، حوَّلها المسيح إلى معمودية الروح القدس ليسيطر على حياة المؤمنين.

وأرجو أن يحوِّل كلمته دائماً التي نسمعها باستمرار إلى ما هو أحسن، أي كأس الخلاص، فنتناول منه كأس الخلاص وباسم الرب ندعو (مزمور 116: 13).

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك لأن المسيح يشاركنا أفراحنا، كما يحس بأعوازنا، ويقف إلى جوارنا في كل ظروف حياتنا بغير استثناء، يستجيب صلاتنا، ويسندنا في وقت احتياجنا.

علِّمنا أن نلجأ إليه بغير تردد، وبكل ثقة نسلِّمه نفوسنا، محققين الوصية الحلوة: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ». باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- ماذا جرى في اليوم المهم الأول الذي سبق هذه المعجزة؟

2- ماذا حدث في اليوم المهم الثاني الذي سبق تحويل الماء خمراً؟

3- ما معنى قول يسوع لأمه: «ما لي ولكِ يا امرأة»؟

4- ماذا تتعلم من قول العذراء: «مهما قال لكم فافعلوه»؟

5- لماذا اشترك المسيح في حفل الزفاف ؟

6- كيف يكون الآخِر مع المسيح دوماً أفضل من الأول؟

7- اذكر شيئين حوَّلهما المسيح إلى أفضل.

المعجزة الثانية

شفاء ابن رجل البلاط الملكي

«46فَجَاءَ يَسُوعُ أَيْضاً إِلَى قَانَا الْجَلِيلِ حَيْثُ صَنَعَ الْمَاءَ خَمْراً. وَكَانَ خَادِمٌ لِلْمَلِكِ ابْنُهُ مَرِيضٌ فِي كَفْرِنَاحُومَ. 47هَذَا إِذْ سَمِعَ أَنَّ يَسُوعَ قَدْ جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ انْطَلَقَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ وَيَشْفِيَ ابْنَهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ. 48فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لاَ تُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ وَعَجَائِبَ!». 49قَالَ لَهُ خَادِمُ الْمَلِكِ: «يَا سَيِّدُ، انْزِلْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي». 50قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ. اِبْنُكَ حَيٌّ». فَآمَنَ الرَّجُلُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا لَهُ يَسُوعُ، وَذَهَبَ. 51وَفِيمَا هُوَ نَازِلٌ اسْتَقْبَلَهُ عَبِيدُهُ وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ». 52فَاسْتَخْبَرَهُمْ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا أَخَذَ يَتَعَافَى فَقَالُوا لَهُ: «أَمْسِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ تَرَكَتْهُ الْحُمَّى». 53فَفَهِمَ الأَبُ أَنَّهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي قَالَ لَهُ فِيهَا يَسُوعُ إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ، فَآمَنَ هُوَ وَبَيْتُهُ كُلُّهُ. 54هَذِهِ أَيْضاً آيَةٌ ثَانِيَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ لَمَّا جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ» (يوحنا 4: 46-54).

هذه هي المعجزة الثانية التي أجراها المسيح. جرت المعجزة الأولى (تحويل الماء إلى خمر) في حفل زفاف، وجرت الثانية في ظل حزنٍ وتهديد موت. جرت الأولى مع جماعة من الفقراء المغمورين، وجرت الثانية مع سيدٍ في قومه.

للفقير مشاكله، وللغني أيضاً مشاكله. وكلما زاد ارتفاع الشجرة إلى أعلى شعرَتْ بعنف الزوابع. هناك وَبَأ يَسْلُكُ فِي الدُّجَى، وَهَلاَك يُفْسِدُ فِي الظَّهِيرَةِ! (مزمور 91: 6).

هذه معجزة شفاء ابنٍ مريض، سافر أبوه من كفرناحوم إلى قانا، وهي مسافة نحو ثلاثين كيلومتراً، كان يستغرق قطعها في ذلك الزمن سفر يوم كامل. فسافر الوالد يوماً كاملاً ليلتقي بصانع المعجزة.

ولا نعلم من هو خادم الملك (رجل البلاط الملكي) هذا. لعله خوزي وكيل هيرودس (لوقا 8: 3)؛ أو لعله مناين رئيس الرُّبع الذي تربى مع هيرودس (أعمال 13: 1). ولكنه قبل كل شيء أب يحب ابنه، ويكاد يُفجع فيه!

أولاً: المحتاج والمعجزة

1- المحتاج الحقيقي هو الابن المريض:

(أ) مريض مشرف على الموت، عاجز عن الحركة. كل أمره في يدي أبيه. ومع أنه لا يدري ما يجري من حوله، إلا أن أباه قام بالواجب. هل أنت ابنٌ تلقي نفسك على ذراعي أبيك السماوي باطمئنان، عالماً أنه وليُّ أمرك وصاحب السلطان في حياتك؟ هل تعلم أن أباك محبة كاملة؟ هل تعلم أن محبته وسلطانه وكل ما عنده في خدمتك؟

كثيراً ما يصدمنا الله صدمة تشلنا وتُعجزنا عن الحركة لنسلِّم أمرنا له. مرات كثيرة نظن أننا قادرون، وأننا مستقلّون عنه نستطيع أن نفعل الكثير دون أن نلجأ إليه، فيصدمنا لأنه يحبنا، بهدف أن نلوذ به ونحتمي بحماه.

(ب) على أن الابن المريض يعلمنا درساً ثانياً، هو أننا في أحيان كثيرة لا نحس باحتياجنا بسبب شدَّة مرضنا. كان الابن مريضاً، ومن شدة المرض لم يُحس أنه محتاج لطبيب. وإلهنا الصالح ينبهنا إلى مرضنا الروحي وضعفنا واحتياجنا للمخلص، لنصرخ مع العشار قائلين: «اللهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ» (لوقا 18: 13).

2- المحتاج الثاني للمعجزة كان رجل البلاط الملكي:

لا يذكر الإنجيل الأم. ولكنها أيضاً كانت محتاجة إلى المسيح ليشفي ابنها، تماماً مثل الأب. بقيت الأم بجوار سرير المرض، بينما ذهب الأب يطلب معونة المسيح. الرجل وزوجته واحد (متى 19: 5). ولما كانا واحداً اكتفى الإنجيل بالحديث عن الأب الذي ذهب ليبسط طلبته أمام المسيح.

لقد واجه الأب والأم ضيقة. لو لم تجئ تلك الضيقة ما فكرا أن يذهبا إلى المسيح. فأدخلهما الله في مأزق ليفكرا في اللجوء إلى النجار الناصري الذي يُقال عنه إنه يُجري معجزات. «خَيْرٌ لِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ لِكَيْ أَتَعَلَّمَ فَرَائِضَكَ» (مز 119: 71). والله أب محب كريم لا يذلّلنا ليذلّنا، لكن ليعلّمنا ويقرّبنا إليه.

(أ) ابتلع رجل البلاط الملكي كبرياءه وسافر من كفرناحوم العاصمة إلى القرية الصغيرة ليقابل المسيح ليطلب منه أن يشفي ابنه. لم يهتم بكلام الناس، لأن ضيقة نفسه جعلته يتذلل أمام المسيح.

(ب) وقَبِلَ توبيخ المسيح له بتواضع، فنجح في اختبار الإيمان. قال للمسيح: أرجوك أن تنزل وتشفي ابني لأنه مشرف على الموت. فأجابه المسيح إجابة تبدو خشنة: «لاَ تُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ وَعَجَائِبَ!». وبَّخ المسيح الرجل، وفي تواضع قبل الرجل التوبيخ. كان المسيح يدرك إيمان الرجل، فقدم الامتحان الذي يقدر إيمان الرجل أن ينجح فيه! «الله أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ (تُمتَحنون وتُختَبرون) فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (1كورنثوس 10: 13).

(ج) جاء الأب إلى المسيح من أجل ابنه، وسأل شفاءً له. وما أكثر ما يفعل الآباء لأولادهم! وهناك أيضاً أبناء يفعلون الخير لآبائهم. هناك ابن يقود أباه للمسيح. هل نهتم بأفراد عائلاتنا روحياً؟ هل نفكر في الكبار من عائلاتنا، فنصلي من أجلهم ونكلم المسيح بشأنهم، كما كلم الأب المسيح بخصوص ابنه؟

في عائلاتنا آباء كبار السن. ليتنا ننشغل بهم، كما انشغل آباؤنا وصلّوا من أجلنا حتى عرفنا المسيح المخلّص. دعونا نفكر في أعمامنا وأخوالنا والكبار في عائلاتنا لنقدمهم إلى المسيح.

(د) ووضع رجل البلاط الملكي ثقته كاملة في المسيح بالرغم من ضيق الوقت، فقد «انْطَلَقَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ وَيَشْفِيَ ابْنَهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ». وعندما قال له المسيح: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ» آمن بالكلمة وعاد إلى البيت دون أن يرى شيئاً. وضع ثقته في كلمة قيلت، وأدرك أن ابنه قد نال الشفاء. رجع إلى بيته دون أن يرى ما يُطمئن قلبه. لكن أليس هذا هو الإيمان؟ إنه الثقة بأمور لا نراها (عبرانيين 11: 1) كما قيل في إبراهيم إنه: «عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ» (رومية 4: 18) فنال ما ترجَّاه. لم يقُل خادم الملك: «ربما صَدَق المسيح فيما قال». بل قال: «بالتأكيد حقق المسيح وعده ونفذ كلمته». نحتاج إلى هذا الإيمان الذي يجعلنا نضع ثقتنا في المسيح كخطاةٍ نحتاج إلى غفرانه، وندرك أن كفارة صليبه كافية لتطهيرنا.

لكل إيمان بدء، ولكل إيمان نمو وزيادة، ولكل إيمان كمال. البدء يبدأ بالسمع، فيجعلنا نطلب. ابتدأ الإيمان في قلب رجل البلاط عندما قيل له: إن المسيح يستطيع أن يشفي ابنك، فقد أجرى معجزة في قانا، حَوَّل فيها الماء إلى خمر. المسيا جاء.

وهنا زاد إيمانه، فذهب إلى المسيح مسافة ثلاثين كيلومتراً استغرق قطعها نحو يوم، ليطلب شفاءً لابنه. وظهرت زيادة الإيمان في قلبه عندما صَدَّق قول المسيح: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ» وتصرَّف بناءً على هذه الكلمة.

واكتمل إيمانه عملاً واختباراً عندما نال ما أعطاه المسيح له. وفهم أنه في الساعة التي قال فيها يسوع: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ» شُفي ولده. واكتمل إيمانه لما آمن هو وبيته كله. كمال الإيمان أن الإنسان يفتح قلبه للمسيح ليُغيِّر المسيح حياته، فتتغيَّر، ويقود غيره للمسيح المخلِّص. كثيرون منّا يتمتعون بعناية الله ويعرفون الله المعتني ويحبونه، وهذه معاملة شحاذٍ مع مُحسِن. لكننا نريد أن نتمتع بمعاملة الابن مع أبيه. «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يوحنا 1: 12) فننتقل من عبودية عبدٍ يشحذ من محسن، إلى امتياز ابن يطلب من أبيه.

ويجب أن يتغذى إيماننا على مواعيد الله فنتمسك بها، وبهذا ينمو الإيمان ويزيد، لأنه لا تسقط كلمة من كل الكلام الصالح الذي يقوله لنا (يشوع 21: 45).

ويجب أن يتصرف الإيمان دوماً في غيبة المشاعر. لم تكن مشاعر الأب هي التي جعلته يعود إلى كفرناحوم، لكن هناك إيمان بحقيقة أن كلمة المسيح لا بد أن تصدُق، وأن وعده لا بد أن يتحقق، وأن أمره لا بد أن ينفذ، فقد قال له: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ».

هل يشجعك إيمانك بالمسيح لتكلمه كما كلمه رجل البلاط الملكي بشأن ابنه؟ هل يجعلك مطمئناً؟ فعندما يقول لك: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ» تؤمن بالكلمة التي قالها وتتصرف طبقاً لها؟ إيمانك بالمسيح يعطيك أنت وأسرتك البركة، لأن الإيمان الحقيقي يبارك المؤمن، وعائلته.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- الذين سمعوا طلبة رجل البلاط الملكي:

لما طلب خادم الملك من المسيح أن يشفي ابنه، سمعوا الطلبة. فوجَّه المسيح لهم ما قاله للأب الحزين: «لاَ تُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ وَعَجَائِبَ!». لعل المسيح وجَّه هذه الكلمة للواقفين حوله لأنهم كانوا يريدون أن يروا المعجزة التي سيجريها المسيح. كانوا يطلبون أن يروا بعيونهم قبل أن يؤمنوا، والمسيح يريد الإيمان القوي الذي يصدِّق حتى بدون أن يرى، كما قال لتوما: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يوحنا 20: 29).

وجَّه المسيح كلماته ليعالج حالة موجودة في قانا الجليل، لأنه لا كرامة لنبي في وطنه، وكان يريدهم أن يؤمنوا به لا على أنه ابن النجار، أو على أن إخوته جميعاً عندهم، لكن لأنه هو الذي أتى من السماء. هذا كان إيمان اللص التائب الذي قال: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لوقا 23: 42) فقد رأى اللص المصلوب في المسيح رباً صاحب ملكوت، مع أن العين البشرية وقتها لم تكن ترى فيه إلا زميلاً معلقاً على صليب! رأى اللص التائب ما لا يُرى! وكافأه المسيح مكافأة الإيمان الذي يهب الحياة الأبدية.

2- خَدَمُ رجل البلاط الملكي:

استقبلوا الخدمُ الأبَ العائد بالخبر المُفرح الذي عرفوا موعد وظروف حدوثه، فنقلوه إليه. لم يُنشئوا هم الخبر المُفرح، لكنهم فقط نقلوه. قالوا: «أَمْسِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ تَرَكَتْهُ الْحُمَّى». والساعة السابعة بالتوقيت اليهودي هي

الساعة الواحدة بعد الظهر بتوقيتنا، وذلك بعد شروق الشمس بسبع ساعات. ففهم الأب أنه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ» .

نحن المؤمنين كثيراً ما نراقب عمل الله بيننا، فنرى معجزات التغيير في حياة الناس، ونرى معجزات شفاء يجريها الرب على خلاف ما يتوقع البشر. ونرى عناية إلهية عظيمة تعمل أعمالاً رائعة فوق الخيال يجريها «الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدّاً مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا» (أفسس 3: 20).

نحن لم ننشئ المعجزة لكننا رأيناها. فلنذهب نخبر كم صنع الرب بنا ورحمنا.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1– حنان المسيح:

كان حنانه كاملاً على الأب الذي قدَّم الطلب، وعلى الابن المريض الموجود بعيداً في كفرناحوم. كان إيمان الأب ضعيفاً. ونحن لا نلومه، فلو كنا مكانه لربما قلنا أسوأ مما قال هو! قال: «يَا سَيِّدُ انْزِلْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي». هذا إيمان بسيط ضعيف. كأنه يقول له: «لو تأخرت، لا فائدة». هذا إيمان محدود، ومع ذلك لم يطفئه المسيح، الذي لا يطفئ فتيلة مدخنة ولا يقصف قصبة مرضوضة (إشعياء 42: 3 ومتى 12: 20).

قال القديس يوحنا فم الذهب في إحدى عظاته: «لماذا ذهب المسيح إلى بيت قائد المئة ولم يذهب إلى بيت ابن خادم الملك؟» ثم أجاب على السؤال بقوله: «كان قائد المئة صاحب إيمان عظيم، أما خادم الملك فقد كان ضعيف الإيمان. وأراد المسيح أن يقوي إيمان الرجل فشفى ابنه من على بُعد، ليؤكد له أنه صاحب السلطان القادر على كل شيء».

يتعامل المسيح معنا بطرق مختلفة تتوقف على حالتنا وظروفنا ومقدار إيماننا. ولا نستطيع أن نقول له: لماذا فعلت هذا مع شخص ما ولم تفعله معي بذات الطريقة؟ لأن للرب طرقاً كثيرة يتعامل بها مع كل واحد منا حسب ظروفه وأحواله. بل إنه يتعامل معك أنت بأنواع وطرق مختلفة.

2– قوة المسيح:

قال الأب: «يَا سَيِّدُ انْزِلْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي». فقال المسيح: «اذْهَبْ. ابْنُكَ حَيٌّ». فكانت كلمة المسيح مختلفة تماماً عن الواقع المنظور! لكن كلمته تحمل سلطانه، وهذا هو معنى لقب المسيح «الكلمة» لأنه يحمل كل سلطان الله. ولذلك قال المسيح: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يوحنا 14: 9).

«اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يوحنا 1: 18). عندنا الكلمة المكتوبة في الإنجيل المقدس، وفيها سلطان الله في تخليص النفوس بعمل الروح القدس. وعندنا الكلمة الحي، الرب يسوع المسيح المخلص الحي. والمخلِّص وكلمته يعملان وسطنا.

وفعلت كلمة المسيح: «ابْنُكَ حَيٌّ» معجزتين على الأقل: المعجزة الأولى أنها شفت ضعف إيمان رجل البلاط الملكي، والثانية أنها شفت ضعف جسد الابن المريض على فراشه! فكلمة المسيح لا تنشئ معجزة واحدة لكنها تنشئ معجزات. وكل معجزة نراها هي في واقع الأمر مجموعة معجزات. وكلما تأملناها أكثر وأكثر وجدناها تتفاعل مع قلوبنا لتقوي إيماننا وتزيده، وتشفي مرضنا وتزيله.

المسيح صاحب السلطان بالرغم من بُعد المسافة. على بُعد ثلاثين كيلومتراً، وفي نفس اللحظة، في الساعة الواحدة بعد الظهر، نال الابن المريض شفاءه.

3- حكمة المسيح:

طلب الأب من المسيح شفاء ابنه بطريقة محددة، فشفاه المسيح بطريقة تختلف. كانت الطلبة: «يَا سَيِّدُ، انْزِلْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي» ولم ينزل المسيح إلى كفرناحوم، ولكنه من قانا شفى الابن، ليعلمنا درساً عظيماً هو أن نخضع لحكمته، ونقول له: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك، لأن إرادتك هي الصالحة المَرْضيَّة الكاملة. ولو أعطيتني طلبي كما أطلبه، أكون أنا الخاسر. ولكن لو أعطيتني طلبي كما تريد أنت، سيكون المكسب كله لي أنا!».

دعونا نتعلم كيف نضع ثقتنا في حنان المسيح وفي قوته وفي حكمته.

صلاة

أبانا السماوي، اجْرِ في حياتنا معجزة تشفينا من كل مرض: من مرض الخطية بالغفران؛ ومن مرض القلق بالاطمئنان؛ ومن مرض التسرع بانتظار الرب.

أعطنا صحة روحية، وليكن جسدنا هيكلاً للروح القدس على الدوام. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- اذكر فرقين بين معجزة تحويل الماء خمراً وهذه المعجزة.

2- لماذا لم يذكر الإنجيل الأم في قصة شفاء الابن المريض؟

3- ما هي مسؤوليتنا نحو كبار العمر في عائلتنا؟

4- كيف بدأ إيمان رجل البلاط الملكي، وكيف زاد، وكيف كمل؟

5- لم يطفئ المسيح إيمان رجل البلاط بل نوَّره - كيف؟

6- لماذا ذهب المسيح لبيت قائد المئة ولم يذهب لبيت رجل البلاط؟

7- شفى المسيح الابن المريض بطريقة تختلف عن الطريقة التي طلبها أبوه - ماذا تتعلم من ذلك؟

المعجزة الثالثة

صيد السمك الكثير

«1وَإِذْ كَانَ الْجَمْعُ يَزْدَحِمُ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ كَانَ وَاقِفاً عِنْدَ بُحَيْرَةِ جَنِّيسَارَتَ. 2فَرَأَى سَفِينَتَيْنِ وَاقِفَتَيْنِ عِنْدَ
الْبُحَيْرَةِ وَالصَّيَّادُونَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهُمَا وَغَسَلُوا الشِّبَاكَ. 3فَدَخَلَ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ الَّتِي كَانَتْ لِسِمْعَانَ وَسَأَلَهُ أَنْ يُبْعِدَ
قَلِيلاً عَنِ الْبَرِّ. ثُمَّ جَلَسَ وَصَارَ يُعَلِّمُ الْجُمُوعَ مِنَ السَّفِينَةِ. 4وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ قَالَ لِسِمْعَانَ: «ابْعُدْ إِلَى الْعُمْقِ
وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ». 5فَأَجَابَ سِمْعَانُ: «يَا مُعَلِّمُ، قَدْ تَعِبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئاً. وَلَكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أُلْقِي
الشَّبَكَةَ». 6وَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ أَمْسَكُوا سَمَكاً كَثِيراً جِدّاً فَصَارَتْ شَبَكَتُهُمْ تَتَخَرَّقُ. 7فَأَشَارُوا إِلَى شُرَكَائِهِمُ الَّذِينَ فِي
السَّفِينَةِ الأُخْرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ. فَأَتَوْا وَمَلأُوا السَّفِينَتَيْنِ حَتَّى أَخَذَتَا فِي الْغَرَقِ. 8فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذَلِكَ
خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً: «اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ». 9إِذِ اعْتَرَتْهُ وَجمِيعَ الَّذِينَ مَعَهُ دَهْشَةٌ
عَلَى صَيْدِ السَّمَكِ الَّذِي أَخَذُوهُ. 10وَكَذَلِكَ أَيْضاً يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي اللَّذَانِ كَانَا شَرِيكَيْ سِمْعَانَ. فَقَالَ يَسُوعُ
لِسِمْعَانَ: «لاَ تَخَفْ! مِنَ الآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسَ!». 11وَلَمَّا جَاءُوا بِالسَّفِينَتَيْنِ إِلَى الْبَرِّ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ»
(لوقا 5: 1-11).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 4: 18-22 ومرقس 1: 16-20).

أجرى المسيح معجزته الأولى في حفل عرس، وأجرى الثانية بالقرب من ظل الموت، وأجرى الثالثة على شاطئ بحيرة جنيسارت، ومعنى اسمها قيثارة أو أميرة الحدائق، لأن شكلها كالقيثارة، ولأن حولها تسع مدن عامرة ذات حدائق مثمرة، فهي مكان ابتهاج وفرح.

وقد أُطلق أيضاً على هذه البحيرة اسم «بحر الجليل» أو «بحيرة طبرية». ويبلغ طولها عشرون كيلومتراً وعرضها ثلاثة عشر كيلو متراً، وعمقها 230 متراً تحت سطح البحر. ولذلك فهي استوائية المناخ، يتقلب الجو العاصف عليها بكثرة وبدون سابق إنذار.

أجرى المسيح كثيراً من معجزاته حول هذه البحيرة، وهو ينتقل من شاطئ إلى آخر. أسكن رياحها، وأعطى تلاميذه منها صيداً وفيراً. من على تلك البحيرة وقف في سفينة صغيرة يعظ الجمهور الذي اجتمع على شاطئها، فكافأ بطرس الذي قدَّم سفينته للمسيح ليعظ من عليها وليتنقَّل بها، بأن أعطاه سمكاً كثيراً. لقد بدأت تعاملات المسيح مع بطرس بمعجزة صيد السمك الكثير هنا، وانتهت تعاملاته معه أثناء وجوده على الأرض بمعجزة صيد السمك (يوحنا 21) عندما كلَّفه أن يرعى غنمه. نرى في هذه المعجزة شخصين: بطرس المحتاج للمعجزة، والمسيح الذي أجرى المعجزة.

أولاً: المحتاج للمعجزة

1- المحتاج وممتلكاته:

كان بطرس يملك سفينة راسية على الشاطئ، وقد خرج الصيادون منها يغسلون شباكهم، بعد أن صرفوا الليل كله ولم يأخذوا شيئاً. هذا حال اليأس والتعب.

وأُعطيت السفينة للمسيح ليجعل منها منبراً وعظ الجمهور منه. قال أحد المفسرين: «كان صياد النفوس على البحر في السفينة، وكانت النفوس التي يصيدها واقفة على الأرض على شاطئ البحيرة. والواعظ السماوي يلقي شبكة الإنجيل ليجمع بها النفوس إلى ملكوته من الموت إلى الحياة». ويمكن أن نرى لسان الحال في كلمات بطرس عن السفينة المقدَّمة للمسيح: «كلمتك التي تلقيها من السفينة ومن خارج السفينة تهب الحياة الأبدية».

أعطى بطرس المسيح سفينة خالية، فإذا بها عامرة بالسمك، حتى أن الشباك صارت تتخرق. فطلب الصيادون من سفينة أخرى أن تقترب منهم لمساعدتهم، فأتوا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق! سفينة خالية تُعطى للمسيح تصبح ممتلئة بأكثر مما توقع بطرس. أليست هذه حالتنا كلنا؟ عندما تخلو أيدينا، نفتحها للمسيح فتمتلئ. ليتنا نقدم ما عندنا له، لا لأنه يحتاج إليه، لكن ليباركه. عندما نفشل في شيء نسلمه للرب. عندما تفشل الصحة، سلِّم الجسد للرب ليكون هيكلاً للروح القدس. عندما يفشل العمل سلِّمه للرب ليباركه لأنه يصبح عمله. كانت نسبة الأسهم في سفينة بطرس مئة بالمئة لبطرس. ولما سلّمها للمسيح، وأصبحت كل أسهمها للمسيح، أصبح بطرس شريكاً ناجحاً للمسيح. إن كانت الأسهم كلها لنا فلن نُوفَّق. فإن أعطيناها كلها للمسيح سيباركنا ونصبح شركاءه في نجاحه. فلنقدم أجسادنا ذبيحة حية مقدسة مَرْضيَّة، لتصبح صحيحة مباركة عامرة بملء الروح القدس (رومية 12: 1).

2- المحتاج وإيمانه:

(أ) بدأ بطرس حياته مع المسيح بأن صار تابعاً له، عندما قال له أخوه أندراوس: «قَدْ وَجَدْنَا مَسِيَّا (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: الْمَسِيحُ)» (يوحنا 1: 41) فانضم بطرس إلى جماعة المسيح. لكنه استمر يقيم في بيته ويزاول مهنة صيد السمك.

وحدث معه اختبار جديد جعل منه تلميذاً للمسيح، يوم قال له: «ابْعُدْ إِلَى الْعُمْقِ وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ». وجلس يسوع في سفينة بطرس يعلّم الجموع من السفينة. ثم قال له: «لاَ تَخَفْ! مِنَ الآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسَ!». فترك كل شيء ليتبعه. ثم تقدَّم بطرس في الإيمان أكثر، فأصبح رسولاً للمسيح.

(ب) بدأ بطرس مسيرته الإيمانية في ذهول ودهشة من هذه المعجزة، حتى قال: «اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ». ولكنه تقدم في الإيمان بعد ذلك، فقال: «يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» (يوحنا 6: 68). بدأ خائفاً من المسيح وقداسته، فقال المسيح له: «لا تخف مني ومن قداستي. سأغسلك وأنقي قلبك» فتعلَّم الدرس وقال: «لا تخرج من سفينتي. ابْقَ معي». لقد حدث تطور ونمو في حياة بطرس الروحية، فقال: «أريد أن أكون أنا وسفينتي في خدمتك. ابْقَ في سفينتي لأني محتاج إلى تقديسك اليومي وإنعاشك الروحي. لقد حدث تقدم عظيم في السفينة وصاحب السفينة، لأن السفينة وصاحبها صارا ملكاً للمسيح.

(ج) اندهش بطرس وجميع الذين معه اندهاشاً كبيراً من صيد السمك الوفير. ونحن نحتاج إلى الانبهار والتعجب من المسيح ومن تعاملاته معنا، وكأننا نقف دوماً على أطراف أصابعنا لنشكر في كل حين على كل شيء. دعونا نتعلم أن ننبهر أمام الله دائماً، وأن تجيئنا كل عطية منه باندهاش جديد، فتكون حياتنا مع الله دائماً لامعة، براقة متألقة لأن إلهنا يمد يده إلينا بالبركة «لِيَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ، وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ» (2تسالونيكي 1: 10).

(د) ثم بعد هذه الدهشة يجيء التكليف الإلهي: ««لاَ تَخَفْ! مِنَ الآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسَ!». فكل من يتعرف على المسيح تعرفاً عميقاً يحصل على ترقية: من صياد سمك إلى صياد ناس. هناك ترقية للنباتات: عندما يأكل الحيوان نباتاً يرتقي النبات إلى المملكة الحيوانية. وعندما يأكل الإنسان حيواناً يرتقي الحيوان إلى المملكة الإنسانية، لأنه يصبح خلايا جسد إنسان. وعندما نسلم نفوسنا لله ونعطيه حقَّ امتلاكنا نقول: «فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غلاطية 2: 20) ونصير شركاء الطبيعة الإلهية (2بطرس 1: 4). دعونا نعطي نفوسنا بالكامل لله، ونسلم كل ما عندنا له ليكون سلطانه كاملاً علينا لننتقل من المملكة الإنسانية إلى المملكة الإلهية التي يريد المسيح أن يُدخلنا إليها.

ومن الترقيات التي يريد المسيح أن يرفعنا إليها الترقية من مجرد «كاسب رزق» إلى «محقِّق لمشيئة الله». هناك أبناء يشتكون لأن آباءهم مشغولون عنهم بتحصيل المال للإنفاق عليهم! وهناك زوجات يشتكين من أزواجهن لأنهم يتركون البيت في الصباح الباكر ولا يعودون إلا في المساء المتأخر، آكلين خبز الأتعاب (مزمور 127: 3). ويريد الله أن يجعل منهم أناس الله القديسين، إذ يختارون النصيب الصالح الذي لا يُنزع منهم (لوقا 10: 42). وهذا النصيب الصالح لا يعزلهم عن العالم، ولا يفشلهم، بل يجعل كل شيء يُزاد لهم (متى 6: 33).

(هـ) ثم تمَّ تكريس بطرس لما ترك كل شيء وتبع المسيح. ربما يطالبك الله بقضاء وقت أكثر في التعبد، أو لتفكر أكثر وأعمق في إنسانٍ يحتاج إلى الخلاص من خطاياه لتكلّمه عن المسيح الفادي، بينما أنت مشغول هنا وهناك. إن أردت أن تُشبع حياتك كن تابعاً أميناً للمسيح.

ثانياً المسيح والمعجزة

1- المسيح الجذّاب:

كان الجمع يزدحم على المسيح يسمع منه كلمة الله. هناك جاذبية خاصة في المسيح. من أمتع سنوات حياتي تلك التي صرفتها أجهّز «سيرة المسيح» للإذاعة. كانت الصُّحبة بالغة الرَّوعة، لا زالت تطبع آثارها على قلبي. عندما يجذبك المسيح تتأمل فيه «وَتَزْدَحِمُ عَلَيْهِ». هذه جاذبية المسيح التي لا تتوقف أبداً فقد قال: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يوحنا 12: 32). على أن المغناطيس الذي يجذب المعدن لا يجذب الحجر، فاطلب من الله أن يُجري تغييراً داخلك، يزيل منك ما يعطل انجذابك إليه، حتى «تَزْدَحِمُ عَلَيْهِ».

2- المسيح المحتاج:

احتاج إلى سفينة بطرس، وجلس فيها يعلّم الناس. واحتاج لخبرة صياد يُبعد السفينة إلى داخل البحيرة. لقد كان قادراً أن يخلق سفينة، وأن يأمر موجة تُبعدها عن البر، ولكنه أراد أن يكرم بطرس ويباركه بأن يُشركه معه في الخدمة. عندما يطلب الرب منا شيئاً لا يطلبه لأنه عاجز عن صُنعه، ولكن لأنه يريد أن يُشركنا معه في خدمته. فلنكن أذكياء بالدرجة التي تجعلنا نقول: «سأعطي الرب سفينة حياتي، ولو كانت فارغة، ليُعيدها إليَّ ممتلئة، فتستريح النفس المُتعَبة، ويرتوي القلب الظمآن».

3- المسيح صاحب السلطان:

(أ) صاحب السلطان على بطرس. قال له: «ابْعُدْ إِلَى الْعُمْقِ وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ» فأطاع. في المسيح قوة وجاذبية. لو سمعت صوته ستجد أنك تريد أن تطيعه، ليس فقط لأن ذلك في صالحك، وإنما لأن هناك سلطاناً في

كلمة المسيح، فكلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين (عبرانيين 4: 13). دعونا نقرأ الكلمة، وسنرى سلطانها على حياتنا.

(ب) سلطان المسيح على السمك: لم يكن هناك سمك في المكان الذي كانوا يصيدون فيه. ثم أن الصيد يتم بالليل. لكن السمك تجمَّع بعد أمر المسيح.

لم يكن نجاح بطرس في الصيد بسبب الظروف المواتية، لكن بسبب طاعته لكلمة المسيح صاحب السلطان. وأنت تنجح لا بسبب الظروف مهما كانت مواتية، لكن بسبب البركة التي يعطيها لك. أرجوك أن تتجاوب مع ما يقوله المسيح لك، وقال: «أَمَرْتُ الْغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ» (1ملوك 17: 4). كلمة «هُنَاكَ» هي المفتاح. لا حيث تريد أنت، لكن حيث يريد هو.

4- المسيح المحب:

(أ) شجع المسيح بطرس بقوله: «لاَ تَخَفْ! مِنَ الآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسَ!». كان بطرس مندهشاً من صيد السمك، خائفاً من خطيته، فجاءته كلمة المحبة المُشجعة: «لا تخف. سأنقي قلبك، سأرفع مكانتك». تجيئنا هذه الكلمة باستمرار ونحن نواجه امتحاناً، أو مقابلة لوظيفة، أو قبل إجراء عملية جراحية، أو ونحن سنصبح أبوين لأول مرة، أو ونحن نُدخِل أولادنا المدرسة لأول مرة، أو ونحن نصحبهم ليتزوجوا ويهجروا عُش بيتنا، أو ونحن نوشك على التقاعد وترك الوظيفة. كم نحتاج إلى هذه الكلمة! في كل اختبار لم يسبق أن دخلناه من قبل، نسمع صوت الحب يهمس في آذاننا: «لاَ تَخَفْ! مِنَ الآنَ».

(ب) و«مِنَ الآنَ» تقدم برهاناً آخر على محبة المسيح. هناك توقيت إلهي. فلماذا لم يقل المسيح لبطرس عندما كلَّمه أندراوس: «مِنَ الآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسَ!»؟ الجواب: لأنه كان يجهز بطرس للحظة المناسبة.

(ج) وبيَّن المسيح محبته لبطرس عندما دعاه لخدمة محددة، هي صيد الناس، فارتفعت قيمته في نظر نفسه، وفي نظر المجتمع والأسرة، وفي ملكوت السماوات.

(د) ثم بيَّن المسيح محبته لبطرس بإعطائه السمك الكثير. هل استئجار سفينة لساعات قليلة يستحق المكافأة المادية الضخمة التي نالها بطرس؟ لو استأجر المسيح السفينة التي وعظ منها لدفع في المقابل ديناراً واحداً، لكنه ملأ سفينة بطرس بالسمك، وحفظ الشِّباك من التخرُّق، وحفظ السفينتين من الغرق. يا للمكافأة! إن كأس ماء بارد باسمه لا يمكن أن يضيع أجره (متى 10: 42). هل أحسست بالندم على خيرٍ فعلته فلم تجد جزاءً ولا شكوراً؟ لا تندم، لأنك من الرب تنال الجزاء، فالمسيح هو الذي يكافئ.

5- المسيح الذي يعلن المستقبل:

قال المسيح: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي الْبَحْرِ وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. فَلَمَّا امْتَلأَتْ أَصْعَدُوهَا عَلَى الشَّاطِئِ وَجَلَسُوا وَجَمَعُوا الْجِيَادَ إِلَى أَوْعِيَةٍ، وَأَمَّا الأَرْدِيَاءُ فَطَرَحُوهَا خَارِجاً. هَكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ» (متى 13: 47-49). نرى في هذه المعجزة مثلاً ونبوة: الصيادون هم الرسل حاملو كلمة الله في كل عصر؛ السفينة هي الكنيسة؛ والشبكة هي الإنجيل؛ والبحر هو العالم؛ والشاطئ هو الأبدية. الفرق الوحيد أن الصيادين يصيدون السمك ليموت بينما خدام المسيح يصيدون الناس ليحيوا. وذات يوم تُسحَب الشبكة وفيها الجيد والرديء، فليست الكنيسة متحفاً للقديسين، لكنها مستشفى للخطاة. ويُعزل الأردياء، وتؤخذ الجياد للملكوت.

فإلى أي فريق تنتمي؟ هل قدمت نفسك وسفينتك وعائلتك للمسيح؟

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك من كل قلوبنا لأنك تحبنا وتفكر في احتياجنا من قبل أن نعرفه! وتمنحه لنا من قبل أن نطلبه! وعندما تعطي تهب بسخاء ولا تعيّر.

أعطنا دائماً أن نجد الطريق الصحيح إليك، فنسلِّم نفوسنا لك، ونُخضع إرادتنا لمشيئتك، فنشبع بالبركة، ونمتلــئ بالنعمة، وننال من لدنك نعمة فوق نعمة. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- اكتب وصفاً لبحيرة جنيسارت.
2- ماذا يحدث عندما نسلم نفوسنا للمسيح؟
3- ماذا يحدث عندما نسلم ما عندنا للمسيح؟
4- اذكر تطوُّر حدث في إيمان بطرس.
5- ماذا كان تكليف المسيح لبطرس؟ وما هو تكليفه لك أنت؟
6- لماذا استعار المسيح سفينة بطرس، ولم يخلق سفينة؟
7- ماذا كانت مكافأة المسيح لبطرس؟

المعجزة الرابعة

شفاء حماة بطرس

«14ولَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ بُطْرُسَ رَأَى حَمَاتَهُ مَطْرُوحَةً وَمَحْمُومَةً، 15فَلَمَسَ يَدَهَا فَتَرَكَتْهَا الْحُمَّى فَقَامَتْ وَخَدَمَتْهُمْ» (متى 8: 14، 15).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في مرقس 1: 29 ولوقا 4: 38).

أجرى المسيح معجزته الأولى أمام عدد كبير من الناس، في بيت مزدحم بالضيوف، أثناء حفل عرس.

وأجرى معجزته الثانية لشفاء ابن رجل البلاط الملكي من بعيد، فقد كان في قانا بينما كان المريض في كفرناحوم.

أما هذه المعجزة وهي شفاء حماة بطرس فقد أجراها المسيح وهو واقف إلى جوار فراشها، في بيتٍ في كفرناحوم، أمام عدد قليل من الأهل والأصدقاء.

في يوم سبت في مدينة كفرناحوم على شاطئ بحيرة جنيسارت، بعد الخدمة الدينية في المجمع، وبعد انتهاء المسيح من إلقاء عظته، عاد إلى بيت بطرس حيث كان يُقيم. كان التلميذ يملك بيتاً، ولم يكن للمعلم أين يُسند رأسه، مع أنه صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض! وعندما قدم بطرس لمعلِّمه البيت ليُقيم فيه أكرمه المسيح بإجراء معجزة الشفاء في بيته. أعطى بطرس سفينته للمسيح ليعظ منها، فملأ السفينة بالسمك. ولما استضاف المسيح في بيته أكرمه بأن أبهج بيته بمعجزة الشفاء. كانت حماة بطرس مريضة بحمى شديدة، فأمسك المسيح بيدها وأقامها فنالت الشفاء في الحال، وقامت لتخدم أهل البيت. ويقول البشير متى: «لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا» (متى 8: 17 مقتبسة من إشعياء 53: 4). وهي نبوة جاءت قبل ميلاد المسيح بأكثر من سبعمئة سنة، وتحققت في بيت بطرس، كما يمكن أن تتحقق في بيت كل واحد منا.

أولاً: المحتاجة والمعجزة

1- كانت حماة بطرس عاجزة عن الحركة:

كانت طريحة الفراش عاجزة عن أن تشكو للمسيح. كان بدنها مصاباً بحمى يصفها الطبيب لوقا بأنها «حُمَّى شَدِيدَةٌ». لا بد أن بدنها الهزيل كان يرتعش، وربما ظنت أنها ليست بالأهمية التي تجعلها تطلب منه أن يشفيها. وكثيرون من المسنين يحسبون أنفسهم غير مهمين. لكن ليس هناك شخص غير مهم في نظر الرب. الطفل الصغير مهم حتى لو طرد تلاميذ المسيح أبويه وهما يحملانه إلى المسيح، فيقول المسيح لتلاميذه «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ» (متى 19: 14). ولا يجب أن أي كبير في العمر يظن أنه ليس مهماً، لأن المسيح يمده بالبركة والنعمة، فهو يقول: «إِلَى الشَّيْخُوخَةِ أَنَا هُوَ، وَإِلَى الشَّيْبَةِ أَنَا أَحْمِلُ» (إشعياء 46: 4).

كانت هناك ثلاثة أنواع معروفة من الحمى، أولها ما كانوا يسمونه «الحمى المالطية». وهي تصيب بالضعف والأنيميا التي تستمر شهوراً، تنتهي بالموت؛ وهناك ما يشبه حمى التيفود كما نعرفها اليوم؛ وهناك حمى الملاريا التي ينقلها البعوض الذي يتوالد في المنطقة التي يلتقي فيها الأردن ببحر الجليل.. كانت الحمى بأنواعها متفشية في كفرناحوم وطبرية.

2- وكانت عاجزة عن الكلام:

فتكلموا بدلاً عنها. هناك من يحتاجون إلى المسيح دون أن يدركوا هذا الاحتياج. وطلبهم متوافر عند المسيح، لكن أحداً لم يدلهم عليه. وهذه مسؤولية المؤمنين الذين قد يكونون غير حسّاسين لاحتياجات مجتمعهم، فما أكثر الذين يسألوننا عن إيماننا ونحن نتهرب من الإجابة، إما لأننا لم نتعود أن نجاوب، أو لأننا لا نعرف كيف نجاوب. لكن أولاً وأخيراً يجب أن تكون بداخلنا الحساسية للمجتمع المحيط بنا، فنكون مستعدين لنجاوب كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا (1بطرس 3: 15). لا أظن أن موظفاً مسيحياً يعمل في مكتبه لم يسأله جاره: «كيف تصرَّفت هذا التصرُّف الصالح رغم سوء المعاملة؟». وأغلب الظن أن السائل لا يسمع إجابة شافية من المسيحي. وإن سمع فربما سمع إجابة سطحية لا تروي الغليل!

3- وبعد الشفاء قامت لتخدم:

فما هي يا ترى تلك الخدمة التي قدمتها حماة بطرس؟ لم تكن خدمة عظيمة مشهورة كخدمة مريم أخت هارون التي كانت قائدة ترنيم (خروج 15: 20)؛ ولم تخدم خدمة كدبورة قاضية إسرائيل، فهي لن تتلقَّ تدريباً ولا دعوة إلهية لتكون قاضية لشعبها (قضاة 4: 4)؛ ولست أظن أنها قدمت خدمة كخدمة راعوث، ولا حنة أم صموئيل، ولا أستير الملكة، فإن عدد المشاهير قليل. لكن هناك عدداً كبيراً من المؤمنين العاديين الذين يقدمون خدمات عادية، هامة ولازمة، ولو أنها غير مشهورة. إن الرب يسجل في الإنجيل خدمة حماة بطرس التي ساعدت في المطبخ أو في تنظيف البيت، أو غسل أطباق الطعام بعد أن أكل الضيوف. هذا شيء بسيط يكرمه الإنجيل لأن عملنا اليومي مقدس. السيدة التي تجهز طعاماً لأهل بيتها، أو تغيِّر ملابس طفلها وتقدم له المحبة، تقدم خدمة مقدسة كخدمة قسيس الكنيسة وهو يعظ، أو وهو يقدم للشعب العشاء الرباني. فكل هذه الأعمال هام ولازم، لأنه يعلن للعالم محبة الله التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا (رومية 5: 5). يذكر سفر الأعمال غزالة التي كانت تصنع أقمصة للفقراء (أعمال 12: 12). ويذكر الرسول يوحنا في رسالته الثانية «كيرية» المختارة التي كانت خدمتها أنها ربَّت أولادها. هناك خدمات كثيرة بسيطة قد لا يقدِّرها الناس، وقد ينظر إليها أصحابها على أنها أبسط من أن تُذكر، لكن النعمة الإلهية تذكرها لأنها تريدنا أن نقدِّر أنفسنا، وأن نقدِّر غيرنا من المؤمنين. وفوق الكل ندرك أن السماء تقدّر الخدمة التي نقوم بها، مهما كان بسيطة ما دام الدافع عليها هو المحبة للمسيح والإخلاص له.

وهناك خدمات كثيرة يمكن أن نقوم بها، كخدمة البيت، وتربية الأولاد، وخدمة المرضى والعجائز والذين في وحدة. قُلْ كلمة تشجيع نيابة عن المسيح، ووجِّه ابتسامة باسم المسيح.

(اقرأ متى 25: 34-40)

كانت حماة بطرس عظيمة في أنها استخدمت صحتها المُستردَّة لخدمة المسيح.

كتب الشاعر الأيرلندي «أوسكار وايلد» (مات سنة 1900) قصة قصيرة وصفها بأنها أجمل قصة قصيرة في العالم. قال فيها: «ذهب المسيح من الوادي الأبيض إلى المدينة الرمادية اللون، ورأى سكيراً مضطجعاً في أول

شارع. سأله: «لماذا تُهلك حياتك في السُكر؟» فأجابه: «كنت أبرص فشفيتني، ولما رجعت إليَّ الصحة لم أجد ما أفعله!». ثم قال أوسكار وايلد: «إن المسيح ذهب إلى شارع آخر في ذات المدينة، ورأى شاباً يسير وراء زانيـــة، فسأله: «لماذا تُهلك حياتك في الدَّنس؟» أجابه: «كنت أعمى ففتحت عينيَّ ، فماذا عساي أن أستعمل عينيَّ في غير ما أفعله الآن؟». ثم رأى المسيح رجلاً عجوزاً جالساً على الأرض يبكي، فسأله: «ماذا تفعـــل، ولمـــاذا تبكـــي؟» فأجابه: «لقد أقمتني من الموت، فماذا عساي أفعل غير البكاء؟».

أعتقد أن هذه القصة المؤلمة تذكرنا بكثيرين ممن يأخذون بركات الله ويسيئون استخدامها. وكم نـــشكر الله لأن حماة بطرس لم تكن من هؤلاء!

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- بطرس:

كان بطرس قد صار تلميذاً للمسيح، وكان يملك بيتاً.. قدَّم أولاً نفسه للمسيح، ثم قدَّم سفينته، ثم قدم بيته. وما أسعد الإنسان الذي تصبح حياته كلها ملكاً للمسيح، لأن المسيح يجعلها أفضل، ويضمنها، ويصبح هو غاية تلك الحياة. سعيد هو الإنسان الذي يسلم نفسه للرب تسليماً كاملاً بغير قيد ولا شرط، لأن الرب وقتها يصبح مسؤولاً عن حياة الإنسان كلها، فيتحمل عنا كل مسؤولية نعجز نحن عن حملها، ويتولى زمام الأمور، حاملاً همومنا، غافراً خطايانا، منعماً علينا بالحياة الأبدية.

على أن الرب سمح للمرض أن يدخل بيت بطرس. ولحكمة عنده يسمح بمرض أجسادنا، أو بتعب نفوســـنا، أو بمرورنا باختبارات مؤلمة، لأنه يريد أن يصوغ حياتنا بطريقة معينة لا بد أن يكون الألم جـــزءاً مـــن أســـاليب صياغتها! وهذا أكبر مما نستطيع أن ندركه أو نفسره. لكن بعد أن تمرّ الأزمة نكتشف أنها كانت أهم مـــا شـــكَّل حياتنا وجعلها متناغمة مع مشيئته الإلهية. ومع أن المرض غير مرغوب فيه، إلا أنه عندما يدخل البيـــت يخلـــق تعاطفاً بين أفراده. ربما يكون أبٌ قد صرف كل وقته لكسب المال، وعندما يمرض ولده يصرف كل ما يملك من وقت ومال في سبيل حصول ابنه على الشفاء.. يوقظ المرض الإنسان ليُدرك أنه ليس بالخبز والمال وحدهما يحيا الإنسان، لكن بكلمة الرب.

ويُخرج المرض الصفات الصالحة الكامنة فينا، فكثيراً ما تكون بداخلنا صفات طيبة، ألقى عليها القلق والانشغال والسعي وراء الرزق والاهتمام بالمشاكل اليومية الغبار، فيجيء المرض ليزيح هذا الغبار، ليظهر الصلاح الكامن فينا. وعندها ندرك أن الله هو الذي أودع فينا هذا الصلاح، الذي ينمِّيه هو بعمل الروح القدس، لما نسمح نحن له أن يفعل ذلك فينا.

ترابطت عائلة بطرس معاً واتحدت في مواجهة المرض، لأن حماة بطرس المريضة كانت محتاجة لعناية. ليس المرض شراً كله. صحيحٌ إنه ليس صالحاً، لكنه يُنتج خيراً كثيراً. ولو أننا أدركنا أن كل ما نمر به هـــو بترتيـــب سماوي، لاستطعنا أن نقول: «قُولُوا لِلصِّدِّيقِ: خَيْرٌ!.. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (إشعياء 3: 10 ورومية 8: 28). هذا هو بطرس تلميذ المسيح الذي قدم نفسه وسفينته وبيته للرب، ولكن الرب سمح للمرض أن يدخل إلى بيته، ليُبارك نفس بطرس أكثر، وليباركنا نحن أيضاً ونحن نتأمل ما جرى مع بطرس.

2- المؤمنون أصدقاء بطرس:

تقول القصة كما رواها مرقس: «وَكَانَتْ حَمَاةُ سِمْعَانَ مُضْطَجِعَةً مَحْمُومَةً، فَلِلْوَقْتِ أَخْبَرُوهُ عَنْهَا» (مرقس 1: 30) لأنهم أدركوا محبته وقوته. لو كان مُحباً بغير قدرة لما استطاع أن يشفي. ولو كان قادراً بغير محبة لما اهتم بأن يشفي. لكن لأنه قادر ومحب، كانت قدرته دوماً في خدمة محبته. ولذلك ذهبوا إليه و«أَخْبَرُوهُ عَنْهَا».

الألم والمرض يجعلاننا نخبر المسيح عن حالتنا. أحياناً نعزو نجاحنا إلى أنفسنا. لكن إلى من نذهب بتعبنا؟ قد نفتخر عندما نظن أن شمسنا نحن قد أشرقت، ولكن ماذا نقول عندما تغيب؟ عندما نفشل ونتعب نسمع القول الكريم: «ادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي» (مزمور 50: 15).

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- تواضع المسيح:

في بيت الصياد الفقير حيث تفيح رائحة السمك، وحيث لا مشاهدون، وأمام جسد مريضة يرتعش بالحمى، أجرى المعجزة. عادةً نحب أن يرانا الناس ونحن نعمل عملاً عظيماً، ولكن المسيح يركز كل اهتمامه على المحتاج، لأنه «لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مرقس 10: 45).

وقد كلفه إجراء المعجزة مجهوداً. كانت قوة تخرج منه لتشفي. وكان مستعداً أن يمنح بركات القوة لحماة بطرس، فليس هناك شخص يسميه المسيح بسيطاً أو صغيراً فلا يهتم به.

2- قدرة المسيح:

إنه المتخصص في كل شيء. «وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ فَأَخْرَجَ الأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ» (متى 8: 16).

يُجري المعجزة أمام جمعٍ قليل في بيت، أو يُجري معجزات لكثيرين في الشارع أو الخلاء. لا فرق عنده، فهو الذي يدعو جميع المتعبين والثقيلي الأحمال إليه ليريحهم (متى 11: 28). أينما كنت، وكيفما كانت حالتك هو قادر أن يساعدك.

3- أسرة المسيح:

سأل المسيح مرة: «مَنْ هِيَ أُمِّي، وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي، لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي» (متى 12: 48-50).

لقد دعا المسيح بطرس ليتبعه، ثم ليجعل منه رسولاً له. ولم يطلب من بطرس أن يترك زوجته، فكانت تسافر مع بطرس في خدمته (1كورنثوس 9: 5).

قال القديس أكليمندس الإسكندري (150-220م) مؤسس كلية لاهوت الإسكندرية، إن بطرس وزوجته استُشهدا معاً، وقتلوها قبله، وناداها بطرس باسمها وقال لها: «اذكري الرب».

لقد قدَّس المسيح العائلة والزواج والبيت، وجعل المؤمنين عائلته من لحمه ومن عظامه (أفسس 5: 30).

4- حنان المسيح:

لما سمع طلبة أهل المريضة، يقول مرقس إنه: «تَقَدَّمَ وَأَقَامَهَا مَاسِكاً بِيَدِهَا، فَتَرَكَتْهَا الْحُمَّى حَالاً وَصَارَتْ تَخْدِمُهُمْ» (مرقس 1: 31) أمسك بيدها ليُظهر حنانه، وقوته، وليقوي إيمانها، ويؤكد لها أنه هو مصدر شفائها. في

مرات كثيرة بعد أن ننال البركة من الله نظن أننا نلناها من طريق آخر، فيؤكد لنا أنه هو الذي يهتم بنا، ويتحنن علينا، حتى إذا احتجنا إليه بعد ذلك يمكن أن نرجع إليه، ومن يُقبل إليه لا يخرجه خارجاً (يوحنا 6: 37).

5- إعلان المسيح:

وجود المسيح يشعرنا بحاجتنا. لو لم يكن المسيح موجوداً لما فكروا في طلب شفائها. المرض يصيبنا بالاكتئاب، لكن وجود المسيح يجعلنا نفكر إيجابياً، فيكشف جبلاً كامناً في أعماقنا، لم نكن نرى منه إلا الجزء البارز: جبل من مشاكل، وجبل من محبته لنا ومحبتنا له، فنلجأ إليه هروباً من متاعبنا، وهروباً إلى محبته.

كشف وجود المسيح في سفينة بطرس لبطرس خطيته، فطلب من المسيح أن يخرج من سفينته. وكشف وجود المسيح في بيت بطرس لبطرس وجود القوة الشافية، فطلبوا منه أن يشفيها.

دعا المسيح رجلاً متزوجاً، فرداً هو بطرس، فبارك بيته كله، وشفى حماته، ثم بارك المدينة كلها بوجوده في بيتٍ منها (مرقس 1: 33). برَّر المسيح بطرس بفدائه، وبهذا البار الواحد بارك كل المحيطين به. شكراً لإعلان المسيح.

والآن، ما معنى كل هذه التعاليم لك أنت شخصياً؟

صلاة

أبانا السماوي، أنت تريد أن تجعلني بركة، فأفِض عليَّ بنعمتك. اجعلني تلميذاً لك، وبارك بيتي بواسطتي، وبارك بلدي بواسطة بيتي. امنحني حساسية روحية تجعلني أدرك احتياج مجتمعي، فأشارك الجميع الأخبار المفرحة، فيرتفع على كل الأرض مجدك باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- أين أجرى المسيح هذه المعجزة؟ وماذا نتعلم من ذلك؟

2- اكتب آية كتابية مع شاهدها الكتابي تبرهن أن الله يهتم بكبار العمر.

3- ماذا كانت الخدمة التي قدمتها حماة بطرس بعد شفائها؟

4- ما هي حكمة الله من المرض؟

5- ماذا نتعلم من أصدقاء بطرس؟

6- من هم أعضاء أسرة المسيح الروحيين؟

7- كيف امتدت بركة المسيح من بطرس إلى مدينة بطرس كلها؟

المعجزة الخامسة
شفاء الأبرص

40فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِياً وَقَائِلاً لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي!». 41فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ فَاطْهُرْ». 42فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ، 43فَانْتَهَرَهُ وَأَرْسَلَهُ لِلْوَقْتِ 44وَقَالَ لَهُ: «انْظُرْ! لاَ تَقُلْ لأَحَدٍ شَيْئاً، بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ». 45وَأَمَّا هُوَ فَخَرَجَ وَابْتَدَأَ يُنَادِي كَثِيراً وَيُذِيعُ الْخَبَرَ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَدِينَةً ظَاهِراً، بَلْ كَانَ خَارِجاً فِي مَوَاضِعَ خَالِيَةٍ، وَكَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ» (مرقس 1: 40-45).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 8: 2-4 ولوقا 5: 12-16)

في هذه المعجزة نتأمل كيف شفى المسيح مريضاً بالبرص يصفه البشير الطبيب لوقا أنه «رَجُلٌ مَمْلُوءٌ بَرَصاً» أي في مرحلة متأخرة، وقد ملأ البرص كل جسده. ومرض البرص مرض جلدي يؤثر في الأعضاء التي يصيبها، فتتساقط أطراف المريض، عُقد أصابعه وأنفه وسقف حلقه. ويظهر البرص أولاً كورمٍ أو بياضٍ تتآكل حوافيه فيصير أعمق من الجلد، ويبيضّ الشعر النابت فيه (اللاويين 13).

وكان مرض البرص لعنة، يعتبره اليهود قصاصاً من الله كما حدث مع مريم أخت هارون (سفر العدد 12) ومع جيحزي خادم النبي أليشع (2ملوك 5). وكان لا بد للأبرص الذي يظن أنه شُفي أن يحصل على شهادة شفاء من الكاهن. وكان الأبرص منبوذاً من المجتمع، يجب أن يخرج من البلد ليقيم وحده أو مع مجموعة من المرضى المصابين بنفس المرض، وعندما يقترب إليهم شخص من الأصحاء، كان على الأبرص أن يصرخ: «أبرص! أبرص» ليَبْعُد السليم عنه. ولذلك كان اليهود يربطون دوماً بين الخطية والبرص، فكانوا يعتبرون البرص نجاسة تُبعد الإنسان عن المجتمع وعن بيت الله. ولم يكونوا يعرفون للبرص علاجاً، ولذلك كان الأبرص يقضي وقته بلا أمل خارج المجتمعات السكانية، منتظراً تساقط أعضائه وموته. هذا هو الشخص الذي لا يجب أن يُلمس أبداً.

جاء هذا المملوء بالبرص وسجد أمام المسيح وقال: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي!». لم يكن عنده شك في قدرة المسيح، لكن كان يشك في محبة المسيح. إنه يعلم أن المسيح لو أراد يستطيع أن يطهره. وتحنن المسيح عليه ومد يده ولمسه. وهذا ممنوع حسب الشريعة الموسوية، ولكن رب الشريعة، الذي هو رب السبت أيضاً، مدَّ يده ولمسه بمحبة وقال له: «أُرِيدُ فَاطْهُرْ». فللوقت والمسيح يتكلم ذهب البرص عنه وطهر. ونبَّهه المسيح أن لا يحكي لأحدٍ خبر هذه المعجزة، ولكن الرجل لم يطع، بل مضى ينادي في كل مكان بما فعله المسيح معه. ولم يكن له حق أبداً أن يكسر وصية الطبيب الذي شفاه، لكن مشاعره سيطرت عليه تماماً فلم يُطع الأمر الموجَّه إليه. ونتيجة لذلك اجتمع كثيرون حول المسيح، فاضطر أن يخرج خارج مدينة كفرناحوم، لأن الناس ضيَّقوا عليه بازدحام أكثر من اللازم. وطلب المسيح من الأبرص الذي شُفي أن يذهب للكاهن، الذي كان يقوم بالعمل الذي يقوم به اليوم طبيب الصحة، ليعطيه شهادة شفاء ليستطيع أن يرجع إلى المجتمع الذي نبذه. وفي الوقت

نفسه يقدم مع الكاهن ذبيحة تطهير من مرضه شكراً على شفائه. وذهب المريض إلى الكـــاهن وأخـــذ شـــهادة الشفاء.

أولاً: المحتاج والمعجزة

1- إحساسه بالاحتياج:

دفعه إحساسه بالاحتياج ليذهب إلى المسيح، لأنه يعلم أن الطب لا يستطيع أن يـــشفيه، فأمثالـــه لا دواء لهـــم. وبسبب البرص كان الرجل عاجزاً عن العمل، كما لم يكن المجتمع يقبل أن يدخل الأبـــرص ليعمـــل وســـطه.. مسكين! فَقَد صحته، وفقد أيضاً مورد رزقه. ثم أن المجتمع لفظه، فهو مرفوض من الجميـــع. وعنـــدما يكـــون إنسان في مثل هذا الموقف تضيع قيمته في نظر نفسه ويحتقر ذاته.

الإحساس بالاحتياج هو الذي يُلجئنا إلى المسيح، لأنه لا يحتاج الأصحاء أو من يظنون أنهـــم أصـــحاء إلـــى طبيب، بل المرضى. ولذلك جاء المسيح لا ليدعو من يظنون أنفسهم أبراراً بل الـــذين يكتـــشفون أنهـــم خطـــاة محتاجون إلى التوبة (مرقس 2: 17).

هذا الأبرص يقدم لنا صورة واضحة للخاطئ البعيد عن الرب، فهو لا يحترم نفسه، ولا يجد علاجـــاً حولـــه. وليس له ملجأ إلا المسيح الطبيب، الواحد الوحيد الذي يقدر أن يعالجه. الخطية عار كمـــا أن البـــرص عـــار. الخطية خطر على صاحبها كما أن البرص كذلك. ونتيجة الخطية موت كما أن نتيجة البرص موت بلا أمل.

2- تقديره السليم للطبيب:

على أن خوف الرجل من رفض طلبه لم يمنعه من أن يذهب بطلبه إلى المسيح، فكثيرون يعتبرون أنفسهم أشراراً أكثر من اللازم، ويمنعهم هذا من الالتجاء إلى المخلِّص. لكن لا يجب أن يمنعنا شيء عن اللجوء إلى المسيح، مهما كانت حالتنا، حتى إن كنا نظن أنه سيرفضنا.

ونرى تقدير الأبرص للطبيب. لقد سمع عن إله الحب والشفقة، (كان المسيح قد أجرى أربع معجـــزات قبـــل لجوء الأبرص إليه، فهذه المعجزة حسب الترتيب التاريخي للحدوث هي المعجزة الخامسة للمسيح). فلا بد أنـــه سمع عن أربع معجزات أجراها المسيح من قبل، فأدرك أنه أمام إله الحب والشفقة، ممثل السماء الذي يفعل مـــا لا يستطيع غيره أن يفعله.

ثم أنه انجذب إلى المسيح، ففي تواضع جثا وسجد أمامه، بالرغم من أن السجود يسبِّب له الكثير من الألم فـــي عضلاته المريضة شبه العاجزة.

وعبَّر عن إيمانه بقدرة المسيح، فقدم طلباً محدداً: «أنا لا أقدر أن أشفي نفسي، وغيري لا يقـــدر أن يـــشفيني. لكن أنت إن أردت تقدر أن تطهرني». لقد أخذ قراراً بأن يجيء إلى المسيح، فنال قبولاً وتمتع بالشفاء.

عبَّر هذا الرجل للمسيح عن حالته تعبيراً صادقاً وهو يقول: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي!». إنه يدرك نجاسة حالته فطلب الطهارة. وعبَّر عن ثقته «تَقْدِرْ». واعترف بالصعوبة التي في طريقه هو إلى المسيح «إِنْ أَرَدْتَ». كان صادقاً مع نفسه فاعترف بنجاسته، وصادقاً مع المسيح فعبَّر عن ثقته في قدرة المسيح، وعبَّر عن شكه في أن يقبل المسيح طلبه! وهذا الشك تعبير عن خوفٍ من جانبنا فقط، فقد جاء المسيح ليشفي السقيم وليردَّ الضال، وهو يريد أن الجميع يخلُصون.

وكان تعبير الرجل عن واقعه عملياً، فرأينا فيه البؤس في محضر الرحمة، والعجز يسجد للنعمة، والمرض يستسلم للطبيب، والإيمان يستنجد بالمحبة.

3- نواله ما طلب:

تحنن المسيح على الأبرص ومدَّ يده ولمسه وقال: «أُرِيدُ فَاطْهُرْ» فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص. المسيح صاحب السلطان على المرض، والطبيعة، والموت، والأبالسة. وظهر هنا سلطانه الكامل. لكن ما يُفرح قلوبنا أن الأبرص كان قد سلَّم زمام الموقف للمسيح لما سجد أمامه وطلب منه.

4- عصيانه لتعليمات المسيح:

فعل الأبرص ما لم يكن واجباً أن يفعله. طلب منه المسيح أن لا يقول لأحدٍ شيئاً عن معجزة شفائه، لكنه مضى يعلن ما فعله المسيح معه. وتسبَّب عصيانه في أن المسيح ترك كفرناحوم وخرج إلى البرية. كنا نود لو بقي المسيح في كفرناحوم ليجد مكاناً أكثر راحة لجسده. لكن إعلان الأبرص المستمر عن عمل المسيح جعل الجموع تزدحم حول المسيح، فخرج بعيداً. هناك حكمة في طلب المسيح من هذا الأبرص أن يمتنع عن الحديث، ولكن الأبرص لم يرَ تلك الحكمة، ففعل ما ظنَّ أنه صواب. كان يمكن أن يعطي غيره فرصة ليشهد عما جرى له، لكنه أراد أن يفعل ذلك بنفسه.

ثانياً: المسيح والمعجزة

1- حنان المسيح:

حنانه فوري وتلقائي لا يتأخر أبداً عن طالب المعونة. لم يحدث أن جاءه شخصٌ ومضى من عنده فارغاً، فهو القائل: «مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً» (يوحنا 6: 37). كان الأبرص يتساءل عن إرادة المسيح، فجاوبه المسيح بمحبة: «أُرِيدُ فَاطْهُرْ». أنت تسأل، والمسيح يجاوب محطماً العقبات التي بينك وبينه. يقيم الخاطئ العقبات دائماً بينه وبين المسيح، لكن المسيح لا يقيم عقبة واحدة بينه وبين الخاطئ، لأن الله يطلب مصالحتنا لنفسه حتى لو لم نذهب لنطلب الصلح. هو لم يتخاصم معنا، ولم يكرهنا أبداً، ولا يتأخر علينا مهما كانت خطايانا، ولكن نحن الذين نتأخر بخطايانا عنه.

2- لمسة المسيح:

(أ) لمسه لمسة القوة الإلهية: في قصيدة إنجليزية عنوانها «لمسة يد الخبير» حكاية عن كمان قديم كان معروضاً للبيع، ولم يكن الناس مستعدين أن يدفعوا فيه كثيراً لأنه قديم. وفجأة جاء موسيقار وتفرس في الكمان وعرف أنه كمان أستاذه. فتناوله وعزف به عزفاً رائعاً، فارتفع الثمن فوراً، وأقبل كثيرون لشراء الكمان القديم. أما سبب الفرق بين الثمن القليل والثمن الكثير فهو «لمسة يد الخبير». والمسيح الذي لمس هو صاحب اليد الخبيرة القديرة التي رفعت قيمة الأبرص المنبوذ وجعلت منه إنساناً جديداً صحيح الجسد والنفس والروح.

(ب) ولمسة المسيح للمريض علامة ظاهرة تؤكد للمريض محبة المسيح: منذ أصابه المرض لم يلمسه أحد من الأصحاء أبداً. أما المسيح فأكد له: «الناس هجروك ولكن أنا أحبك. لا أحد يريد أن يلمسك ولكني أنا ألمسك لأشفيك وأباركك». في كل مرة نرى شخصاً يعتمد باسم الآب والابن والروح القدس، وفي كل مرة نجلس حول

مائدة العشاء الرباني نرى ونأخذ شيئاً ملموساً يؤكد لنا أن الله يحبنا. والمسيح دوماً يلمس عقولنا وقلوبنا ليؤكد لنا محبته، لأن قوته الكامنة في لمسته تهبنا البركة والنعمة.

(ج) ولمسة المسيح تطهِّر الفاسد: لمس المسيح الأبرص دون أن يتنجس، كما لمس الميت دون أن تسري برودة الموت إلى يده الدافئة العامرة بالمحبة والحياة. كان المسيح كشعاع نور يمضي وسط بيئة ملوثة، وهو في كامل نقائه!

يقولون إن راهبة في دير إيطالي حلمت أن ملاكاً جاءها وفتح عينيها لترى الناس على حقيقتهم، فقالت: «ليت الملاك ما فعل، لأني رأيت ما كرهت!». ولكن فجأة ظهر المسيح لها بجراحاته، وكل من لمسه طهر، فقالت: «الآن فهمت ما رأيت!». منظر سيء لخطية الناس، ولكن ما أجمل نعمة المسيح التي تعيد الصحة للمريض! ولا زال المسيح إلى يومنا يلمس أيدي الناس لتفعل خيراً، وشفاههم لتتكلم حسناً، وعيونهم لترى احتياجات الآخرين، وآذانهم ليسمعوا صوته الذي يشجعهم، وأرجلهم لتذهب إلى الأماكن المحتاجة للخدمة. ولا زالت لمسته عامرة بالخبرة والقوة والمحبة، لأنه يلمس الذين ضيعتهم الخطية فيردهم لملكوت محبته.

قال أحد القديسين: «مدَّ الله يده ولمس الطبيعة الإنسانية بتجسُّده. فقد جاء إنساناً بيننا».. «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ» (عبرانيين 2: 14).

3- قوة المسيح:

المسيح هو كلمة الله، والكلمة دوماً تحمل سلطان قائلها: «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ». فللوقت وهو يتكلم ذهب البرص وطهر المريض. رأينا في شفاء ابن رجل البلاط الملكي (يوحنا 4) المسيح يشفي بكلمة من بعيد، ورأيناه يشفي حماة بطرس وهو قريب منها، فهو دوماً صاحب السلطان الذي يستخدم طرقاً مختلفة. وهنا تحنن ومدَّ يده ولمس الأبرص فنال الشفاء باللمسة والكلمة.

كل مريض شفاه المسيح يؤكد لنا احتجاج المسيح على المرض وعلى الخطية وعلى الموت. لقد خلقنا الله لنحيا بحياته، ودخلت الخطية إلى العالم فأفسدت ما دبَّره الله. ويجيء المسيح ليعيد الشيء إلى أصله، فقد جاء لتكون لنا حياة وليكون لنا الأفضل (يوحنا 10: 10). فإن كنا قد ضيَّعنا الهدف الذي من أجله أوجدنا الله، وإن كنا قد خيَّبنا أمل السماء فينا، فإن المسيح يمنحنا فرصة جديدة للصحة والتقدم لعمل المشيئة الإلهية.

4- طلب المسيح:

طلب المسيح من الأبرص الذي نال الشفاء ألا يخبر أحداً عن شفائه. بينما نقرأ في مرقس 5: 19 أَمْر المسيح للرجل الذي أنقذه من الشياطين: «اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ». فلماذا أمر الأبرص الذي شفاه ألا يتكلم، بينما أمر الرجل الذي شُفي من الأبالسة أن يتكلم؟

يكلِّف المسيح كل واحد بما يجب عليه، وبما يقدر أن يقوم به. إننا لا نعرف لماذا، لكننا ندرك أن لأعضاء جسد المسيح وظائف متنوعة بحسب المواهب المختلفة المعطاة منه لها. قد يطلب منك أن تفعل شيئاً، ويطلب من جارك أن لا يفعله، أو العكس. إنما المطلوب منا أن نكون منفتحين لأوامر الروح القدس لنرى ما يكلفنا الله بعمله. قال القديس يوحنا فم الذهب: «ربما لم يرد المسيح أن يذيع الأبرص خبر شفائه ليمنعه من الافتخار بفضائله وليخفيها؛

وربما لم يرد في ذلك الوقت أن تجري الجماعات كلها إليه فتعطل تعليمه». كل واجبنا أنه عندما يطلب منا شيئاً ننفذه كما هو، وما أجمل وصية العذراء المطوبة: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ».

5- المسيح يكمل الناموس:

المسيح فوق الناموس، وقد لمس الأبرص دون أن يتنجس طقسياً. غير أن المسيح خضع للناموس، لأنه لم يأتِ لينقض الناموس بل ليُكمله. فطلب من الأبرص أن يذهب إلى الكاهن ويقدم عن تطهيره ما أمر به موسى شهادة لهم (لاويين 14: 9، 10 و21-23). إنه يريد للرجل أن ينال شهادة الشفاء أمام المجتمع.

نختم تأملنا في هذه المعجزة بالقول إن هناك تشابهاً كبيراً بين البرص والخطية. فالبرص داءٌ لا شفاء منه كما لا يستطيع الناس أن يجدوا لأنفسهم شفاءً من داء الخطية. والبرص يعزل الإنسان عن المجتمع، كما أن الخاطئ جزيرة منفصلة عمَّن حوله. عندما رأى أبونا الأول آدم زوجته حواء أنشد فيها شعراً، قال فيه: «هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ» (تكوين 2: 23). لكن عندما دخلت الخطية إلى قلبه نسي الشعر الذي نظمه وقال لله: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» (تكوين 3: 12) وألقى اللوم كله عليها! تجعل الخطية تركيز الإنسان على نفسه قليل الاهتمام بغيره. والرب هو القادر أن يشفينا ويعيدنا مرة أخرى إلى مجتمعنا، صالحين نافعين للحياة كنور للعالم وملح للأرض.

فهل ترى خطيتك؟ وهل ترى محبة إلهك؟ وهل تسرع إليه ليغفر لك؟

صلاة

أبانا السماوي، المحب العظيم الصالح القدوس. تفتح يدك فنشبع خيراً. أعطِ راحة لقلوبنا ونحن نتعامل معك، وامنح سلامة لأجسادنا ونحن نتلامس مع محبتك، فتُشفَى أمراضنا، ونتقوى على ضعفاتنا، ونُلهَم إلهاماً سماوياً. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- اكتب وصفاً لمرض البرص.

2- أكمل هذه الجملة: «كان الأبرص يثق في.. المسيح، ولكنه كان يشك في.. المسيح».

3- اكتب ثلاثة أوجه شبَه بين مرض البرص والخطية.

4- عبَّر الأبرص عن مشاعره نحو المسيح: اكتب ثلاث جُمل تصف هذا التعبير.

5- لماذا طلب المسيح من الأبرص أن لا يعلن خبر شفائه؟

6- اذكر ثلاثة أوصاف للمسة المسيح للأبرص الذي نال الشفاء.

7- اشرح كيف ظهرت قوة المسيح في هذه المعجزة.

المعجزة السادسة

شفاء المفلوج

1ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيْضاً بَعْدَ أَيَّامٍ فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ. 2وَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلاَ
مَا حَوْلَ الْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ. 3وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجاً يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. 4وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا
إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ.
5فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». 6وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ
يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: 7«لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟» 8فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ
يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ 9أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ
لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟ 10وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ
سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» - قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: 11«لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ».
12فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللَّهَ قَائِلِينَ: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!»
(مرقس 2: 1-12).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 9: 1-8 ولوقا 5: 17-26)

هذه هي المعجزة السادسة التي أجراها السيد المسيح بحسب الترتيب التاريخي الذي يعتقده معظم المفسرين، وهي معجزة شفاء المشلول الذي أنزلوه من السقف إلى حيث كان المسيح يجلس. جرت هذه المعجزة في كفرناحوم، وغالباً في بيت بطرس في كفرناحوم. لقد وُلد المسيح في بيت لحم، وتربى في الناصرة، لكنها رفضته، فانتقل ليسكن في بيت تلميذه بطرس. وما أعظم البركات التي نالها ذلك البيت الذي استضاف المسيح، ولكن في الوقت نفسه ما أكبر الثمن الذي دفعه بطرس وأسرته لما فتح بيته للمسيح! لقد صار البيت محل خدمة عامة: صار مدرسة، ومستشفى، وكنيسة!

عندما شفى المسيح الأبرص، أمره ألا يخبر أحداً. ولم يستجب الأبرص المشفي لأمر المسيح، بل خرج يُعلن في كل مكان أن المسيح شفاه. وكانت نتيجة هذا الإعلان الذي نبع من امتنان الأبرص لطبيبه أن الناس جاءوا إلى حيث يقيم المسيح. وبلغت أخبار تعاليم المسيح ومعجزاته أسماع شيوخ اليهود في أورشليم، فأرسلوا مجموعة من الكتبة ليراقبوا المسيح ويكتبوا تقريراً عنه: من هو؟ هل هو ساحر؟ هل بقوة الشيطان يخرج الشياطين؟.. من يكون؟ وامتلأ بيت بطرس بالكتبة والأصدقاء والمحتاجين، والتلاميذ. كان هناك مؤيدون للمسيح، كما كان هناك معارضون له. ولذلك فإن معجزة شفاء المشلول تُرينا مجموعة كبيرة من الشخصيات التي نتأملها، سواء كانوا من محبي الاستطلاع، أو من المقاومين. ثم نتأمل المحتاج والمعجزة، ونختم بالتأمل في المسيح والمعجزة.

أولاً: المؤمنون والمعجزة

1- سمعان بطرس، صاحب البيت:

أعطى بيته للرب، فباركه الرب وشفى حماته. لكن قليلاً ما نجلس لنفكر في البيت الذي ينفتح لخدمة المسيح. كان البيت مليئاً بالضيوف، حتى لم يجد بطرس فرصة الانفراد بأسرته. ويوم شفاء المشلول جاءت جماعة تحمل المريض ونقبت السقف. ولا بد أن بطرس وأفراد أسرته كانوا في تركيز وانتباه لتعليم المسيح، ولكنهم اضطروا أن يرفعوا رؤوسهم إلى سقف بيتهم الذي يُنقب! وها هو فراش ينزل من فوقهم يرقد فيه رجل!

هناك دوماً تكلفة لاتِّباع المسيح. صحيح أن اتّباعه بهجةٌ وفرح، ولكن له ثمناً يكون أحياناً كبيراً! نظر بطرس إلى السقف المنقوب، والتراب المتساقط منه. وها هو مشلول لا يعرفه يصبح ضيفاً عليه، هبط من السقف لأنه لم يقدر أن يدخل البيت من بابه! ولا بد أن بطرس كان سعيداً بالرغم من هذا كله. يقول النبي إشعياء: «عَلَى أَسْوَارِكِ يَا أُورُشَلِيمُ أَقَمْتُ حُرَّاساً لاَ يَسْكُتُونَ كُلَّ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ عَلَى الدَّوَامِ» (إشعياء 62: 6). هل فكرنا في هؤلاء الحراس؟ إنهم دوماً يخدمون الذين على الهامش. والحراس لا يستطيعون الدخول إلى عمق المدينة بل يبقون عند الأسوار وعند الباب ليجتذبوا البعيدين الذين يريدون أن يقتربوا ليدخلوا، وليحافظوا على الهامشيين الذين يريدون أن يخرجوا، ليبقوا. إن هؤلاء لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام. هذا كان بيت بطرس المفتوح للمسيح على الدوام نهاراً وليلاً.

لو أن المسيح كلَّفنا أن نفتح بيتنا له، هل سنفعل ما فعله بطرس؟

وما أعظم فرحة بطرس لما خرج الضيف المشلول من بيته صحيحاً يحمل سريره! لقد نجح مستشفى بطرس الذي يديره الطبيب يسوع!

2- الحاملون الأربعة، أصدقاء المفلوج:

(أ) قرر الأربعة أن يحملوا مريضهم وحبيبهم إلى حيث يلتقي بالطبيب الشافي، فحملوه إليه. هؤلاء رجال محبُّون، يضحُّون من أجل محبتهم، ولا يكتفون بالتمنيات الحسنة. كما أنهم مؤمنون بقوة المسيح القادر على الشفاء. ثم أنهم مُصرِون على ما يفعلون لشدة اقتناعهم به. ولما لم يقدروا أن يصلِوا بالمريض إلى المسيح من الباب بسبب الزحام، كان يمكن أن يعتذروا للمريض ويقولون: «حملناك إلى هنا، وتستطيع أن ترى بعينيك أننا فعلنا كل ما استطعنا، بلا فائدة!». لكنهم كانوا مصرِّين أن يوصِّلوا المريض للمسيح.

(ب) ثم أنهم كانوا خلاقين، فالصعوبة تجعل الشخص خلاقاً. فبسبب إصرارهم على توصيل الرجل للمسيح، فكروا في طريقة جريئة غريبة توصلهم! قرروا أن يصعدوا السلالم الخارجية إلى سطح البيت. وكانت البيوت في فلسطين في أغلب الأحيان عبارة عن بهو كبير حوله غُرف، وهناك سُلّم خارجي يوصل إلى العلية التي هي غرفة الضيوف على السطح.. حمل الرجال الأربعة المفلوج على السلالم الخارجية إلى السطح، وعندما نظروا إلى البهو لم يكن المسيح جالساً فيه، فقد جلس تحت مكان مسقوف، فقرروا أن ينقبوا السقف ليُنزلوا المشلول أمام المسيح مباشرة. كانت بعض الأسقف من الطوب المعشَّق الذي يمكن أن يُرفع ثم يُعاد إلى مكانه. وبدأ الحاملون الأربعة ينزعون من الطوب المعشق مساحة تكفي لنزول سرير الرجل المريض.

نحن مدينون لهؤلاء الحاملين الأربعة لأنهم يعلِّموننا درساً عظيماً، وهو أن الذين يجيئون بالناس إلى المسيح المخلِّص يجب أن يكونوا مُحبين، فاعلين لا يكتفون بمحبة الكلام، خلاقين، مصرّين، مضحّين.

(ج) ولكن هناك صفة أخرى كانت لازمة للحاملين الأربعة. كان لا بد أن يكونوا متعاونين معاً لينزل سرير المفلوج باتزان دون أن يقع المشلول منه. لو استعجل أحدهم ولم تتوافق سرعة إنزاله للسرير مع سرعة الثلاثة الآخرين، لوقع المفلوج وتكسرت عظامه، ولأصبح على المسيح أن يُجري معجزتين للرجل الواحد:

شفاء الشلل، وشفاء الكسور. هؤلاء الأربعة يعلموننا كيف يجب أن نتعاون كأعضاء كنيسة، وكمجموعة كنائس.

هناك حلم في قلب كل الذين يحبون المسيح، وهو تعاون الطوائف المسيحية لخدمة عالمنا ولخدمة النفوس. ولما كان هذا الحلم أكبر جداً من أن نتصور تحقيقه، نقول إن كنائس الطائفة الواحدة تتعاون معاً. ولكن يبدو أن هذا أيضاً حلم صعب التحقيق، فنرجو أن الكنيسة المحلية باجتماعاتها المختلفة تتعاون معاً. وأحياناً لا يتحقق هذا الحلم أيضاً، فنكتفي بأن نطلب من الله أن يجعل الاجتماع الواحد متعاوناً في محبة. وربما كان الاجتماع الواحد في الكنيسة الواحدة يحتاج إلى محبة! إذاً لنبدأ من البدء، ولنطلب سلام الله في داخلنا فلا تكون هناك حرب أهلية بين الإنسان وبين نفسه. وعندما يجد الإنسان سلامه الداخلي مع نفسه يجد سلامه مع عائلته، ثم مع الاجتماع الذي ينتمي إليه، ثم مع الكنيسة كلها التي يصلي فيها، ثم مع الطائفة التي تنتمي إليها هذه الكنيسة، ثم إلى مجموعة الطوائف المسيحية في العالم كله.

(د) كان الحاملون الأربعة متعاونين للغاية، فقاموا بوظيفتهم التي انتهت بالنهاية السعيدة: أن المسيح شفى المفلوج. حملوا المفلوج بحب، وتسلقوا به إلى السطح بإيمان، ونقبوا السقف بجسارة، وأنزلوا المفلوج واثقين في محبة المسيح. وهنا انتهى دورهم فصمتوا أمام المسيح انتظاراً. كانت طلبتهم من المسيح طلبة عملية ملموسة. لم تكن مكتوبة بحبرٍ على ورق، لكنها كانت إنساناً حياً يحمله سرير مربوط من أطرافه الأربعة بأربعة حبال، يقول للمسيح: «اللهمَّ ارحمني!».

(هـ) وأعتقد أن هناك شيئاً قام به الحاملون الأربعة غير مذكور في القصة: هو أنهم غالباً أعادوا سقف بيت بطرس إلى ما كان عليه قبل نقبه، لأنهم كانوا يملكون من المحبة ما جعلهم ينقبون السقف، وأعتقد أن لديهم من الأمانة ما جعلهم يُرجعون السقف المنقوب إلى حالته الأولى.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- الكتبة:

جاءوا من أورشليم ليستطلعوا من هو المسيح: هل هو المخلِّص الآتي، أم هل هو ساحر كذاب؟ وعندما رأى المسيح المفلوج، ورأى إيمان الرجال الأربعة، بدأ بأن قال: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». وفكر الكتبة في قلوبهم قائلين: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟». كان الكتبة يمتلكون المعرفة، حتى أنهم كانوا يعرفون عدد حروف «الألف» مثلاً في التوراة العبرية. كانوا يعرفون كتابهم المقدس معرفة كاملة، ولكن قلوبهم كانت خالية من النعمة! اتهموا المسيح أنه مجدِّف. وكلمة «مجدف» معناها الافتراء على الناس (1كورنثوس 4: 13)، لكنها في النصوص الكتابية تُطلق على الشخص الذي يأخذ المجد الذي يحقُّ للرب وحده. فالمجد في مغفرة الخطية يحق لله وحده. وها هو المسيح يقول: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاك». إذاً أخذ المسيح مجداً هو مجد الرب، فقالوا إنه يتكلم بتجاديف! ونحن نعلم أن المسيح عندما ساوى نفسه بالله لم يفعل ذلك اختلاساً (فيلبي 2: 6).

2- ضيوف بيت بطرس:

بُهتوا ومجدوا الله قائلين: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!». بُهتوا واندهلوا كأطفال. نحتاج أن نرجع إلى روح الطفل ونحن نتعامل مع المسيح، فننبهر من عمل النعمة. تعوَّدنا أن نتلو الصلاة الربانية بدون تفكير في معانيها. وتعوَّدنا أن نتناول من مائدة العشاء الرباني كعادة روتينية. ليعطنا الرب الانبهار، فلا نتناول بطريقة روتينية، ولا نصلي كلمات تعوَّدناها فلم تعُد تحرك قلوبنا!

وفي انبهارهم مجدوا الله وشكروه، فقد جازوا اختباراً روحياً خاصاً ملأهم بمشاعر التوقير للمسيح. ونحن عندما نجوز في اختبار كهذا نرتل التراتيل القديمة المعروفة بروح جديدة، وننفعل مع المعلومات القديمة بطريقة جديدة. الكلمات هي نفسها، لكن المرنم ليس هو نفس المرنم، فقد تغيَّر وصار إنساناً جديداً. سمعوا المسيح يقول: «لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» فعرفوا فيه المسيح، آدم الثاني. آدم الأول ضيَّعنا، وآدم الثاني يردنا إلى نفوسنا، ويرّد نفوسنا إلينا، لأنه يعيد لنا العلاقة السليمة مع الله التي حطمتها الخطية. آدم الثاني هو ابن الإنسان الذي أعاد إلينا مجدنا الأول! «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» بفعل كفارة الصليب. فما فقدناه في ممثلنا الأول عاد إلينا في ممثلنا الثاني: السيد المسيح.

ثالثاً: المحتاج والمعجزة

1- كان المحتاج مشلولاً:

عنده حياة ولا يحيا، تدخل أنفاسه إلى صدره ولا تبعث فيه القدرة على القيام ليؤدي عملاً نافعاً. يأكل ويشرب ولا ينتج. ليس عنده أمل في الشفاء.

أليس هذا ما تفعله الخطية؟ ننال بركات الرب، ولكننا لا نخدمه. تدخل أنفاسنا إلى صدورنا، وهي من عند الرب، ولكنها لا تبعث فينا قوة ولا طاقة لنؤدي شيئاً لخدمته. كثيرون شلَّهم الماضي بعُقده ومُركَّبات نقصه ومخاوفه وقلقه ونقص أمنه وتعذيب ضميره، فيقعدون مشلولين، مع أن المسيح يريد أن يطلقهم أحراراً من عبودية الماضي ليعيشوا مستقبلاً جديداً بغير خوف ولا مرض!

2- كان مرضه واضحاً للجميع:

كان ما قاله الرسول بولس يصف حاله: «خَطَايَا بَعْضِ النَّاسِ وَاضِحَةٌ تَتَقَدَّمُ إِلَى الْقَضَاءِ، وَأَمَّا الْبَعْضُ فَتَتْبَعُهُمْ» (1تيموثاوس 5: 24). أي أن بعض الناس خطاياهم واضحة، وخطايا بعضهم مختفية، لكنهم جميعاً خطاة يحتاجون إلى نعمة الله. وكانت خطية هذا الرجل المشلول ومرضه واضحين للجميع.

3- وكان خاطئاً يحس بخطيته ويعرف أنه أخطأ:

وقد شخَّص المسيح طبيب الأجساد والأرواح في ذلك المشلول ما هو أعمق من مرض الجسد، ولما رأى إيمان الحاملين الأربعة، قال للمفلوج: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». في هذه الحالة كانت الخطية سبب الشلل، ولو أنه في حالات أخرى لم يكن المرض نتيجة الخطية، كما قال المسيح عن المولود أعمى: ««لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ» (يوحنا 9: 3). هنا كانت خطية المشلول سبب مرضه، وكان المريض يعلم ذلك. والمسيح لا يعالج الظواهر فقط بل يعالج الأساس أولاً.

4- نال الغفران أولاً، ثم نال شفاء الجسد:

«أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ» (يعقوب 5: 14، 15). هاتان الآيتان تصفان ما جرى للمشلول الذي شُفي: نال الغفران أولاً، ونال الشفاء ثانياً. كثيرون نعموا بشفاء الجسد من المسيح، لكنهم لم ينالوا غفران الخطية. وبعض الناس اليوم ينالون غفران الخطية ولكنهم يظلون مرضى. ولحكمةٍ عند الرب يفعل معنا ما يراه لصالحنا.

جاء التبرير للمفلوج من كلمة قيلت له، صارت فيه، لأنه آمن بصاحب الكلمة، فنال الشفاء فوراً. كان السرير يحمله فحمل هو سريره، وصارت علامة مرضه برهان صحته وسلامته. والذين رفضوا أن يفسحوا له

الطريق إلى المسيح وهو يحاول الوصول إليه، أفسحوا له طريق الخروج بعد شفائه ليمشي ويعلن: «لقد شفاني». دخل يحمل آثار الخطية وخرج يحمل آثار نعمة الله وبرهان قوته.

رابعاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح العارف:

رأى المسيح إيمان الحاملين الأربعة، ورأى خطية المفلوج، فقال له: ««يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». كانت طلبتهم شفاء الجسد. ولكن الرب رأى أولويةً قبل ذلك هي غفران الخطية، فغفرها.

وفكّر الحاضرون من الكتبة في قلوبهم: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟». فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ». عرف سريرة قلوبهم وما اختبأ بداخلهم. فهو يعرف أسرارنا وما بنا. إن كنت خائفاً هو يعرف ويريد أن يعطيك الاطمئنان. إن كنت قلقاً يريد أن يمنحك السلام. إن كنت غير واثق في محبته فهو يؤكد لك الحب. وإن كنت خاطئاً يكشف خطيتك ليشفيها تماماً كما يفتح الجرَّاح مكان فساد ليستأصله فيسترد المريض الصحة. إنه يعرف ويكشف لأنه يريد أن يداوي ويعالج.

2- المسيح المعلم:

كان الكتبة يعرفون حرف الشريعة دون أن يفهموا روحها، فلم يطبقوها. وفي موقف شفاء المفلوج كان يمكن أن المسيح يكتفي بإسكات تساؤلاتهم الداخلية بإجراء المعجزة، لكنه كمعلم عظيم أراد أن يشرح لهم روح الشريعة. لم يُجر المسيح معجزة للدفاع عن نفسه، ولا لإسكات خصومه، لكنه أجرى المعجزة لأنه يحب البشر. سألهم: «أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟». الاثنان مهمان، ولو أن الحديث أمام الناس عن غفران الخطية سهل، لأن أحداً لا يرى إن كانت الخطية مُحيت من سجلات السماء أو لا زالت باقية. أما شفاء المرض فصعب أمام الناس لأنه يتطلب برهاناً منظوراً فورياً. ثم علَّمهم المسيح أنه يملك الأمرين، فشفى المفلوج وغفر خطاياه.

3- المسيح المحب:

أظهر محبته للكتبة رغم انتقادهم له، ففسَّر لهم ما صعُب عليهم فهمه، ولم يدع انتقادهم له يعطل محبته التي توضح الحق وتشرح الصعب. جلس في بيت بطرس وسمح للجمهور أن يحيط به كل الوقت، حتى لم يتوفر لديه وقت للأكل والراحة. ولما سقط غبار السقف عليه عندما رفعه الحاملون تقبَّل الأمر بمحبة وعطف، واستجاب طلبة الرجال الأربعة الذي حملوا المفلوج إليه. كان عطاء المسيح بغير حدود، للروح وللجسد. كان هذا يكلفه قوة تخرج منه لتشفي، وعمل فداءً يكفّر عن خطايا الخطاة.

4- المسيح صاحب السلطان:

قال المسيح: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (متى 28: 18). وهذه المعجزة ترينا سلطانه على المرض وعلى الخطية.

قال الرسول بولس إن المسيح لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله (فيلبي 2: 8) بمعنى أنه لما عادل المسيح نفسه بالله لم يكن مختلساً لما ليس من حقه، فقد كان غفران الخطايا حقه الطبيعي. هو صاحب السلطان على سفر الحياة ليكتب اسم المشلول المشفيّ فيه. وهو صاحب السلطان على الجسد الإنساني ليُعيد للمشلول صحته الكاملة. ظنَّ الكتبة أنه يجدف لكنه كان يمارس حقه الطبيعي.

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك لأننا نجد في المسيح خلاصنا الكامل، شفاءً لأمراضنا وغفراناً لخطايانا. نطلب من محبتك أن تكون لنا بركات النعمة الغنية، فبفضل عطاياك نقدِّم من علامة مرضنا برهان شفائنا، ومن مظاهر قلقنا دليل سلامنا، لأنك لمست حياتنا. باسم المسيح آمين.

أسئلة

2- كيف صار بيت بطرس محل خدمة عامة للبلد كلها؟

2- ما هو الثمن الذي تكلَّفه بطرس من اتِّباعه للمسيح؟

3- ما هو الجزاء الذي ناله بطرس لما أعطى بيته للمسيح؟

4- اكتب أربع صفات في الرجال الأربعة.

5- اشرح تعاون الرجال الأربعة، وما هو الدرس الذي نتعلمه منهم؟

6- ماذا كان موقف المسيح من الكتبة الذين انتقدوه؟

7- ظهر سلطان المسيح في هذه المعجزة في دوائر مختلفة، ما هي؟

المعجزة السابعة

شفاء مريض بركة بيت حِسْدا

1وَبَعْدَ هَذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. 2وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا
بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ. 3فِي هَذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ
وَعُسْمٍ يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ. 4لأَنَّ ملاكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ
تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ. 5وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. 6هَذَا رَآهُ
يَسُوعُ مُضْطَجِعاً وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» 7أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ
يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ». 8قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ
وَامْشِ». 9فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْتٌ.
10فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي شُفِيَ: «إِنَّهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ». 11أَجَابَهُمْ: «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ
قَالَ لِي احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». 12فَسَأَلُوهُ: «مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي قَالَ لَكَ احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟». 13أَمَّا
الَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ لأَنَّ يَسُوعَ اعْتَزَلَ إِذْ كَانَ فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ. 14بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي
الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ فلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ». 15فَمَضَى الإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ الْيَهُودَ أَنَّ
يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ. 16وَلِهَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ عَمِلَ هَذَا فِي سَبْتٍ.
17فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». 18فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ
لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (يوحنا 5: 1–18).

هذه معجزة شفاء رجل كان مريضاً منذ ثمانٍ وثلاثين سنة، شفاه المسيح عند بركة بيت حِسدا في يوم عيد، في وقتٍ لم يكن فيه هذا الرجل يترقَّب عيداً. ثمانٍ وثلاثون سنة بأعيادها المختلفة مضت عليه دون أن يفرح بعيد. كان دائم الاكتئاب! لكن ذلك العيد الذي التقى فيه المسيح به صار له «العيد». ربما مررنا بأعياد كثيرة لم تكن أعياداً لنا لأن المسيح لم يكن قد امتلك حياتنا تماماً، لكن لو أننا اليوم سلمناه حياتنا تسليماً كاملاً فأعطيناه القلب والفكر والجسد، سيكون كل يوم لنا عيداً حقيقياً.

كان ذلك اليوم عيداً لليهود، فصعد المسيح إلى أورشليم ودخلها من «باب الضأن» الذي كانوا يُدخِلون منه الحملان للذبيحة في الهيكل، ثم اتَّجه إلى بركة بيت حِسدا، ومعناها «بيت الرحمة» حيث قدم الرحمة للمريض البائس.

والمسيح هو فصحنا الذي ذُبح لأجلنا، دخل من «باب الضأن» ذاهباً إلى «بيت الرحمة». أليست الرحمة الإلهية أن مخلِّصنا جاءنا مولوداً في مذود، ينتظره صليب، تتبعه القيامة، ليهبنا رحمته الغافرة المخلِّصة؟

يشرح لنا البشير يوحنا أحوال البركة: كان بها ماء، ربما كان معدنياً، يحدث به فوران. وكان اليهود يقولون إن ملاكاً يجيء ليحرك الماء. لا يقولون إنهم رأوا الملاك، لكنهم يذكرون ما كانوا يعتقدونه. والمريض الذي كان يلقي بنفسه أولاً في البركة ينال الشفاء.

وكانت هذه المعجزة تتكرر لتبرهن أمرين: أن الله يحب شعبه، وأنه لا زال يُجري المعجزات.

اجتمع عدد كبير من المرضى: عُمي وعُرج وعُسم (والعُسم هم الذين أصابهم تيبُّس مفاصل اليدين والقـدمين) ليقيموا في خمسة أروقة مفتوحة على البِركة، يحتمون فيها من المطر والشمس والرياح، وقد تثبَّتت عيـونهم على الماء عندما يتحرك.

في ذلك المكان المسمى بيت الرحمة، كان هناك نقص في الرحمة! فما أن يتحرك الماء حتى يلقي كل إنـسان نفسه أولاً، أو يلقي به أهلُه أولاً. لم يكن أحدٌ يفكر في غيره، لأنه يظن أنه لو فعل ذلـك لـضاعت الفرصـة عليه!

ولذلك بقي هذا المريض في هذا المكان مدة ثمانٍ وثلاثين سنة ولم يبرأ. ولكن جاء العيد الحقيقي عندما جـاءه المسيح وقال له: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» فأجاب: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ». فقال له: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». وفي الحال قام وحمل سريره وطوى فراشه على كتفه وسار.

كان ذلك اليوم سبتاً، وكان رجال الدين اليهود متمسكين غاية التمسك بمطالب الشريعة، ومنها ألا يحمل أحـدٌ شيئاً يوم السبت، لذلك لاموا المريض الذي شُفي، وانتقدوا المسيح وأرادوا أن يقتلوه لأنه كسر وصية السبت. وجرى حوارٌ، وكانت بركةٌ عند البِركة.

أولاً: المحتاج والمعجزة

بقى هذا المريض مدة ثمانٍ وثلاثين سنة يزحف نحو البِركة كلما تحرك الماء بأسرع ما يستطيع، ولكنه كـان يصل دائماً متأخراً. توارد مئات الناس إلى البِركة، إما نزلوا فيها وخرجوا أصحاء وعادوا إلى بيوتهم، أو لـم يستطيعوا النزول فماتوا ودفنوهم. أما هو فبقي بين الموت والحياة. إنه ميت حي. لا هو استراح مـع الـذين ماتوا، ولا هو فرح مع الذين شُفوا. لقد رأى أنانية البشر. غالباً دفعه كثيرون عشرات المرات ليأخذوا مكانـه لينزلوا قبله إلى البِركة. لا الأصحاء رحموه ولا المرضى ساعدوه!

لا شفاء!

لا صديق!

وفوق الكل لا أمل، مع أن الشفاء كان بالقُرب منه!

في مرات كثيرة نمرُّ بظروف مشابهة. غيرنا يستفيد ونحن لا نستفيد. غيرنا ينتهز الفرصة ونحن لا نمتلكهـا. غيرنا يجد من يدفعه وأما نحن فلا نجد من يدفعنا إلى الأمام. «بَيْنَمَا أَنَا آتٍ يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ».

ولكن الموقف تبدل تماماً عندما تم اللقاء مع المسيح، وسأل: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟».

ينتقد البعض سؤال المسيح ويسألون: «فلماذا إذاً يتواجد الرجل عند بركة بيت حـسدا إن كـان لا يريـد أن يبرأ؟». ولكن الحقيقة هي أن كثيرين يعتادون المرض وعناية الآخرين بهم، ويستمتعون بأن يكونـوا مركـز الاهتمام. صحيح أن المرض كارثة ولكنه يخلق استكانة وتواكلاً، لأن الأهل يعتنون دائماً بـالمريض. وهـذا الرجل الذي تركه أهله لا بد وجد العناية من أهل المرضى، أو المرضى الأفضل صحةً منه، فكانوا يـشفقون عليه ويطعمونه، لأنهم يعلمون أن لا أحد يسأل عليه. فلو أنه شُفي سيبدأ يتحمل مسؤولية نفسه من جديد. فهل هو مستعد لذلك؟ فسأله الرب: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» ليعرف إن كان مستعداً لمسؤوليات ما بعد الشفاء، وإن كـان يريد أن يغيِّر حاله ويعتمد على نفسه.

الله لا يعطينا برَكة إلا إذا جُعنا إليها، كما قال المسيح: «طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُـمْ يُـشْبَعُونَ» (متى 5: 6). فالرب يُشبعنا عندما نكون جائعين ونحس بذلك فنطلب. الذي ينال بركة لم يطلبهـا لا يـستمتع بها، لكن البَركة تكون ذات قيمة أكبر بالنسبة لنا إن أخذناها بعد أن نكون قد تشوَّقنا إليها، وطلبناها بلجاجة.

وكانت إجابة المريض: «لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ». سنوات المرض جعلته لا يفكر إلا في البشر. لم يذكر الرب وذكر الناس. لم يذكر إمكانية حدوث معجزة، لكنه ذكر خيبة أمل تكررت باستمرار! لم يعد يرى المحبة الإلهية، فهو يذكر فقط أن لا إنسان له يعينه ليلقيه في البركة متى تحرك الماء. ورفع المسيح عيني المريض من البشر إلى الله، لعله يقول مع جده داود: «اِنْتِظَاراً انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي» (مزمور 40: 1).

1- تلقَّى المريض أمراً بالقيام:

تلقَّى هذا المريض عدة أوامر تبدو غريبة جداً: «قُمْ.. احْمِلْ.. امْشِ». فكيف يحمل ويمشي وهو أصلاً لا يستطيع القيام، لأنه لو أمكنه لكان قام منذ زمن بعيد!

لقد كان الأمر يتطلب شيئين من المريض: إيماناً وطاعة. فالإيمان هو «الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى، وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى» (عبرانيين 11: 1). وقد آمن هذا المريض وهو لا يرى شفاءً ولا تغييراً في عضلات جسمه، ولا طرأ جديدٌ على حالته الصحية، لكنه آمن ورأى ما سيجيء! وهذا الإيمان هو الثقة في كلمة المسيح.. فمن أعطى هذا الرجل هذه الثقة؟ لا بد أن الروح القدس فتح عينيه. وهذا يفسر لنا عدم استجابة كثيرين لكلمة الرب، لأن الكلمة لم تمتزج بالإيمان في أنفسهم.

هل تذكر اللص الذي تاب، لأنه رأى ما لم يستطع المحيطون به رؤيته؟ لقد رأى في المصلوب إلى جواره رباً وأنه يملك ملكوتاً، فقال: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لوقا 23: 42). لقد رأت عين إيمان اللص غير ما تقوله كل الدلائل.. فليعطنا الله عيون الإيمان لنرى المسيح الرب صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض، ولنرى أن الذين معنا أكثر من الذين علينا، وأن العناية الإلهية تقف إلى جوارنا باستمرار حتى لو كانت كل الظروف تُظهر عكس ذلك.

والإيمان الحقيقي دائماً ينشئ طاعة، ويجعل الإنسان يتبع الرب أينما يمضي، لأن كل الثقة وُضعت في الرب. وعندما تجاوب إيمان المريض مع الطاعة، تجاوب جسده مع أمر المسيح، فشُفي وحمل سريره ومشى.

2- تلقَّى المريض أمراً بحمل السرير والمشي:

وكان ذلك برهاناً يراه كل المحيطين به على أنه فعلاً نال الشفاء. ما أكثر عدد الذين يشكّون حتى بعد أن يروا! والمسيح يريد أن تنفتح عيون العميان الروحيين ليروا أن «سَنَةَ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةَ» قد أتت (لوقا 4: 19). وهي السنة التي يتحرر فيها المأسورون.

3- ذهب المريض بعد شفائه إلى الهيكل:

«بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ». لا بد أنه أراد أن يشكر الله في بيت الله. لم يكن قد عرف الذي شفاه، لأن المسيح اختفى في وسط الجموع، وغالباً كان المسيح وحده وليس معه أحد من تلاميذه، وإلا لكان المريض عرفه! وفي الهيكل التقى به المسيح مرة أخرى.

«فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي: إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ» (مزمور 122: 1) لذلك نجيء إلى بيت الرب باستمرار لنشكر، فنلتقي مرة أخرى بالمخلّص ليبارك حياتنا بركة أعمق. فلنرجع مرة أخرى قائلين: «حَلَلْتَ قُيُودِي. فَلَكَ أَذْبَحُ ذَبِيحَةَ حَمْدٍ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو.. فِي دِيَارِ بَيْتِ الرَّبِّ» (مزمور 116: 16-19).

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- حسب المشاهدون أن الشريعة أهم من روح الشريعة:

شاهد اليهود الرجل يحمل فراشه، وكان ذلك في يوم سبت، بينما شريعة موسى تقول: «اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ

وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ- لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ» (خروج 20: 8-11). فانتقد اليهود الرجل الذي شُفي لأنه كسر الوصية وحمل فراشه يوم السبت، وكان ردُّه: «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». وعندما سألوه عن الذي أبرأه لم يعرف!

كان شيوخ اليهود يهتمون بالشريعة والذبيحة والقربان والطقس، دون أن يدركوا روح الشريعة. اهتموا بحرف الشريعة فقط، فجعلوا لها أهمية وأولوية أكبر من الرحمة! لم يهمهم أن المريض شُفي. كان يجب أن يهنئوه أولاً ببركة الصحة التي أهدتها له السماء في العيد، لكنهم انتقدوه، ونسوا الآية التي تقول: «لا تَنْظُرْ حِمَارَ أَخِيكَ أَوْ ثَوْرَهُ وَاقِعاً فِي الطَّرِيقِ وَتَتَغَافَلُ عَنْهُ، بَل تُقِيمُهُ مَعَهُ لا مَحَالةَ» (تثنية 22: 4). لا بد أن يجتمع الأصدقاء ليساعدوا صاحب الحمار ويمدوا له يد العون، لأنه لا يستطيع أن يخرجه وحده. ولكن شيوخ اليهود تمسكوا بجزء من الشريعة وتركوا الجزء الآخر، بينما يجب أن ندرس الكلمة ككل، فإنه «سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ، وَنُورٌ لِسَبِيلِي» (مزمور 119: 105).

2- سمع المشاهدون أن الله يعمل دوماً:

بعد أن عنَّف اليهود الرجل «كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ عَمِلَ هَذَا فِي سَبْتٍ. فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ. فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ». وأثارتهم كلمات المسيح هذه، فكيف يقول: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»؟.. لقد فاتهم أن يدركوا أن الله الذي انتهى من الخلق في اليوم السادس، لا زال يقوم بأعمال العناية لخير البشر. لقد خلق الأفلاك وحفظها في مكانها، فنقول له: «خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ». (رؤيا 4: 11). فلم يكن يوم السبت نهاية عمل الله، لأنه ما زال يحفظ الأفلاك والكواكب في مداراتها! ولا زال المسيح يرمم أجساد الناس ويشفيها. صحيح أن السبت كان نهاية عمل الخلق، لكنه لم يكن نهاية عمل العناية.

وهذا يملأ قلوبنا بالفرح لأن إلهنا يعمل لنا ومعنا باستمرار «هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقَلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ» (إشعياء 59: 1) «لاَ يَنْعَسُ حَافِظُكَ» (مزمور 121: 3) فهو يعطي ويبارك ويغمرنا دائماً بمحبة أبوية لا تنتهي.

3- أراد المشاهدون أن يقتلوا المسيح:

غضب اليهود لأنهم فهموا أن المسيح بقوله «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (آية 17) أعلن أنه ابن الله، وهذا في نظرهم يعني أنه قد ساوى نفسه بالله «فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (آية 18). لقد قال: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يوحنا 10: 30) وقال لفيلبس: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يوحنا 14: 9). ويقول الرسول بولس إن المسيح عندما عادل نفسه بالله لم يختلس حقاً ليس له، ولكنه كان يعلن حقيقة هي مِلكه فعلاً (فيلبي 2: 6). فلماذا يكره الناس الحق؟

ثالثاً: المسيح والمعجزة

«هَذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً فَقَالَ لَهُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» (آية 6). نلاحظ أفعال المسيح: رأى، وعلِم، وسأل، وأعلن حبه، وأمر، وتوَّب.

1- المسيح يرى:

رأت عين المسيح العامرة بالحب مريضاً لا صديق له. رأى الذي يعتبره الناس «حالة» يائسة لا رجاء فيهـا، فكانت رؤيته بعكس المنطق البشري. عادة يعتني الطبيب بالشخص الذي تكون حالته أفضل أولاً، لأن قـدرة الطبيب محدودة. أما المسيح فكل شيء مستطاع عنده، وهو متخصص في المستحيلات.

2- المسيح يعرف:

فهو يعرف كل شيء عنا. إنه يعرف ضعفنا واحتياجنا الحقيقي، ثم يعطي ما نحتاجه بسخاء ولا يعيِّر.

3- المسيح يسأل:

سأله: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟». هذه هي عناية المسيح، فهو دائماً يسأل عنا وعن احتياجانا. وحصولنا على نعمة المسيح يتوقف علينا. فهل تسمعه يسألك إن كنت تريد عونه؟

4- المسيح يعلن محبته:

أعلن اهتمامه وعطفه للرجل الذي يئس من كل شيء ومن كل شخص! «فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُـودُ يَرْحَمُنَـا. يَدُوسُ آثَامَنَا» (ميخا 7: 18، 19).

5- المسيح يأمر:

««قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». وهذا أمرٌ ينافي العُرف والانتظار والتوقُّع، ويتناقض مع صـحة جـسد ذلـك الإنسان، لأنه يحتاج لشفاءٍ وفترة نقاهة، لكن الرب تخطّى هذا كله.

أحياناً نريد أن نصلح من أنفسنا روحياً معتمدين على ذواتنا، ولكن الرب يعطي ميلاداً جديداً: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (2كورنثوس 5: 17). هذا تغيير كامل تماماً، فما لا يصدقه العقل الإنساني ينفذه الحب الإلهي القادر، والذي يُجري المعجزات.

6- المسيح يتوِّب:

«بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ فلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً، لِئَلا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ» (آية 14). يبدو أن مرض هذا الرجل كان نتيجة خطيته، ولو أن كل مرض ليس نتيجة خطية. فتوبة المريض هنا شرط لاستمرار الصحة. والرجوع إليها أشر، لأنه يحرمه من الحياة ويميته (1كورنثوس 11: 30).

ومن أمر المسيح للمريض المشفي نتعلم ثلاث حقائق:

(أ) قد يجيء المرض نتيجة للخطية.

(ب) التوبة شرط لاستمرار الصحة.

(ج) الرجوع للخطية يُنتج نتائج أشر.

7- المسيح يعلن ألوهيته:

قال المسيح إن الله أبوه (آية 17) فساوى نفسه بالله (آية 18) ونجد هنا المسيح يعلن ألوهيته سبع مرات:

(أ) المسيح يعمل نفس عمل الآب: «مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ (الآب) فَهَذَا يَعْمَلُهُ الاِبْنُ كَذَلِكَ» (آية 19).

(ب) المسيح يعرف فكر الآب: «لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الاِبْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَـمَ مِـنْ هَذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ» (آية 20).

(ج) المسيح يُحيي الموتى: «كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذَلِكَ الاِبْنُ أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ.. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَـدِ انْتَقَـلَ مِـنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ» (آية 21، 24-26).

(د) المسيح يدين العالم: «لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلاِبْنِ» (آية 22).

(هــ) المسيح ينال الكرامة: «لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْــنَ لاَ يُكْــرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ» (آية 23).

(و) أربع شهادات للمسيح:

* شهد الآب له: ««إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً. الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَــهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ.. وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي» (آيتا 31، 32، 37).

* شهد له يوحنا المعمدان: «أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يُوحَنَّا فَشَهِدَ لِلْحَقِّ» (آية 33).

* شهدت له أعماله: «وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لأَنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَــانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَــا. هَــذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي» (آية 36).

* شهدت له الكتب المقدسة: «فَتِّشُوا الْكُتُبَ.. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي» (آية 39).

هذا هو إلهنا القادر على كل شيء، المخلِّص العظيم، الذي ينقذنا من ضعفاتنا ويتحنن ويتراءف علينا. فدعونا ننحني دائماً نطلب منه بركة مضاعفة لحياتنا.

صلاة

يا صاحب السلطان، يا من تقول فيكون وتأمر فيصير، لك الشكر والتسبيح والهتاف. لك الخضوع والتسليم والطاعة. عليك الاعتماد ومنك العون.

هبنا أن نسند رؤوسنا المتعبة على صدر محبتك، لننال منك ما نحتاجه اليــوم وغــداً، إلــى أن ننتقــل إلــى محضرك، حيث لا مرض ولا عوز ولا أنين. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- متى يكون احتفالنا بالعيد حقيقياً؟

2- ما هي المعاني الرمزية في دخول المسيح من «باب الضأن» وذهابه إلى بركة بيت حِسْدا؟

3- لماذا لام شيوخ اليهود المريض لأنه حمل سريره؟

4- ما هي مشكلة المريض منذ 38 سنة، وكيف حلَّها المسيح؟

5- أمر المسيح المريض أن يقوم ويحمل فراشه ويمشي، وتطلَّب هذا من المريض أمرين. ما هما؟

6- لماذا ذهب المريض للهيكل بعد شفائه؟

7- أعلن المسيح ألوهيته سبع مرات - اذكرها.

المعجزة الثامنة

شفاء ذي اليد اليابسة

«1ثُمَّ دَخَلَ أَيْضاً إِلَى الْمَجْمَعِ وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. 2فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. 3فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: «قُمْ فِي الْوَسَطِ!» 4ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟». فَسَكَتُوا. 5فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى» (مرقس 3: 1-5).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 12: 9-14 ولوقا 6: 6-11).

اختلف مفسرو الإنجيل حول التتابع التاريخي للمعجزات، لأن كُتَّاب الأناجيل لم يسجلوا معجزات المسيح حسب تاريخ حدوثها، بل كانوا يأخذون منها أمثلة فقط، بسبب كثرة عددها. وبالطبع اجتهد المفسرون في تحديد موعد حدوث المعجزات، ولذلك قد لا تكون هذه المعجزة هي الثامنة في سلسلة معجزات المسيح.

يقول البشير لوقا إن يد الرجل اليمنى هي التي كانت يابسة. ويتفق البشيرون أن المعجزة جرت في الهيكل، في يوم سبت، بعد مناقشة بين المسيح وشيوخ اليهود لأن التلاميذ قطفوا سنابل، فقد كان مباحاً لأي مسافر أن يلتقط من الحقول أو الحدائق ما يأكله، بشرط أن لا يأخذ منه معه (تثنية 23: 25). لكن لأن السنابل قُطفت يوم سبت، اعتبر شيوخ اليهود أن الإنسان الذي قطف السنبلة (في نظرهم) قام بعملية حصاد، ودراس، وتذرية، وطحن، ثم أكل!

هكذا فسر شيوخ اليهود موقف التلاميذ، فقالوا للمسيح: «هُوَذَا تَلاَمِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!» (متى 12: 2). وقدَّم المسيح لهم أربع إجابات، سنتأملها ونحن نناقش موقف شيوخ اليهود من المعجزة.

دخل المسيح الهيكل بعد هذه التعليقات الأربعة، حيث رأى رجلاً يده اليمنى يابسة. فسأله شيوخ اليهود: «هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟». يريدون بذلك أن يزيدوا على خطإ التلاميذ في قطف السنابل خطأً من المسيح نفسه، فتصبح الشكوى ضد المسيح أيضاً. ويقول البشير متى: «لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ». وشرح المسيح لهم روح الشريعة، ثم قال للرجل: «مُدَّ يَدَكَ» فمدَّها، فعادت صحيحة كالأخرى.

أولاً: المحتاج والمعجزة

كانت يد المريض اليمنى هي اليابسة، وهي اليد التي تعمل، وتمتد للسلام، وتعطي، وتتلقَّى.

1- كان عاجزاً عن عمل الخير:

شفى المسيح الرجل من عجزه ليردَّ له القدرة على العمل الصالح. فالإنسان البعيد عن الرب عاجز عن أن يعمل خيراً، والرب يريد أن يدفعنا للخير.

نقرأ في متى 21 عن الأب الذي كان له ابنان، فقال للأول: «يَا ابْنِي اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي». فأجابه: «مَا أُرِيدُ». ولكنه ندم بعد ذلك وذهب. فقال للثاني: «يَا ابْنِي اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي». فأطاع بالكلام ولكنه لم ينفِّذ بالعمل. والأمر نفسه موجَّه لنا كلنا. والرب يريد أن نقوم بعملٍ في كرمه لأننا أولاده، فتوقعه الطبيعي منا أن نعمل في كرمه. لكن صاحب اليد اليمنى اليابسة كان عاجزاً عن العمل، ولذلك قال له المسيح: «مُدّ يدك.. هيا اعمل معي».

2- كان عاجزاً عن السلام على الناس:

وذلك لأن يده لا تتحرك. وعالمنا مليء بأصحاب اليد اليمنى اليابسة أخلاقياً وروحياً ومعنوياً. فهم لا يمدون أيديهم بالمحبة لأنهم يحتاجون إلى المحبة. لم يختبروها فلا يستطيعون أن يعطوها. ونحن نحتاج أن نتعلم أن الله يحبنا، وأنه الراعي الصالح الذي يمد يده لنا دوماً بالحب الذي يصل إلينا ليصالحنا مع الله. وهو يريدنا بعد ذلك أن نكون رُسل مصالحة، نصالح الناس مع الله، ويقول الرب لك: أيها المؤمن، مد يدك لتصالح الناس معي (2كورنثوس 5: 18-20).

3- كان عاجزاً عن أن يعطي:

اليد اليابسة لا تستطيع أن تعطي، فنحن أنانيون بطبيعتنا، لكن يجب أن نتأمل إلهنا المحب الذي يُشرق شمسه على الجميع، ويمطر على الكل من أبرار وأشرار (متى 5: 45) فنتبع مثاله. ربما لم نتعود ذلك، أو ربما عملنا خيراً فكان جزاؤنا شراً، فأصبحنا نخاف من أن نعمل الخير، لأننا أسرى الماضي وعبيد الاختبار السيء. ويجب أن ننتقل من الماضي إلى حاضر أفضل وإلى مستقبل لا بد أن يكون أكثر عطاءً مع المسيح.

ويتحدث بولس الرسول عن الحياة الجديدة والتغيير الذي يجريه الرب في النفس قائلاً: «لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ» (أفسس 4: 28).

ويقول الرب: «سَلَبْتُمُونِي» فيسألونه: «بِمَ سَلَبْنَاكَ؟» فيجاوب: «فِي الْعُشُورِ وَالتَّقْدِمَةِ» (ملاخي 3: 8) لأنكم لم تقدموا العشور لي. فنحن نحتاج إلى شفاء اليد اليمنى اليابسة التي لا تعطي، لنتعلم كيف نسدد احتياجات الآخرين.

4- كان عاجزاً عن أن يمد يده ليأخذ:

يسمع الناس عن خلاص الرب ولكنهم يرفضونه بسبب إحساسهم بأنهم أفضل من غيرهم، أو لأنهم لا يرون حاجتهم له، أو لشدة يأسهم من شرورهم فيظنون أن الله لن يقبلهم ولن يعطيهم خلاصاً. ومهما كانت الأسباب، فإن النفس الخاطئة البعيدة عن الرب لا تستطيع أن تمد يد الإيمان لتأخذ البركة. ونحن نحتاج لمعجزة شفاء أيدينا اليابسة لتمتد في ثقة وإيمان لتأخذ، فنقول: «مَاذَا أَرُدُّ لِلرَّبِّ مِنْ أَجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِهِ لِي؟ كَأْسَ الْخَلاَصِ أَتَنَاوَلُ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو» (مزمور 116: 12، 13).

5- كان عاجزاً لعيبٍ خَلْقي:

ربما وُلد الرجل بعيب خَلْقي، أو ربما يبست يده بسبب مرض، فلم تكن الحياة تسري إليها وتوقَّفت عن العمل. وهذان السببان موجودان فينا بمعنى روحي. فعيب الميلاد: «هَئَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي» (مزمور 51: 5) «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ» (رومية 5: 12). نحن خطاة بالطبيعة، وخطاة بالفعل. والمسيح هو الشافي من الحالتين.

6- أظهر المحتاج للمعجزة ثلاثة أمور:

(أ) آمن: قال المسيح لهذا المريض: «مُدَّ يَدَكَ» فمدَّها، وهو يعلم أنها يابسة لا تتحرك. كان يمكن أن يقول: «لا أستطيع فأنا عاجز». لكن لأنه آمن بالكلمة مدّ يده رغم أنها لا تزال يابسة، واثقاً في أمر الرب.

(ب) أطاع: عندما يتواجد الإيمان القلبي تتواجد الطاعة. أما الإيمان الذي لا يطيع فهو إيمان العقل الذي لم يغيّر الحياة. إنه مثل إيمان الشياطين (يعقوب 2: 19) لكن الإيمان الحقيقي يمتزج بالطاعة.

(ج) كان شجاعاً: كان كثيرون من شيوخ اليهود واقفين يراقبون المسيح، وسألوه: «هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟» ليشتكوا عليه. كان من الممكن أن يفضِّل المريض يَبَسَ يده عن أن يدخل في مشاكل مع قادة الدين والسياسة! ولكنه كان بجانب إيمانه وطاعته شجاعاً شجاعة جعلته يتبع المسيح وينفذ أوامره.
ليعطنا الله الإيمان القوي، والطاعة، ليكون إيماننا فعالاً وعاملاً ومثمراً. ليعطنا الشجاعة لنطيع المسيح وننفذ أوامره لأنها أفضل شيء لحياتنا.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

هناك أشخاص مثل شيوخ اليهود يهتمون بحرف الشريعة وليس بروحها، وهؤلاء عبيد وليسوا أبناء، فالشريعة تخلق عبيداً، لكن النعمة هي التي تمنح البنوية. في الشريعة يخاف الإنسان، لكنه في النعمة يطمئن، لأن الرب بنعمته يعطي الحرية والراحة والمحبة، فيكون اتِّباع المؤمن للمسيح اتِّباع من يحب بكل القلب والفكر، فيتمتع بنعمة تحرير المسيح «لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا» (يوحنا 1: 17).

وكان رد المسيح عليهم عندما سألوه: «هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟» رداً رباعياً:

1- قال إن الضرورة أباحت لداود أن يفعل شيئاً غير مُباح: «أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللَّهِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لَمْ يَحِلَّ أَكْلُهُ لَهُ وَلاَ لِلَّذِينَ مَعَهُ بَلْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ؟» (متى 12: 3، 4) ويشير بذلك إلى قصة داود في 1صموئيل 21: 3-6.

ونص شريعة موسى موجود في سفر اللاويين 24: 5-9. ونرى من هنا أن الكاهن أعطى داود الخبز، بخلاف أمر الشريعة، لأن الضرورة أباحت غير المباح.

2- ثم قال إن حرف الشريعة ليس هو المقصود، بل روحها، وقال «أَوَمَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ فِي الْهَيْكَلِ يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟» (متى 12: 5). فالكهنة يكسرون شريعة حفظ يوم السبت، كما تقول الوصية «وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ (يُقدَّم) خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ صَحِيحَانِ، وَعُشْرَانِ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ تَقْدِمَةً مَعَ سَكِيبِهِ، مُحْرَقَةُ كُلِّ سَبْتٍ فَضْلاً عَنِ المُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَسَكِيبِهَا» (عدد 28: 9، 10).

3- ثم قال المسيح إن حضوره مع تلاميذه، وفي تلاميذه، هو أعظم من الهيكل. قال: «إِنَّ هَهُنَا أَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ» (متى 12: 6) يتكلم عن نفسه أنه هو الهيكل، لأنه الممتلئ بالروح القدس، المُنقاد به ليعلِّم تعاليمه: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي» (لوقا 4: 18).

4- ثم قال المسيح إنه صاحب السلطان على الشريعة «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً» (متى 12: 8) فالمسيح جاء مشرعاً يقول: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ.. أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ» (متى 5: 21، 27، 33). نلاحظ عظمة المسيح وسلطانه. لقد تلقى موسى الشريعة من الله، لكن المسيح يقول: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ» فالمسيح هو الرسالة والرسول، وهو الكلمة والمتكلم، وهو المتفرِّد عن كل من سبقه، ولا يمكن أن يلحقه شخص يشبهه، لأنه «بِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (1تيموثاوس 3: 16).

ثم سأل المسيح شيوخ اليهود: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ خَرُوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هَذَا فِي السَّبْتِ فِي حُفْرَةٍ أَفَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟ فَالإِنْسَانُ كَمْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَرُوفِ! إِذاً يَحِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السُّبُوتِ!» (متى 12: 11، 12). ومن هذا التفسير نرى المسيح صاحب الشريعة الجديدة التي أكملت الشريعة القديمة.

كان شيوخ اليهود غير سعداء لأنهم تحت عبودية الحرف. لكن الشعب كان في غاية السعادة لأن المسيح كرز لهم بالحرية «فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الاِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً» (يوحنا 8: 36). فالشعب يريد روح الشريعة، والسبت جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. فلم يعطنا الرب الشرائع ليستعبدنا بها ولكن ليخدمنا.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح يهتم بالجوهر:

فهو يريدنا أن نهتم بروح الشريعة. إنه ينظر إلى القلب لا إلى المظهر، ويتحقق فيه القول: «لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (1صموئيل 16: 7). إن روعة حياتنا كمؤمنين بالمسيح هي أننا نهتم بروح الشريعة. «إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ» (هوشع 6: 6).

ونرى الاهتمام بالجوهر في أن المسيح هو المحبة المتجسدة، وشريعته هي شريعة الحب، فقال أحد أتباعه: «إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاساً يَطِنُّ أَوْ صَنْجاً يَرِنُّ» (1كورنثوس 13: 1). فالبلاغة مهما كانت عظيمة والكلمات مهما كانت ساحرة، بدون محبة، هي مجرد أصوات فارغة بلا قيمة!

2- المسيح يعمل الخير:

لن يتردد أبداً في ذلك، سواء كان هناك مقاومون أو محبون. استعداده لعمل الخير نابع من أنه هو المحبة، فالرب يعمل عمل المحبة دائماً. ولا نمر أبداً بظروف قاسية أو حلوة إلا واختبرنا فيها الله الحنان، وشعرنا بالمحبة الكاملة العميقة لنا.

3- المسيح الإنسان:

عندما سأل: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟». فَسَكَتُوا. فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ» (مرقس 3: 4، 5) فالمسيح في إنسانيته الكاملة يعبر عن مشاعره، وتظهر تلك المشاعر بوضوح على وجهه. وعندما أُحضر إليه مصاب بالصمم والخرس «رَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: إِفَّثَا. أَيِ انْفَتِحْ» (مرقس 7: 34). لقد أنَّ المسيح على آلام البشر. ونقرأ عن الشاب الغني الذي سأل المسيح عن الحياة الأبدية «فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ وَقَالَ لَهُ: يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. اذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ» (مرقس 10: 21). وهنا نرى مشاعر محبة المسيح للمحتاج، وحزنه على غلاظة القلوب.

4- المسيح القادر على المستحيل:

عندما يبدو لنا أن المشكلة مستحيلة الحل، ولا يمكن الخروج من مأزقها، نجد المسيح المتخصص في المستحيلات. كانت اليد اليابسة مشكلة مستحيلة الحل، فحلها حلال المشاكل القدير! إنه يقول لك دائماً: مُد يد الإيمان وخذ بركة أكبر «إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا 16: 24).

صلاة

يا أبانا السماوي، نشكرك لأن المسيح أكمل الشريعة ووضح لنا روحها، وأعلن لنا المحبة التي تشفق على الخاطئ بالغفران، وعلى المريض بالصحة. لقد أعطى بغير حساب، أكثر جداً من كل طلب وتوقُّع.

ساعدني لأرى المسيح يتعامل معي اليوم كما تعامل مع صاحب اليد اليابسة، فلا زال هو على أرضنا بروحه القدوس، يفعل فوق ما أطلب أو أفتكر. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- لماذا لام شيوخ اليهود تلاميذ المسيح؟
2- اشرح المعاني الروحية لأن: اليد اليابسة لا تعمل، ولا تمتد للسلام، ولا تعطي ولا تتلقَّى.
3- ما معنى قول الله: «سَلَبْتُمُونِي» (ملاخي 3: 8)؟
4- أمر المسيح المريض: «مُدَّ يَدَكَ» وتطلَّب هذا شجاعة من المريض. كيف؟
5- برهن أن المسيح جاء مشرِّعاً.
6- اهتم المسيح دوماً بالجوهر. كيف ترى من هذه المعجزة اهتمامه بالجوهر؟
7- في هذه المعجزة ترى المسيح الإنسان. اشرح.

المعجزة التاسعة

شفاء عبد قائد المئة

«1ولَمَّا أَكْمَلَ أَقْوَالَهُ كُلَّهَا فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ. 2وَكَانَ عَبْدٌ لِقَائِدِ مِئَةٍ مَرِيضاً مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ عَزِيزاً عِنْدَهُ. 3فَلَمَّا سَمِعَ عَنْ يَسُوعَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُيُوخَ الْيَهُودِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَشْفِيَ عَبْدَهُ. 4فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى يَسُوعَ طَلَبُوا إِلَيْهِ بِاجْتِهَادٍ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هَذَا 5لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ». 6فَذَهَبَ يَسُوعُ مَعَهُمْ. وَإِذْ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ الْبَيْتِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَائِدُ الْمِئَةِ أَصْدِقَاءَ يَقُولُ لَهُ: «يَا سَيِّدُ لاَ تَتْعَبْ. لأَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. 7لِذَلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ. لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ غُلاَمِي. 8لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ مُرَتَّبٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. وَأَقُولُ لِهَذَا: اذْهَبْ فَيَذْهَبُ وَلآخَرَ: ائْتِ فَيَأْتِي وَلِعَبْدِي: افْعَلْ هَذَا فَيَفْعَلُ». 9وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هَذَا تَعَجَّبَ مِنْهُ وَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ: «أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا». 10وَرَجَعَ الْمُرْسَلُونَ إِلَى الْبَيْتِ فَوَجَدُوا الْعَبْدَ الْمَرِيضَ قَدْ صَحَّ» (لوقا 7: 1-10).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 8: 5-13).

قال متى إن القائد ذهب إلى المسيح يطلب شفاء عبده، وقال لوقا إن القائد أرسل شيوخ اليهود إلى المسيح يطلبون منه ذلك. وليس بين الروايتين تناقض، لأن القائد جاء إلى المسيح بواسطة شيوخ اليهود. وقال الشيوخ للمسيح عن قائد المئة : «لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ» وواضح أن قائد المئة لم يبنِ المجمع بيديه، لكنه بناه بواسطة البنائين والنجارين، فهو بنى «بغير يديه»! وهكذا لم يجئ قائد المئة إلى المسيح بنفسه، لكن بواسطة شيوخ اليهود!

وقدم البشير متى وصفاً وافياً لحالة العبد المريض إذ قال: «غُلاَمِي مَطْرُوحٌ فِي الْبَيْتِ مَفْلُوجاً مُتَعَذِّباً جِدّاً» وقال لوقا: «كَانَ عَبْدٌ لِقَائِدِ مِئَةٍ مَرِيضاً مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ عَزِيزاً عِنْدَهُ».

وتشدُّنا في هذا الأصحاح شخصية المسيح بطريقة خاصة، فهو المخلّص الحي الذي أجرى المعجزة قديماً، والذي لا يزال يجري معجزات اليوم. «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عبرانيين 13: 8). ويلفت نظرنا في هذه المعجزة قائد المئة، بأخلاقياته، وتواضعه وإيمانه. ونصلي أن يجعلنا الله مُحبّين، متواضعين، مؤمنين مثل قائد المئة، لننال من الرب بركة لنا ولبيوتنا وللذين نتعامل معهم.

يذكرنا قائد المئة بقائد مئة فاضل آخر، هو كرنيليوس (أعمال الرسل 10). كان وثنياً بحسب ديانته التي وُلد فيها، ولكنه لم يجد فيها شِبعه، فجاء يفتش عن الحق، تماماً كما فعل وزير مالية الحبشة (أعمال 8)؛ وكما فعلت ليديا بائعة الأرجوان من ثياتيرا المتعبدة لله، وهي تريد أن تتقرَّب إلى الرب أكثر، فتوصَّلت إلى معرفة المسيح المخلّص (أعمال 16).

قال البشير يوحنا إن المسيح جاء ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يوحنا 11: 52). جاء ليجتذب قائد المئة الروماني الذي جاء من إيطاليا ويدخله إلى الحظيرة. ولا ندري ما هي جنسية ذلك العبد المريض الذي كان مشرفاً على الموت فشفاه المسيح. لا نعرف من أين خُطف أو أُسر ليُباع لقائد المئة في كفرناحوم. لكن المسيح جاء لينقض حائط السياج المتوسط (أي العداوة) بين البشر، ليجمع أبناء الله من جنسياتهم المختلفة إلى واحد

(أفسس 2: 14). وما أجمل قوله: «لِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ» (يوحنا 10: 16). ونشكر الله من أجل الذين يجيئون إلى المسيح من كل حظيرة أو خلفية ليكتشفوه ويعرفوه المخلّص الحي المبارك.

أولاً: المحتاج والمعجزة

1- العبد المريض:

هو المحتاج الفعلي لهذه المعجزة، ولكنه كان عاجزاً عن أن يجيء إلى المسيح، ولم تكن حالته الصحية تسمح بحمله إليه. كان في وضع مؤلم للغاية، معذّب. ولكن قائد المئة تبنَّى مشكلته، فذهب يتحدث بدلاً منه (بواسطة شيوخ اليهود) للمسيح. ونرى هنا عاجزاً يعجز عن مساعدة نفسه، يخدمه عاجز آخر هو قائد المئة، يطلب من عاجزين آخرين أن يوصّلوه إلى القادر على كل شيء!

نجد كثيرين في مجتمعنا اليوم يشبهون هذا العاجز. إنهم يحتاجون إلى المسيح، لكنهم لا يرون هذا الاحتياج لأن الخطية تصيبهم بالشلل. وهم يحتاجون إلى من يتكلم إلى الرب بدلاً منهم. فليعطنا الرب نعمة لنتبنَّى قضايا كثيرين بعيدين عن الرب.. نحبهم ونصلي من أجلهم، ونرجو أن الله يتعامل معهم ليشفيهم من خطيتهم.

2- قائد المئة:

(أ) رجلٌ محب: كان العبد يُشترى بالمال ولكنه كان «عَزِيزاً عِنْدَهُ» (آية 2). كان الناس يعتبرون العبد شيئاً وليس شخصاً، وكان موت العبد مجرد خسارة مادية لا أكثر. لكن قائد المئة كان يُقيّم عبده تقييماً يختلف عن تقييم أهل عصره، فرآه شخصاً وعزيزاً. وكان قائد المئة محباً لكل المواطنين فقال اليهود عنه: «يُحِبُّ أُمَّتَنَا» (آية 5). ولم تكن محبته كلاماً ولا تعاطفاً شاعرياً بل كانت عملاً لأنه بنى لهم مجمعاً للعبادة. وقائد المئة بحسب وظيفته متخصص في القتل والحرب وإراقة الدماء، وكانت الأمة اليهودية كثيرة الثورة والعصيان فكان جنود الرومان الذين يجيئون إلى فلسطين في غاية الشراسة والعنف ليقمعوا الثورات الكثيرة. ولا بد أن قائد المئة هذا احتل مكانته لأنه قوي قادر أن يقمع الثورات. لكن بالرغم من ذلك نرى أنه في موقع الشراسة والعنف كان غايةً في المحبة والرقة. لم تؤثر طبيعة وظيفته عليه، ولم يصبغه مجتمعه، ولم يؤثر محيطه فيه، لكنه هو الذي صبغ مجتمعه، وأثَّر في محيطه! كان هو الشخصية القوية في وظيفته.

يعتذر كثيرون عن خطئهم لأن موقعهم يفرض عليهم ارتكاب الخطأ، لكن قائد المئة هذا كان عظيماً في أنه فرض الصلاح والمحبة على موقعه، وهذا يعلّمنا شيئاً كثيراً عن قدرتنا على أن نعيش إيماننا ومبادئنا مهما كانت الأجواء المحيطة بنا معاكسة لنا.

ولا بد أن عبد قائد المئة كان أميناً مُخلصاً لسيده. ولنتذكر أننا عبيد للرب، فنحن خليقته، وقد أَسَرتنا محبتُه، ونحن أحباء عنده، فيجب أن نكون أمناء له، لنسمع الكلمة الحلوة: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ" (متى 25: 23). ولا يجب أن ننتظر الدخول إلى فرح سيدنا بنهاية حياتنا على الأرض، لكننا ندخل فرح سيدنا الآن هنا، لأننا ندخل إلى محضره، في خدمته، وطاعته ومحبته.

(ب) رجل متواضع: قال شيوخ اليهود: «إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هَذَا" (آية 4) لكنه قال عن نفسه: «لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. لِذَلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ" (آيتا 6، 7). رأى عدم استحقاقه في بيته وفي شخصه. قال القديس أغسطينوس: «إحساس قائد المئة بعدم استحقاقه لأن يدخل المسيح بيته، جعله مستحقاً أن يدخل المسيح قلبه».

دخل المسيح بيوت متكبرين كثيرين، فلم ينالوا البركة لأنه لم يدخل قلوبهم. أما قائد المئة هذا فلم يدخل المسيح بيته، لكنه دخل قلبه وأشبع احتياجه. فالمتواضع هو الذي يصف نفسه ويقيّمها تقييماً سليماً. قال قائد المئة للمسيح: «لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ مُرَتَّبٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي" (آية 8). «مرتَّب» أي صاحب رتبة، له جند تحت يده، لكنه في نفس الوقت تحت سلطان. فالمؤمن هو الذي لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي (رومية 12: 3) ولا يقيِّم نفسه بأفضل من اللازم، لكنه يُقيم نفسه تقييماً صحيحاً بحساب العقل، وهو يعلم ما قسمه الله له من عطايا ومواهب. فالمتواضع يعرف القيمة الحقيقية لما عنده من قوة وضعف، وما له من إمكانيات وما هو عاجز عن عمله. وعندما نقيّم أنفسنا تقييماً سليماً نتعلم التواضع.

ذهب تلميذ في أجازة الصيف من مدينة القاهرة إلى الريف لزيارة جده الذي كان مزارعاً. وسار الولد وسط حقول القمح، ولاحظ شيئاً جعله يقول لجدّه: «انظر يا جدي أعواد القمح المرتفعة الرؤوس! ما أقواها! وهذه أعواد منكسة. لا بد أنها خجلانة!». فابتسم الجد وقال مصححاً خطأ الحفيد: «عود القمح المنتصب لا يحمل قمحاً. لكن العود المنحني هو الذي يحمل قمحاً كثيراً. الأعواد التي رفعت رأسها هي الفارغة، أما الملآنة فانحنت». ليعطنا إلهنا التواضع الذي يجعلنا ننحني أمام الله قائلين: «لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. لِذَلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ".

(ج) رجل مؤمن: قال «قُلْ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ غُلاَمِي». كان هذا الرجل العسكري، الذي يُصدر أوامره فتُنفَّذ دائماً، يعرف أنه دُفع للمسيح كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فآمن بقوة كلمة «الكلمة الحي» ووضع نفسه موضع الأدنى الذي يخاطب الأعلى، وعَرَض «ما يستحيل إنجازه» على «القادر على الإنجاز». لقد رأى قائد المئة في ابن مريم نجار الناصرة، صانع المعجزة وصاحب السلطان، الذي تسافر كلمته إلى بعيد وتصل إلى حيث يرقد العبد المريض المشرف على الموت.

ولم يطلب قائد المئة من المسيح علامة على شفاء عبده، لكنه صدَّق أن كلمة المسيح تُجري المعجزة. وقد كان! فأكرم المسيح إيمانه «وَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ: أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا». الإيمان العظيم موضوعه عظيم، فموضوع إيماننا هو المهم. ربما وضع قائد المئة ثقته في طبيب بشري عجز عن شفاء عبده، وربما أخذه لأحد شيوخ اليهود ليصلي من أجله دون أن يُشفى. لكن عندما وضع إيمانه في من يستحق أن يُؤمَن به، تحقق الشفاء.

كان نابليون يستعرض جنوده عندما أفلت منه لجام حصانه فجرى الحصان. وتقدم جندي بشجاعة وأوقف الحصان وأعاد اللجام للإمبراطور. فقال له: «شكراً أيها القائد. أنا مديون لك». وبسرعة قال الجندي: «قائد أية فرقة يا سيدي؟». فأُعجب به نابليون وقال: «فرقة حرسي الخاص». فألقى الجندي بندقيته وقال: «ليأخذها من يريدها!» ومضى ليقود فرقة الحرس الخاص بنابليون!

كان إيمان قائد المئة عظيماً لأنه صدق أن شفاء عبده تمَّ فوراً وليس تدريجياً. ونرى عظمة إيمانه بمقارنته بإيمان اليهود، فلم يكن في إسرائيل إيمان بمقدار إيمانه.

ثانياً: شيوخ اليهود والمعجزة

تركَّز كل اهتمام شيوخ اليهود على قائد المئة، ولم يكن العبد المريض ولا المسيح يعنونهما في شيء. قالوا: «إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هَذَا، لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ». كثيرون لهم نظرة سطحية، ولا يدخلون إلى العمق. فهؤلاء الشيوخ بعد أن قدموا طلب القائد انسحبوا من المشهد، لأنهم عملوا واجباً كلفهم به قائد المئة، وتصرفوا مثل زملائهم الذين سألهم هيرودس عن مكان مولد المسيح، فأجابوه: «فِي بَيْتِ لَحْمٍ

الْيَهُودِيَّةِ» (متى 2: 5). لكن لم يتحرك واحد منهم إلى بيت لحم القريبة ليرى ذلك المولود الذي عرفوا كل النبوات عنه وحفظوها. فالفكر السطحي لا ينال بركة. لم ينتقدوا المسيح في هذه المعجزة، لكنهم كانوا مجرد متفرجين ينقلون إليه طلب قائد المئة. وانتهى دورهم بتوصيل العاجز بالقادر. أما هم فلم يستفيدوا لأنفسهم شيئاً. كانوا مجرد «عامل مساعد» في شفاء العبد.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- تواضع المسيح:

قال المسيح لقائد المئة: «أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ» (متى 8: 7). لقد تلقى طلب قائد المئة عن طريق شيوخ اليهود بالترحيب والمحبة، وكان مستعداً أن يذهب، وذهب فعلاً: «فَذَهَبَ يَسُوعُ مَعَهُم» (لوقا 7: 6). وكم لمسنا نحن مجيئه إلينا.

هناك مجيئان كبيران للمسيح: الأول عندما جاءنا مولوداً في مذود، ومجيئه الثاني في نهاية العالم ليدين الأحياء والأموات، والذي ننتظره كلنا.. لكن بين هذين المجيئين العظيمين، يجيء المسيح لكل مؤمن آلاف المرات: في المكتب ليعاونه على حل مشكلة في العمل، أو على الفراش ليسنده في مواجهة مرض، أو في الوحدة والإحساس بالتوتر ليمنحه السلام، أو عندما تهيج أمواج الحياة ليُسكتها. وعندما نبتسم يكون قد جاءنا لأنه هو مصدر الابتسامة والفرحة. إنه يجيء دائماً ولا يتأخر: يستحيل أن نطلبه ولا نجده، فعندما نطلب نجد، لا الأشياء المادية فقط، لكننا نجد شخصه.

2- سرعة المسيح:

«أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ». إنه لا يتأخر عنا! حتى عندما تأخر عن الأختين مريم ومرثا فوصل بعد موت أخيهما لعازر بأربعة أيام، كان ذلك ليعطيهما بركة أكبر من مجرد شفاء المرض. لا يتباطأ كما يحسب قوم التباطؤ (2بطرس 3: 9) لكنه يجيء في الموعد المناسب ليكرمنا أكثر، وليعطينا بركة أعظم. ربما نعاتبه كثيراً، لكن لا زالت كلماته الحلوة تعزي قلوبنا في مجيئه إلينا سريعاً.

3- قوة المسيح:

لكلمته سلطان «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ» (يوحنا 1: 3). هو صانع كل شيء. هو الذي يمد يده إلى موضع الضعف مباشرة ليشفيه ويعالجه ويعالج المشكلة التي تؤرق بالنا. كثيراً ما نشخِّص مشاكلنا تشخيصاً خاطئاً، لكنه يشخِّص التشخيص السليم، ويقدم العلاج المناسب بمحبة كاملة وحقيقية وقادرة.

جاء المسيح «لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا 19: 10). وهو نفسه تجسَّد «لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عبرانيين 2: 14، 15) والمرض أول أعراض الموت «لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا» (متى 8: 17). وجسدنا مهم عنده لأنه الهيكل الذي يحل فيه الروح القدس، ولأنه سيقيمه في القيامة في اليوم الأخير.

4- تحذير المسيح:

««أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا» (آية 9). هذه كلمات مدح لقائد المئة، وهي في الوقت نفسه توبيخ لأمة اليهود! كلما نظرنا إلى شخص جاء إلى المسيح من حظيرة أخرى، يعيش مع الرب ويحبه ويضحي في سبيله نرفع الشكر من أجله، ونسأل: هل الذين جاءوا للمسيح «من هذه الحظيرة» يحبونه ويخدمونه ويضحون من أجله، كما يفعل الذين جاءوه من حظيرة أخرى؟ (يوحنا 10: 16).

لنسلم أنفسنا للمحب المتواضع صاحب السلطان، ليحوِّلنا من جماعة آخذين إلى جماعة خادمين، بقوة إيمان ومحبة وتواضع.

صلاة

أبانا السماوي، أشكرك لأجل قوتك العظيمة ومحبتك غير المحدودة، التي تنعم عليَّ باحتياجي في حينه. فعندما تصل إمكانياتي إلى نهايتها تتدخَّل أنت بنعمتك لتعمل المعجزة التي تقصُر كلماتي عن وصفها، ويعجز لساني عن أن يوفيك الشكر الواجب عليها. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- كيف تشرح ما يظهر تناقضاً بين رواية متى ولوقا في طلب قائد المئة من المسيح أن يشفي عبده؟
2- كيف جمع المسيح في هذه المعجزة أبناء الله المتفرِّقين إلى واحد؟
3- كيف تتبنَّى قضية شخص يعجز عن المجيء إلى المسيح؟
4- كيف ظهر تواضع قائد المئة؟
5- كيف ظهرت محبة قائد المئة؟
6- كيف ترى تواضع المسيح في هذه المعجزة؟
7- قدَّم المسيح لنا في هذه المعجزة تحذيراً، ما هو؟

المعجزة العاشرة

إقامة ابن أرملة نايين

«11وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ.
12فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ ابْنٌ وَحِيدٌ لأُمِّهِ وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ.
13فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: «لاَ تَبْكِي». 14ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا
الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ». 15فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ. 16فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ:
قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ». 17وَخَرَجَ هَذَا الْخَبَرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ
الْمُحِيطَةِ» (لوقا 7: 11–17).

ما أعظم المحبة التي تمتد لأكثر الناس بؤساً يعيشون في أحقر الأماكن لتُبدِّل حزنهم القاتل إلى فرح طاغٍ! جرت هذه المعجزة في قرية نايين الحقيرة القريبة من كفرناحوم، فخلدها التاريخ بفضل هذه المعجزة التي جرت فيها، عندما أقام المسيح الشاب الميت، الابن الوحيد لأمه الأرملة.

كانت نايين تقع بالقرب من شونم حيث أقام النبي أليشع بإذن الله وقوته ابن الشونمية من الموت (ملوك الثاني 4)، وذلك قبل تسع مئة سنة من إقامة ابن أرملة نايين. وأقام المسيح بسلطان كلمته ابن الأرملة، عندما قال له: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ».

دخل المسيح مع مجموعة من أتباعه قرية نايين في الوقت الذي كان يخرج فيه من بابها موكبٌ آخر يحمل ميتاً، وإذا برب الحياة ورئيسها يواجه الموت مواجهة مباشرة، وكأن إبليس يتحدى المسيح ويقول: «لقد أخذتُ هذا الشاب فريسةً، فمن ينقذه من يدي؟».

وكشفت لنا هذه المواجهة، لا معجزة واحدة من إقامة ابن الأرملة من بين الأموات، ولكن معجزة حياة المسيح كلها. فالمسيح الذي جاءنا إنساناً مولوداً من امرأة تحت الناموس، وعاش بيننا واختبر كل ما اختبرناه (ما عدا الخطية) مات ودُفن. لكنه قام من بين الأموات. وخدمته كلها هي إقامة الموتى الذين قتلتهم الخطية ودمرت حياتهم. وهو يقول: «إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ» (يوحنا 14: 19). وعندما أقام لعازر قال: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ» (يوحنا 11: 25، 26). قال هذه الكلمات وبرهنها عندما أقام لعازر، وبرهنها أيضاً عندما قام هو من الأموات، ويقولها اليوم لكل واحد منا ويبرهنها إذ يقيمنا من موت الخطية، فيتحقق قوله: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، وَأَعْطَاهُ سُلْطَاناً أَنْ يَدِينَ أَيْضاً لأَنَّهُ ابْنُ الإِنْسَانِ» (يوحنا 5: 25–27).

هذه هي القيامة الأولى من موت خطيتنا: «تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ» حين يسمع أموات الخطية صوت ابن الله، والسامعون الذين يفتحون آذانهم وقلوبهم له يحيون، إذ يُجري الرب معهم المعجزة التي أجراها مع ابن أرملة نايين، لأن للمسيح حياة في ذاته. وتأتي ساعة أخرى في المستقبل، لأن المسيح هو الديان. «تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ» (يوحنا 5: 28، 29).

لم يكن أحد قد قام من الأموات منذ تسعمائة سنة (قارن 2ملوك 4). فلماذا اختار المسيح هذه الأرملة ليقيم ابنها؟ ألم يمُت في فلسطين في ذلك اليوم عشرات الشباب؟

وللإجابة نقول إننا نجهل أسرار النعمة الإلهية. ولكن في كل مرة تختصُّنا العناية الإلهية ببركة، ويلمسنا الله بلمسة شخصية تميزنا عن كثيرين حولنا، نتذكر قوله الكريم: «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ» (يوحنا 15: 16). هنا يجب أن نرفع صلاة شكر بكل تواضع، لأن لا حقَّ لنا في شيء، ولكننا نتمتع بنعمة موهوبة أعطاها الله لنا من محبته.

أولاً: المحتاج والمعجزة

في هذه المعجزة نرى المحتاج للمعجزة أرملةً مات زوجها، والآن مات ولدها الوحيد، محلّ محبتها، وعائلها. فهي أرملة لا أمل لها في المستقبل (حسب الجسد). كانت صدمتها الأولى يوم موت زوجها قاسية، وها هي الصدمة الثانية القاتلة بموت وحيدها! كانت مجرَّبة وحزينة.

والله في محبته يدرك وقع هذه التجربة القاسية على البشر، وقد وصفها بقوله: «أُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ» (زكريا 12: 10). هذا وصف كتابي للألم النفسي العاطفي الذي واجهته تلك الأرملة التي فقدت ابنها الوحيد.

صُدمت هذه السيدة الصدمة الأليمة التي هي أقسى نتائج الخطية. «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ» (رومية 5: 12). شربت أرملة نايين جُرعة مرارة مركزة قُدمت في كأسها، لأنها رأت أردأ نتائج الخطية مرتين.

أحياناً يكون صوت آلامنا أعلى من صوت صلواتنا. وقلب الرب يتحرك نحونا في حزننا، وهو يرى دموعنا وانكسار نفوسنا والمرارة التي تعتصر قلوبنا. وقد يكون هذا بسماح كريم منه، لا ندري سببه. وقد يكون أجرة ما نفعل، أو نتيجة سوء معاملة الآخرين لنا. وفي كل هذه الظروف يقف الله معنا لأنه يعرف حجم الألم، كما يعرف محدودية قدرتنا على الاحتمال. وهذا ما شعر به المحيطون بالمعجزة، فوصفوا ما فعله المسيح مع الأرملة الحزينة بقولهم: «افْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ» (لوقا 7: 16) بمعنى أنه جاء يزورنا ويسأل عنا. ونحن دائماً نكتشف أن الله لا يتركنا، بل يفتقدنا ويجيء إلينا ويقف إلى جوارنا يخفف ألمنا ويسندنا.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- لما لمس المسيح النعش وقفوا:

دعونا نتصوَّر الموقف، فنرى أماً تبكي خلف جماعة تحمل نعش ابنها متَّجهة إلى المقابر، ثم نرى مجموعة أخرى من الناس تدخل المدينة والمسيح في وسطها. والعادة أن تنضمَّ المجموعتان لتتجها معاً إلى المدافن للتعبير عن مشاعر التعاطف مع الأرملة المكلومة. لكن المسيح اعترض الموكب! كان من الطبيعي أن تمنعه المجموعة الأولى لتكمل مسيرتها ومهمتها المقدسة وهي دفن الميت. لكن الكتاب يقول لنا: «فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ». لا بد أن جلال وجه المسيح ونبرة صوته بكل ما فيهما من محبة وسلطان جعلتهم يقفون.

لقد اختبرنا مرة ومرات أننا نسير في طريق نظن أننا نؤدي فيه واجباً مهماً، ولكن المسيح اعترض طريقنا بكلمة من الإنجيل، أو بتعامل شخصي، أو بلمسة روحية، فأوقف ما نفعله، وإذا مسار حياتنا يتغيَّر إلى

الأفضل والأحسن. لذا وجب أن تكون لدينا حساسية للمسة يده وتوجيه كلمته، لنغيِّر مسارنا حسب توجيهه، انتظاراً لما يقوله لنا.

2- مجَّد المشاهدون الله:

لما قام الميت وتكلم، دفعه المسيح إلى أمه «فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ». لا بد أنهم تذكروا النبي إيليا لما أقام ابن الأرملة من الموت (1ملوك 17: 17-24)، وتذكروا النبي أليشع لما أقام ابن المرأة الشونمية (2ملوك 4: 8-37). وقولهم إن المسيح «نبي عظيم» يعني أنهم لم يكتشفوا كل نواحي شخصية المسيح. فهناك بُعد آخر للمسيح. صحيح إنه نبي، ولقَّب نفسه بأنه نبي عندما قال: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ» (متى 13: 57). لكنه أعظم من نبي! إنه موضوع النبوة، فقد تحدثت النبوات عنه وشهدت له، حتى قال هو: «فَتِّشُوا الْكُتُبَ.. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي» (يوحنا 5: 39).

ثم أن المسيح صانع النبوة، فقد تنبأ بالكثير الذي تحقق، والكثير الذي سيتحقق. لقد تنبأ بموته مصلوباً لما قال: «إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ» (مرقس 9: 31) وقد كان. ولا زلنا ننتظر تحقيق نبواته عن مجيئه ثانية إلى أرضنا، حسب قوله «هَا أَنَا آتِي سَرِيعاً وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ. أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ» (رؤيا 22: 12، 13).

ولا زال المسيح يعمل فينا بروحه لنكتشف الجانب الأعمق من شخصيته، فندرك أنه «بِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (1تيموثاوس 3: 16). فإنه «لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ، إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (1كورنثوس 12: 3).

3- أدرك المشاهدون أن الله افتقد شعبه:

بعد أن قام الميت قال المشاهدون: «افْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ» بمعنى أن الله زار شعبه بتدخُّل إلهي، كما تقول التوراة إن نعمي: «قَامَتْ هِيَ وَكَنَّتَاهَا وَرَجَعَتْ مِنْ بِلاَدِ مُوآبَ، لأَنَّهَا سَمِعَتْ فِي بِلاَدِ مُوآبَ أَنَّ الرَّبَّ قَدِ افْتَقَدَ شَعْبَهُ لِيُعْطِيَهُمْ خُبْزاً» (راعوث 1: 6) وفي نايين افتقد الله شعبه فأعطاهم حياة.

جميل أن يدرك المحيطون بالمسيح أن انتعاشاً روحياً جاء إلى العالم، لأن الله يقترب من البشر ويزورهم للافتقاد والسؤال عن احتياجاتهم. وكم زارنا المسيح ونحن على فراش مرضٍ فشفانا، ونحن في ضيق ففرج كربتنا، ونحن في خوف فأزال خوفنا، فاكتشفنا مرات أننا كنا نخاف من شيء غير موجود، وأن الخوف في داخلنا فقط لكنه ليس من حولنا. يزورنا المسيح في وقت خطر حقيقي وآخر وهمي. إنه يزورنا دائماً.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح المُغيِّر:

عندما يلتقي المسيح بنا ويواجهنا يتغيَّر حالنا كله. عندما التقى بالأرملة التي تبكي لموت ابنها تحولت إلى أرملة فرحة لعودة ابنها إليها. «إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (2كورنثوس 5: 17). وكلنا نحتاج إلى مجيئه إلينا كما تقول ترنيمة جميلة: «تعال بيننا. أقم عندنا. وخُذ من قلوبنا لك مسكناً» فنسمع قوله: «عَزُّوا عَزُّوا شَعْبِي يَقُولُ إِلَهُكُمْ. طَيِّبُوا قَلْبَ أُورُشَلِيمَ، وَنَادُوهَا بِأَنَّ جِهَادَهَا قَدْ كَمِلَ، أَنَّ إِثْمَهَا قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَنَّهَا قَدْ قَبِلَتْ مِنْ يَدِ الرَّبِّ ضِعْفَيْنِ عَنْ كُلِّ خَطَايَاهَا» (إشعياء 40: 1، 2) ويتم فينا قول الرسول بولس: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ

بِهَا مِنَ اللهِ» (2كورنثوس 1: 3، 4). يعطينا ماءً حياً، فيجري من بطننا نهر ماء حي (يوحنا 7: 37، 38). يعطينا تعزية شخصية، فنقدر أن نعزي غيرنا.

وهذا سيحدث معنا أيضاً في اليوم الأخير عندما نتواجد في محضره، فنسمع صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْباً. وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهاً لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ» (رؤيا 21: 3، 4). تمضي الأمور الأولى عندما يأتي ليفتقد شعبه.

2- المسيح الحنون:

تقول لنا نظرة العيان بعد مرور الأزمة: «لا تبكي». لكن الإيمان يقولها أثناء الأزمة. والمسيح يريد أن يحيي في دواخلنا الإيمان إذ يأمرنا بعدم البكاء قبل نوال البركة، لأن إنقاذه آتٍ. لم تستطع الأرملة أن تفهم حكمته، ولكنها فهمتها فيما بعد كما قال المسيح لبطرس: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يوحنا 13: 7).

يضع المسيح يده على كتفنا ليشجعنا والظلام محيطٌ بنا، ويكلمنا بكلمة تشجيعه القوية مع أن الظروف المحيطة قد تناقضها تماماً. لكننا ندرك معنى كلمته ونثق فيها، وعلى كلمته «نلقي الشبكة» واثقين (لوقا 5: 5).

أجرى المسيح بعض معجزاته بناءً على طلب المحتاج نفسه، كما شفى الأبرص (لوقا 5: 12) وأجرى البعض الآخر نتيجة طلب إنسان من أجل آخر، كما حدث في شفاء عبد قائد المئة (لوقا 7: 1) وأجرى معجزات بناءً على محبته، فالأرملة لم تطلب، ولكنه فعل ذلك بدافع عمق محبته «فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: «لاَ تَبْكِي». ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ». فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ».

مرات ننجو من ضيق لأننا صلينا، ومرات ننجو لأن غيرنا صلى من أجلنا. وفي مرات يسمع أنيننا ويرى ضيقنا فيمد لنا يد حنانه، لأن العين السماوية مفتوحة وساهرة علينا.

3- المسيح القوي:

أمر المسيح بسلطان ذاته: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ» وهو يعلم أن قوة محبته لا تسقط أبداً، فإن «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ» (يوحنا 1: 4، 5) فلم تلحقه، ولم تفهمه! هو الذي يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة (رومية 4: 17). سرَت الحياة ثانية في جسد هذا الشاب، لأن المسيح أرجعها من حيث ذهبت إلى الجسد الذي خرجت منه، فقد قال: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (متى 28: 18). سلطانه في السماء حيث مضت النفس، وسلطانه على الأرض حيث كان الجسد في النعش، فأعطت السماء النفس، واستقبلتها الأرض، ليرجع الابن لأمه.

بذل إيليا وأليشع جهداً في الصلاة ليقيما ميِّتين بعمل الله، وفشل جيحزي في إقامة ابن المرأة الشونمية. أما المسيح رب الحياة فأمر الحياة لتعود لجسد ذلك الشاب بأمره المباشر، فعادت.

وقد أقام المسيح رب المجد وصاحب كل سلطان ثلاثة أشخاص من بين الأموات:

أقام ابنة يايرس في المنزل قائلاً: «يَا صَبِيَّةُ، قُومِي» فقامت (مرقس 5: 25-34). وبعضنا يشبه ابنة يايرس في أن خطاياهم داخلية، غير منظورة. والمسيح مستعد أن يقيمنا من موت خطيتنا حتى إذا كانت مختفية عن عيون الناس.

ثم أقام ابن الأرملة على باب المدينة. وكثيرون منا خطاياهم على الباب تُرى في أيديهم، وتُسمع من ألسنتهم. والمسيح يريد أن يقيمنا حتى لو كانت خطايانا ظاهرة للجميع.

وأقام لعازر بعد أن أنتن في قبره أربعة أيام (يوحنا 11). وكثيرون بقوا في خطاياهم مدة طويلة حتى أنتنوا، والمسيح مستعد أن يقيمهم من هلاك الموت بقوته العظيمة ليعطيهم الحياة.

والمسيح يريد أن يقيمنا معه ويعطينا الحياة الأبدية مهما كانت حالة مواتنا الروحي. فلنطلب منه لأنه رب الحياة.

وإن كنا قد نلنا منه نعمة الحياة، فلنطلب من أجل شخصٍ آخر ميت في خطاياه حتى يحييه الرب. ولنصلِّ لتحيا كنيسته مشرقة بنور يضيء على كل العالم لمجد اسمه، وليأت ملكوته.

صلاة

أبانا السماوي، أشكرك لأن رحمة المسيح وصلتني في عمق شقائي، وأدركتني في هوة بلائي، فرفعتني وأعادت لي الأمل، ولمستني فبعثت في نفسي الشجاعة. افتح قلبي أكثر ليتَّسع للمزيد من سلامك، وتقبَّل مني كل حياتي المعترفة بفضلك. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- قارن بين إقامة أليشع ابن المرأة الشونمية، وإقامة المسيح ابن أرملة نايين؟

2- في يوحنا 5: 24-29 تحدث المسيح عن ساعة «وهي الآن» وساعة تأتي مستقبلاً. ماذا سيحدث في الساعتين؟

3- لماذا اختار المسيح ابن أرملة نايين ليقيمه؟

4- كانت صدمة الأرملة مزدوجة، كيف؟

5- لماذا وقف حاملو النعش لما أمرهم المسيح بالوقوف؟

6- ما معنى «افتقد الله شعبه»

7- اذكر اختباراً من واقع حياتك افتقدك الله به.

المعجزة الحادية عشرة

تهدئة العاصفة

«35وَقَالَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: «لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ». 36فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي
السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضاً سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ. 37فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ
حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ. 38وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِماً. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا
نَهْلِكُ؟» 39فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ. ابْكَمْ». فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. 40وَقَالَ لَهُمْ:
«مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هَكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟» 41فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإِنَّ
الرِّيحَ أَيْضاً وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!» (مرقس 4: 35-41).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 8: 23-27 ولوقا 8: 22-25)

أسكت المسيح العاصفة التي هاجت على بحيرة طبرية، المعروفة في الكتاب المقدس باسم بحيرة جنيسارت أو بحر الجليل. وهي بحيرة كبيرة طولها نحو عشرين كيلو متراً وعرضها نحو عشرة كيلومترات، بيضاوية الشكل، يصب فيها نهر الأردن ويزوّدها بالماء العذب، وتحيط بها جبال عالية بُنية اللون بارتفاع سبعمئة متر من الشرق، ويقع شمالها جبل حرمون بقممه التي تغطيها الثلوج. وكانت مدينة كفرناحوم تقع غرب هذه البحيرة جهة البحر الأبيض المتوسط، وقد شهدت الكثير من معجزات السيد المسيح.

قضى المسيح يوماً طويلاً يعظ الناس في البر الغربي ناحية كفرناحوم، وقد أحاطت به الجموع من كل جهة، فعلَّم وشفى كثيرين، وعندما أقبل المساء حلَّ به التعب، فطلب من تلاميذه أن يعبروا به إلى الجانب الشرقي من البحيرة إلى المنطقة الجبلية ليستريح. فصرف التلاميذ الجمع، وأخذوا المسيح في سفينة، تصاحبها قوارب صغيرة يستقلها محبُّون للمسيح وأناس ما زالوا في احتياج للتعليم أو الشفاء.

كان كل شيء هادئاً، ولكن بحسب طبيعة بحيرة طبرية هبَّت عليها العواصف فجأة، فهي منخفضة مئتي متراً عن سطح البحر، لذلك كانت شديدة الحرارة، فجائية العواصف. وحدث نوء ريح عظيم، فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى كادت تمتلئ.

كان بحارة السفينة متمرسين في البحر، وهم من سكان كفرناحوم الواقعة على شاطئ البحيرة، ولا بد أنهم رأوا من قبل ليالٍ كثيرة صاخبة الأمواج شديدة الرياح، لكن تلك الليلة كانت أقسى الليالي جميعاً، فلم يسبق لهم أن رأوا مثل هذا الجو الصعب. وأغلب الظن أن السفن الصغيرة عندما رأت بوادر العاصفة رجعت من حيث أتت إلى كفرناحوم في البر الغربي. ونام المسيح في السفينة وتلاميذه ينفذون أمره بعبور البحيرة بالرغم من شدة الرياح، وتركوا معلّمهم المُتعَب نائماً ليستريح.

لكن عندما اشتدت العاصفة وصارت أقوى من قدرتهم على احتمالها أو التعامل معها، تذكروا أن معلمهم في السفينة، فأيقظوه وقالوا له بعتاب شديد : «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟». ومن خوفهم تكلموا بصيغة الجمع، فشملوا المسيح معهم في خطر الهلاك. وقام المسيح وانتهر الريح، فصار هدوء عظيم.

تُثير الرياح الأمواج، وعندما تسكن الرياح تهدأ الأمواج. وبعد أن هدأت الأمواج كانت الفرصة مناسبة أن يعلّم المسيح تلاميذه درساً في الإيمان، فسألهم: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هَكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟». لقد كانت العاصفة بالفعل أقوى وأشد من كل عاصفة سبق للتلاميذ أن مروا بها، ولكن هذه المرة كان المسيح معهم، فالموقف يختلف. ولكنهم في ضعف إيمانهم لم يشعروا بقوة وجوده، فخافوا. لم تكن معرفتهم به قد كملت، وكانوا محتاجين أن يعرفوه أكثر! ولا نلومهم، فهكذا نحن، يمكن أن نعرف المسيح لاهوتياً وعقائدياً، ولكن ليس كربٍ ومخلِّص شخصي.

هذه هي الحياة: عاصفة فالتجاءٌ إلى المسيح، فنجاةٌ وسلام. ثم نتعلم درساً يقوي إيماننا لنواجه تجارب المستقبل بقوة وإيمان أكبر. نسمعها في سفر المزامير: «اَلنَّازِلُونَ إِلَى الْبَحْرِ فِي السُّفُنِ، الْعَامِلُونَ عَمَلاً فِي الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ، هُمْ رَأُوا أَعْمَالَ الرَّبِّ وَعَجَائِبَهُ فِي الْعُمْقِ. أَمَرَ فَأَهَاجَ رِيحاً عَاصِفَةً فَرَفَعَتْ أَمْوَاجَهُ. يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاوَاتِ. يَهْبِطُونَ إِلَى الأَعْمَاقِ. ذَابَتْ أَنْفُسُهُمْ بِالشَّقَاءِ. يَتَمَايَلُونَ وَيَتَرَنَّحُونَ مِثْلَ السَّكْرَانِ، وَكُلُّ حِكْمَتِهِمِ ابْتُلِعَتْ، فَيَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِهِمْ، وَمِنْ شَدَائِدِهِمْ يُخَلِّصُهُمْ. يُهَدِّئُ الْعَاصِفَةَ فَتَسْكُنُ وَتَسْكُتُ أَمْوَاجُهَا، فَيَفْرَحُونَ لأَنَّهُمْ هَدَأُوا، فَيَهْدِيهِمْ إِلَى الْمَرْفَإِ الَّذِي يُرِيدُونَهُ. فَلْيَحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ لِبَنِي آدَمَ، وَلْيَرْفَعُوهُ فِي مَجْمَعِ الشَّعْبِ، وَلْيُسَبِّحُوهُ فِي مَجْلِسِ الْمَشَايِخِ» (مزمور 107 23–32).

أولاً: المحتاجون والمعجزة

المحتاجون هم التلاميذ في السفينة الكبيرة المتجهة شرقاً؛ وأصحاب القوارب الصغيرة المصاحبة للسفينة الكبيرة الذين لما رأوا بدء العاصفة عادوا غرباً؛ ويبدو للناظر السطحي أن المسيح نفسه ضمن المحتاجين للمعجزة، فقد كان نائماً في السفينة المعرَّضة للخطر! وما أكثر ما يتصوَّر البعض أن ملكوت الله في خطر فيصرخون: «إِنَّنَا نَهْلِكُ!» وينسون أن «اللهُ فِي وَسَطِهَا فَلَنْ تَتَزَعْزَعَ. يُعِينُهَا اللهُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ» (مزمور 46: 5).

ونلاحظ أن القوارب الصغيرة رجعت، فكثيراً ما يقرر إنسانٌ أن يتبع المسيح، ولكنه يرجع وقت العاصفة إلى شاطئ يظنه آمناً، ويترك الشاطئ الذي تتجه إليه سفينة المسيح ظاناً أنه سيهلك لو استمر مع المسيح، لأنه يحرص على سلامته أكثر من حرصه على أن يتبع المسيح.

1- عاصفة الخوف:

كم تهب على حياتنا عواصف. تبدو الحياة هادئة، وفجأة تأتي مشكلة تضيّع سلامنا. وعلينا فوراً أن نلجأ إلى المسيح، نعرِّفه باحتياجنا ونسأله أن يواجه مشكلتنا معنا، ونسلّمه أنفسنا وقضيتنا فنستريح، ونثق ونحن بين يديه أنه المخلّص العظيم والقادر على كل شيء. لننظر إلى وجه الراعي الصالح الذي ينتشلنا من خوفنا ويحملنا على منكبيه ثم يقيم احتفالاً. وهذا ما جرى مع التلاميذ، فقد واجه المسيح مشكلتهم، واحتفل معهم بنجاتهم!

2- عاصفة الحزن:

قد يموت عزيز علينا، ويبدو أن الغيوم قد أطفأت النجوم! والذين يخافون ويضطربون ويحزنون بلا رجاء لهم بعض الحق. ولكن لماذا يواجه أصحاب الرجاء مشاكلهم مضطربين كأن مخلّصهم الحي الذي أبطل الموت

وأنار الحياة والخلود غير موجود، مع أنه سيظل معهم ينير حياتهم إلى أن يوصلهم إلى الخلود، ليتأكدوا صدق وعوده.

3- عاصفة الغضب:

نثور على شخص جرحنا، أو تكلم علينا بالكذب. عندها نحتاج إلى المسيح ليهدئ هذه العاصفة داخلنا، ويقول لنا: «اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ، وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَاناً» (أفسس 4: 26، 27).

4- عاصفة الشك:

والشك يجعلنا نسأله: «أَمَا يُهِمُّكَ؟». وهو سؤال شكٍّ في محبته، وشك في قيمتنا عنده. إننا لا نتعامل مع خالق فقط، بل نتعامل مع أب، فلنخاطبه ونشكو له. وهذا أجمل ما فعله التلاميذ لأنهم أخذوا شكواهم منه إليه. قصدوه هو لينقذهم من شيء فعله هو! هو صاحب الرياح التي هبت على الأمواج، وهو يجمع رياحه إلى مخازنها، فتهدأ أمواجه، ويطمئن أبناؤه، وتطرح محبته الكاملة خوفنا إلى الخارج.

5- عاصفة الإحساس بالذنب:

ويريحنا المسيح منها حالما نعترف له بخطايانا ونعزم على التوبة منها، فيغفر لنا خطايانا ويصالحنا مع الله. فإن كان القلب مثقلاً بهمِّ الخطية، فاللجوء إليه يغفر الخطية ويصلح العلاقة مع الله، فنقول: "أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي، وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي، وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي" (مزمور 32: 5).

لم يكن التلاميذ قد عرفوا المسيح بعد. وقد عرَّف المسيح نفسه بأنه ابن الإنسان الذي يُسلَّم إلى أيدي الكهنة ليُصلب ويُقتل، فقال تلاميذه: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هَذَا!» (متى 16: 22). لم يكونوا قد أدركوا رسالته، وكانوا محتاجين إلى مزيد من التعليم، فهم يحتاجون إلى المعرفة الاختبارية «لأَعْرِفَهُ وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ» (فيلبي 3: 10) فهذه معرفة الاختبار العميق. «انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (2بطرس 3: 18). فنتعلم أن نعرفه وسط مشاكل الحياة وصعوباتها.

ثانياً: المسيح والمعجزة

رأينا المسيح يعلّم ويمشي.. يتعب ويستريح.. يجوع ويأكل.. يفرح ويبكي.. يُصلب ويموت ثم يقوم. وهنا نراه نائماً على الوسادة في مؤخرة السفينة، فهو الإنسان الكامل. ولكن لو توقَّفنا عند هذه النقطة نكون قد قلنا نصف الحق. فهذا الإنسان النائم هو أيضاً الإله صاحب السلطان على الطبيعة، استيقظ ليسكّن الرياح ويهدئ العاصفة. «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (1تيموثاوس 3: 16). فالمسيح الإنسان الكامل هو إله كامل، ولو أن جسده حجب ألوهيته، فلم يرَها إلا بعض الناس. لكن عمله أظهر قدرته السرمدية ولاهوته لأنه أسكت الرياح. فلنطبِّق هذه المعلومة الفكرية واقعاً عملياً اختبارياً، ونحن نطمئن إليه، فهو يدبر حاضرنا ومستقبلنا بحسب محبته.

ونرى في هذه المعجزة ثلاث حقائق عن المسيح:

1- لا ينزعج المسيح من طلباتنا ولكنه ينزعج من نقص إيماننا:

كم هو محب ورقيق! لم يوبخ ضعف الإيمان وسط العاصفة، لكنه هدأ العاصفة أولاً ثم وبَّخ ضعف إيمان تلاميذه. إنه يريد منا أن نطلب، فليكن لنا الإيمان الواثق المطمئن.

2- المسيح صاحب السلطان الفوري:

استخدم موسى العصا (خروج 14: 15، 16، 21، 26). واستخدم أليشع رداء إيليا (2ملوك 2: 13، 14). أما المسيح «كلمة الله» فانتهر الريح، وقال للبحر: اسكت! ابكم! فسكنت الريح بأمره وصار هدوء عظيم.

3- قد يبدو لنا أن المسيح نائم غير مهتم، لكنه مستيقظ دوماً لينجي:

قد نشكو منه وله، ولكنه لا يفعل شيئاً يمكن أن نشتكي منه على المدى القريب أو البعيد. إن شكوى اليوم هـــي موضوع شكر الغد.

فلنكلم الرب ونتجه إليه، ولنلتحم معه ونثبُت فيه لنجد البركة عنده.

صلاة

أبانا السماوي، بحر حياتنا هادئ أحياناً، وهائج أحياناً أكثر. ولكننا في وسط هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا محبةً فائقة المعرفة، لا يحدّها عرض أو طول أو عمق أو علو. والفضل كله لك، لأنك أحببتنا أولاً، ففي حبك نطمئن، وعلى رحمتك نستند ونستريح. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- ما هي الأسماء الثلاثة لبحيرة طبرية؟

2- لماذا طلب المسيح من التلاميذ عبور البحيرة؟

3- ماذا فعل أصحاب القوارب الصغيرة؟

4- متى وبَّخ المسيح ضعف إيمان التلاميذ؟

5- كيف يهدئ المسيح فينا عاصفة الحزن على موت عزيز؟

6- كيف يهدئ المسيح فينا عاصفة الشك؟

7- كيف يهدئ المسيح فينا عاصفة الإحساس بالذنب؟

المعجزة الثانية عشرة

شفاء اللجئون

1«وَجَاءُوا إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ الْجَدَرِيِّينَ. 2وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ
إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ 3كَانَ مَسْكَنُهُ فِي الْقُبُورِ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَرْبِطَهُ وَلاَ بِسَلاَسِلَ 4لأَنَّهُ قَدْ رُبِطَ كَثِيراً بِقُيُودٍ
وَسَلاَسِلَ فَقَطَّعَ السَّلاَسِلَ وَكَسَّرَ الْقُيُودَ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يُذَلِّلَهُ. 5وَكَانَ دَائِماً لَيْلاً وَنَهَاراً فِي الْجِبَالِ وَفِي الْقُبُورِ
يَصِيحُ وَيُجَرِّحُ نَفْسَهُ بِالْحِجَارَةِ. 6فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ مِنْ بَعِيدٍ رَكَضَ وَسَجَدَ لَهُ 7وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مَا لِي
وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ! أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!» 8لأَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اخْرُجْ مِنَ الإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ
النَّجِسُ». 9وَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَأَجَابَ: «اسْمِي لَجِئُونُ لأَنَّنَا كَثِيرُونَ». 10وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً أَنْ لاَ يُرْسِلَهُمْ
إِلَى خَارِجِ الْكُورَةِ. 11وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الْجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَنَازِيرِ يَرْعَى 12فَطَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ الشَّيَاطِينِ
قَائِلِينَ: «أَرْسِلْنَا إِلَى الْخَنَازِيرِ لِنَدْخُلَ فِيهَا». 13فَأَذِنَ لَهُمْ يَسُوعُ لِلْوَقْتِ. فَخَرَجَتِ الأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي
الْخَنَازِيرِ فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحْرِ – وَكَانَ نَحْوَ أَلْفَيْنِ فَاخْتَنَقَ فِي الْبَحْرِ. 14وَأَمَّا رُعَاةُ
الْخَنَازِيرِ فَهَرَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى. 15وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَنَظَرُوا
الْمَجْنُونَ الَّذِي كَانَ فِيهِ اللَّجِئُونُ جَالِساً وَلاَبِساً وَعَاقِلاً فَخَافُوا. 16فَحَدَّثَهُمُ الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ جَرَى لِلْمَجْنُونِ وَعَنِ
الْخَنَازِيرِ. 17فَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَمْضِيَ مِنْ تُخُومِهِمْ. 18وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ طَلَبَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُوناً أَنْ
يَكُونَ مَعَهُ 19فَلَمْ يَدَعْهُ يَسُوعُ بَلْ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ».
20فَمَضَى وَابْتَدَأَ يُنَادِي فِي الْعَشْرِ الْمُدُنِ كَمْ صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ. فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ» (مرقس 5: 1–20).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 8: 28–34 ولوقا 8: 26–39).

شفى المسيح اللجئون على ما روى القديس متى في كورة الجرجسيين، وشفاه على ما روى القديسان مرقس ولوقا في كورة الجدريين. وليس في ذلك تناقض، فعلى بُعد عشرة كيلومترات من بحيرة طبرية قامت مدينتان كبيرتان، هما مدينة جدرة ومدينة جرجسة، فأطلق البعض على المنطقة اسم مدينة منهما، وأطلق الآخرون اسم المدينة الأخرى. فالكورة إذاً هي كورة الجدريين، أو كورة الجرجسيين!

وقال القديس متى إن المسيح شفى مجنونين، بينما ذكر مرقس ولوقا أنه شفى مجنوناً واحداً. وليس في هذا تناقض. فالحقيقة هي أن المسيح شفى مجنونين ذكرهما متى، ولكن مرقس ولوقا اكتفيا بذكر الأشهر منهما. ولو أن متى قال إن المسيح شفى مجنونين وقال مرقس ولوقا إنه لم يشفِ إلا مجنوناً واحداً، لكان هذا تناقضاً.

في هذه المعجزة نجد شفاء مجنون، جعله المسيح عاقلاً. كان مسكوناً بشياطين كثيرة، فسكن المسيح قلبه!

وعندما نقرأ المعجزة في الإنجيل نرى عمل الله مكتوباً في التاريخ، وعندما يعمل الروح القدس فينا نرى عمله مكتوباً في قلوبنا! وتقدم لنا الكلمة المقدسة في هذه المعجزة المسيح المخلّص الذي صالح المجنون مع نفسه ومع مجتمعه. وعندما نواجه المسيح ويواجهنا يغيّر حياتنا إلى الأفضل والأسمى، فيصبح ما جرى قديماً اختبارنا الواقع في يومنا هذا. وما أحوجنا إلى المصالحة به مع نفوسنا، ومع مجتمعنا.

أولاً: المحتاج والمعجزة

1- مسكون بفرقة أبالسة:

أطلق المحتاج للمعجزة على نفسه لقب «لجئون» وهو اسم فرقة أو كتيبة من الجنود الرومان يبلغ عددها ستة آلاف جندي. وقد جاءت نفس الكلمة في رسالة أفسس 6: 12 فتُرجمت « أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ». كان هذا الرجل مسكوناً بفرقة كاملة من الأبالسة. ولو كان جنون الرجل جنوناً عادياً لما هلكت الخنازير نتيجة شفائه، ولكن جنونه كان نتيجة وجود الشياطين فيه.

2- نتيجة هذه السكنى:

(أ) كانت النتيجة الأولى أنه عذب نفسه، لأن سُكنى الأرواح الشريرة فيه جعله يفقد عقله السليم وتفكيره المنطقي، فاغترب عن نفسه وسكن القبور، يعذب نفسه ويجرحها بالحجارة. لقد أصاب انفصام الشخصية هذا المسكين، فرأينا فيه شخصيتين متناقضتين، إحداهما جعلته يسجد أمام المسيح، والأخرى جعلته يصرخ: «مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ! أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!». فالإنسان البعيد عن الرب يجد في داخله خراباً وحرباً أهلية كما نقرأ في رومية 7 وغلاطية 5 عن الطبيعتين الموجودتين فينا. هذا التناقض يكون بين الجسد والروح، فالروح يشتهي ضد الجسد والجسد يشتهي ضد الروح، وهذان يقاوم أحدهما الآخر، حتى يجد الإنسان نفسه يفعل ما لا يريد! (غلاطية 5: 17)

لقد كان الرجل المسكين مضغوطاً بين أشواقه للشفاء والخلاص، ورغبة ساكنيه من الأبالسة!

(ب) وكان هذا الرجل المغترب عن نفسه مغترباً أيضاً عمَّن هم حوله. لقد هاجم أهل الكورة فلم يعاملوه كمريض مسكين، بل كحيوان هائج ووحش كاسر فقيدوه بالسلاسل. وعندما تدخل الخطية حياتنا تجعلنا غرباء عن أنفسنا وعن المحيطين بنا، فنكره أنفسنا ونكره الآخرين.

كتب آدم أول قصيدة شعرية في العالم يتغزل بها في حواء، فقال: «هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ» (تكوين 2: 23) ولكن عندما دخلت الخطية قلبه انقلب هذا الشاعر المحب ضد المرأة التي أحبها، وقال للرب: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». وألقى عليها اللوم كله، مع أنه مسؤول مثلها تماماً، ثم أنه هو قائد البيت ورب الأسرة. هكذا يدخل الشيطان حياة الإنسان فيملأه بسوء الطبع والكبرياء والخداع والكذب، فتتمزق رُبط الإنسان بالمحيطين به.

(ج) وكانت نتيجة سكنى الأبالسة فيه أنه ابتعد عن المسيح، ولما رآه قادماً نحوه حاول أن يؤذيه. لقد ابتعد الرجل عن الصفات التي أرادها المسيح له، كما ابتعد عن فكر المسيح ومعرفته وتأثيره وبركته، فلم يحقق انتظارات المسيح منه. لقد جاء المسيح ليمنحه حياة فُضلى، فإذا به يسكن القبور، يؤذي نفسه وغيره، وينفصل عن الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدَّها له ليسلك فيها.

(د) ولكنه سرعان ما تغيَّر تماماً عندما تعامل المسيح معه، فأجرى المسيح معه ما أجراه في شاول الطرسوسي الذي كان يقف ذات موقفه ويرفس مناخس، فيؤذي نفسه ويؤذي الكنيسة في نفس الوقت، فواجهه المسيح وغيَّره وأعطاه حياة جديدة (قصة تغيير شاول موجودة في سفر أعمال الرسل 9: 22، 26).

تُرى هل يختار الإنسان الله، أو هل يختار الله الإنسان؟ نجد الفكرتين في الكتاب المقدس: الله يختار الإنسان لأنه سبحانه يأخذ زمام المبادرة في الوصول إلى الإنسان الضال، والإنسان يستجيب لهذا الاختيار الإلهي ويفتح قلبه للمسيح ولكلمة الحق. الله يبادر بالخطوة الأولى والإنسان يستجيب فيخطو الخطوة الثانية. ولما كان الإنسان ميتاً بالذنوب والخطايا فإنه يعجز عن أن يأخذ الخطوة الأولى ليتوب، كما أنه لا يُدرك أن

الروح القدس هو الذي يحيي الميت روحياً. ولكن روح الله يبدأ بأن يعمل في الميت الروحي فيستجيب لعمل الروح، ويتحقق فيه القول الرسولي: «إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ» (2كورنثوس 5: 19).

وما أكثر الوسائل التي يستعملها المسيح ليرد النفس إلى سُبل البر «مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (مزمور 23: 3). وما أعظم التغيير الذي جرى للمجنون، فقد أصبح عاقلاً ولابساً وجالساً، يستمع للمسيح الذي شدَّ قلبه لحبه بقدرته المخلِّصة. وهذا ما يحدث معنا، فيعود لنا التفكير السليم لأننا نفكر بفكر المسيح الذي هو لخيرنا، ونجلس بعد طول جريٍ لأننا مطمئنون بعد أن طردت محبته الكاملة خوفنا إلى خارج، ونلبس رداء البر وثوب الخلاص.

(هـ) أما قمة ما حدث مع هذا الرجل فهو أن الرب اختاره رسولاً له، يحمل بشارة الخلاص لأهله. لقد أراد أن يتبع المسيح، ولكنه قال له: «اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ». كان أهله يخافونه، فربطوه بالقيود، ولكنه كان يحطمها، ويجري ليفتك بهم. أما الآن فبعد شفائه، يذهب إليهم، لا ليُخيفهم، بل ليطمئنهم. وهم لا يَجْرون منه، لكن يَجْرون معه إلى المخلِّص الذي أنقذه.

لقد كان تكليف المسيح له أن يبشر أهله، وكانت رغبته بخلاف تكليفه. غير أن قمة سعادتنا هي أن تتوافق رغباتنا مع أوامر المسيح بتكليفنا. ما أجمل أن يلمس المسيح حياتنا، ثم يكلفنا أن نكون رسله، نحكي عنه أعظم رسالة، لأنه يضع في أفواهنا أجمل بشرى «إنجيل المسيح».

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

كنا نظن أن أهل المنطقة يسعدون بشفاء المسكون الذي كان يقطع عليهم الطريق، فقد كانت في شفائه فائدة لهم. وكنا نظن أن شفاءه سيفرحهم لأن بؤس المجنون الذي طالما مزق نفسه قد انتهى. ولكن المؤسف أنهم لم يفرحوا ولم يسعدوا، لأن أفكارهم كانت مشغولة بما هو أقل أهمية من ذلك كله. كانوا مشغولين بقطيع خنازيرهم الذي اندفع إلى البحر ومات!

هذه واحدة من معجزتين أجراهما المسيح نتج عنهما ضرر مادي: عندما لعن التينة غير المثمرة (مرقس 11: 11-14، 20-26)، وعندما أهلك هذه الخنازير.

فإذا سألنا: لماذا أهلك الخنازير؟ أما كان يستطيع أن يحفظ هذه الثروة الحيوانية، بالإضافة إلى معجزة الشفاء؟

نعم كان يستطيع. ولكن هناك قصداً سماوياً، فإهلاك الخنازير ينبّه الناس أن في تربيتها كسراً لشريعة موسى (تثنية 14: 8). فأراد المسيح أن ينقذهم من محبتهم للمال التي كانت تفوق محبتهم للشريعة، وأراد أن يخلصهم من التفكير الأناني الذي خلا من الرحمة نحو المسكون الذي شُفي، بالإضافة إلى إنقاذ الرجل من مرضه. لقد أحبوا أعمالهم الدنيوية أكثر من محبتهم للبائس المريض، ولا يقدر أحد أن يخدم سيدين. فلم يقدر هؤلاء أن يخدموا الله والمال (متى 6: 24).

وقد استخدم المسيح الوسائل الرمزية لإعلان حقه السماوي. لقد لعن شجرة تين فيبست (متى 21: 20) ليدين النفاق. وهنا أدان النجاسة. فقد اعتبر الناس في ذلك العصر الخنازير رمزاً للشهوات والفساد، كما نعتبر الثعلب في زمننا رمزاً للمكر والخداع. وقد نظر اليهود للخنازير نظرة احتقار، بسبب الضرر الصحي الذي قد ينتج عن أكل لحومها، وبسبب الضرر الطقسي حسبما علّمت شريعة موسى، ثم لشراستها الوحشية، وكانوا يشبّهون السكّير بالخنزير المتمرغ في الوحل القذر.

ولما وجدت الخنازير نفسها تحت سلطة الشياطين اندفعت للهلاك تحت تأثير الفزع والخوف، فأهلكت نفسها. فلا يكون المسيح هو الذي أهلكها. إن ثقل الأبالسة أهلك ألفي خنزير– فكم كانت وطأة نفوذهم على المريض المسكين؟ الخطية خاطئة جداً (رومية 7: 13)، وكل قتلاها أقوياء (أمثال 7: 26).

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1– المسيح العامل دوماً:

قال: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (يوحنا 5: 17) فعبر بحيرة طبرية إلى كورة الجدريين ليلتقي بهذا الرجل المسكين ليشفيه.

كلما رأينا الشر يتفشى في العالم ويسيطر عليه نظن أن الله لا يعمل في أرضنا. قال النبي صفنيا إن بني إسرائيل قالوا: «إِنَّ الرَّبَّ لاَ يُحْسِنُ وَلاَ يُسِيءُ» (1: 12) لأنهم وجدوا الأشرار ناجحين والمؤمنين مجربين. ولكن ليكن ملء الثقة في أن الله يُحسن، وأن ملكوت الله في حالة تعبئة مستمرة كما أن الله يسيء بأن يعاقب على الشرور.

ذهب المسيح إلى حيث كان المريض، كالراعي الصالح الذي يفتش على الواحد الضال إلى أن يجده.

ثم عمل المسيح في المسكون الذي نال الشفاء، فأرسله ليعمل ويكرز ويعلن الخبر المفرح.

2– المسيح يدفع إلى العمل:

جاء المسيح ليضع كل واحد في حالة حركة. قالت الشياطين بفم لجئون: «مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ! أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!» لأَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اخْرُجْ مِنَ الإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ». والمسيح يقول: «كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ الْقَوِيِّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ إِنْ لَمْ يَرْبِطِ الْقَوِيَّ أَوَّلاً وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ؟» (متى 12: 29). عندما يستولي إبليس «القوي» على حياة إنسان، يجعله «شيئاً» لا قيمة له، ويضيّع إنسانيته. ولكن المسيح «الأقوى» يقيد إبليس وينقذ الفريسة، ويجعل الإنسان الذي نال الشفاء في حالة حركة لمجد الله، مضادة للحالة الأولى التي كان فيها!

لقد جعل المسيح المشفي في حالة حركة بأن جعله يسجد له، ووهبه الشفاء ثم أرسله إلى أهله. فعندما يدخل المسيح حياتنا يدفعنا لنخدمه. عندما ننال الخلاص نكون قد بدأنا بداية عظيمة تتطلب منا تكريساً مستمراً بعد ذلك. لأننا نضع وقتنا ومالنا وأجسادنا ذبيحة حية مقدسة مرضية على مذبح تكريسه. فنصبح دوماً تحت تصرف المسيح.

3– المسيح الذي يقبل طلباً ويرفض آخر:

وافق المسيح على طلب الأبالسة وأصحاب الخنازير، بينما يرفض طلب المريض الذي نال الشفاء!

(أ) طلب الأبالسة منه ألا يصرفهم من الكورة فوافق. ولا ندري الحكمة من طلبهم هذا. ترى هل أرادوا أن يبقوا في تلك المنطقة ليهيجوا أهلها ضد المسيح؟ نحن نعلم أن للشياطين فرصاً للعمل في الأرض حتى يوم الدينونة (رسالة يهوذا آية 6). ويظهر أن لكل جماعة منها مكاناً للعمل، تعرف عادات أهله وضعفاتهم، وتهاجمهم منها. وقد أذن لهم المسيح بذلك ليوضح أن «غَضَبَ الإِنْسَانِ يَحْمَدُكَ. بَقِيَّةُ الْغَضَبِ تَتَمَنْطَقُ بِهَا» (مزمور 76: 10). وأذن لهم ليوضح شدة ردائتهم، وعظمة إنقاذه للرجل الذي خلصه من براثنهم.

ووافق على طلب أهل الكورة أن يخرج من بلدهم ويذهب عنهم. لعلهم كرهوا أن يبكتهم المسيح على باقي خطاياهم، فطلبوا أن يبتعد عنهم «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلا تُوَبَّخَ

أَعْمَالُهُ» (يوحنا 3: 20). فتمَّ ما قاله الله على فم النبي هوشع: «وَيْلٌ لَهُمْ أَيْضاً مَتَى انْصَرَفْتُ عَنْهُمْ» (هوشع 9: 12).

(ب) لكن المسيح رفض طلب الرجل الذي شُفي في أن يصاحبه ويكون معه، لأنه أراد له أن يشهد عن نعمة المسيح لأهل بلده الذين رفضوا المسيح!

أليس غريباً أن يقبل المسيح طلب الشياطين وأهل الكورة، ويرفض طلب الشخص الذي نال الشفاء؟

إن الله لا يجبر أحداً على أن يتبعه، فلا إجبار في المحبة، لكن هناك تكليف لأولاد الله. فعندما تتواجد في القلب رغبة تتعارض مع التكليف السماوي يرفضها المسيح، لأنه يريدنا أن نتمم تكليفه لنا ليتقدم الملكوت، فإن الله لن يكلف الغرباء لخدمة مملكته، بل يكلف أبناءه.

ليعطنا الله أن نحقق قصده وسط عائلتنا، وفي بيوتنا ومجتمعنا المحتاج إلى بشارة الخلاص.

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك لأن قلبك مشغول بنا في كل ظروفنا، وأنت تجيء إلينا عندما يضيع منا التفكير السليم فتُعيد إلينا الصحة التي ضيعتها منا الخطية. فتوِّبنا إليك لنتوب، وأرجعنا إليك فنرجع. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- ما تفسيرك لقول متى إن المسيح شفى لجئون في كورة الجرجسيين بينما قال مرقس ولوقا إنه شفاه في كورة الجدريين؟

2- لماذا أطلق المجنون على نفسه اسم «لجئون»؟

3- كيف اغترب «لجئون» عن نفسه، وكيف اغترب عن مجتمعه؟

4- ما هي أول قصيدة شعرية في العالم؟ وماذا جعل صاحبها يغيّر رأيه في ما سبق أن قاله؟

5- لماذا أهلك المسيح الخنازير؟

6- ما هي الحركة الجديدة التي خلقها المسيح في اللجئون الذي شُفي؟

7- ما هو التكليف الذي تعتقد أن الله كلفك به؟

المعجزة الثالثة عشرة

إقامة ابنة يايرس

«21وَلَمَّا اجْتَازَ يَسُوعُ فِي السَّفِينَةِ أَيْضاً إِلَى الْعَبْرِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ. 22وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَجْمَعِ اسْمُهُ يَايِرُسُ جَاءَ. وَلَمَّا رَآهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ 23وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً قَائِلاً: «ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا». 24فَمَضَى مَعَهُ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانُوا يَزْحَمُونَهُ».
..

35«وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جَاءُوا مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ: «ابْنَتُكَ مَاتَتْ. لِمَاذَا تُتْعِبُ الْمُعَلِّمَ بَعْدُ؟» 36فَسَمِعَ يَسُوعُ لِوَقْتِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي قِيلَتْ فَقَالَ لِرَئِيسِ الْمَجْمَعِ: «لاَ تَخَفْ. آمِنْ فَقَطْ». 37وَلَمْ يَدَعْ أَحَداً يَتْبَعُهُ إِلاَّ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ. 38فَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ وَرَأَى ضَجِيجاً. يَبْكُونَ وَيُوَلْوِلُونَ كَثِيراً. 39فَدَخَلَ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تَضِجُّونَ وَتَبْكُونَ؟ لَمْ تَمُتِ الصَّبِيَّةُ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ». 40فَضَحِكُوا عَلَيْهِ. أَمَّا هُوَ فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ وَأَخَذَ أَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا وَالَّذِينَ مَعَهُ وَدَخَلَ حَيْثُ كَانَتِ الصَّبِيَّةُ مُضْطَجِعَةً 41وَأَمْسَكَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ وَقَالَ لَهَا: «طَلِيثَا قُومِي». (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا صَبِيَّةُ، لَكِ أَقُولُ قُومِي). 42وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ لأَنَّهَا كَانَتِ ابْنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. فَبُهِتُوا بَهَتاً عَظِيماً. 43فَأَوْصَاهُمْ كَثِيراً أَنْ لاَ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِذَلِكَ. وَقَالَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ» (مرقس 5: 21–24 و35–43).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 9: 18–26 ولوقا 8: 41–56).

شهدت مدينة كفرناحوم كثيراً من معجزات السيد المسيح، وهذه المعجزة (إقامة ابنة يايرس من الموت) حدثت في هذه المدينة.

أقام المسيح ثلاثةً من بين الأموات في أماكن مختلفة وبعد أزمنة مختلفة من موتهم. أقام ابنة يايرس في البيت، وأقام ابن أرملة نايين عند باب المدينة. وحدثت هاتان الإقامتان في ذات يوم الوفاة.. وأقام لعازر من بين الأموات، من القبر، بعد أربعة أيام من موته.

وهذه المعجزات الثلاث تُرينا ثلاث حالات للنفس الخاطئة البعيدة عن المسيح. الأولى نفسٌ خاطئة من الداخل، خطؤها في «البيت» لا يراه الذين هم من خارج، ولكنها ميتة بذنوبها وخطاياها، تحتاج لأمر المسيح «يَا صَبِيَّةُ، لَكِ أَقُولُ قُومِي».

والحالة الثانية نفسٌ خاطئة في «باب المدينة» خطاياها ظاهرة للجميع، مثل خطايا اللسان أو الأذن أو اليد أو العين. وهي نفسٌ تحتاج لأمر المسيح: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ».

وتتطور خطية الإنسان إلى الحالة الثالثة، إذ تصبح نتنة، عفنة، مزمنة، يراها الجميع. وهي مثل حالة لعازر الذي كان له في القبر أربعة أيام. وهي نفسٌ تحتاج لأمر المسيح: «هَلُمَّ خَارِجاً».

وفي الحالات كلها نرى المسيح مقيم الموتى وباعث الحياة، لأنه الطريق والحق والقيامة والحياة.

أولاً: المحتاج والمعجزة

1- المحتاج الأول:

هو الابنة التي ماتت. قال إنجيل متى إن يايرس قال للمسيح إنها «مَاتَتْ» ولكن إنجيل مرقس يقول إن يايرس قال: «ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ». ويصف إنجيل لوقا حالتها بأنها «كَانَتْ فِي حَالِ الْمَوْتِ». والحقيقة هي أنه عندما ترك يايرس بيته كانت على وشك الموت، وعندما وصل إلى المكان الذي كان المسيح فيه لم يكن يدري إن كانت ابنته حية أو ماتت. فوصفها مرة بأنها ماتت، ومرة أخرى بأنها على وشك الموت، فقال: «ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا». وكلمة «لتُشفى» لأنها مريضة، وكلمة «فَتَحْيَا» لأنها ماتت. فالرجل لم يكن متأكداً من حالة ابنته، فتحدَّث مرة عن خطورة حالتها وطلب شفاءها، ومرة أخرى تحدث عن موتها.

في مرات كثيرة يكون المحتاج للمسيح عاجزاً عن أن ينطق أو يعبّر عن احتياجه، مثل حالة ابنة يايرس، فيكلف الرب شخصاً آخر ينوب عنه في توضيح حالته. وهناك خاطئ يعلم أنه يحتاج لرحمة المسيح. والخطاة الذين لا يدركون خطيتهم أخطأوا كثيراً فيئسوا من رحمة الرب، أو أن عيونهم عميت عن رؤية خطاياهم، ولذلك يحتاجون إلى شخص يبسط احتياجهم ويعلنه أمام عرش الرب.

فليعطنا الله النعمة لنعبِّر عن حالتنا بصدق وحق، وأن نعبر عن حاجة الآخرين إلى المسيح، فنحدثهم عن الرب، ونحدث الرب عنهم بأن نصلي لأجلهم.

2- **المحتاج الثاني:**

(أ) يايرس الكليم: كان يايرس المحتاج الثاني للمعجزة، وهو الذي عبَّر عن حاجة المحتاج الأول. ويايرس هو الاسم اليوناني للاسم العبري «يائير» (كما أن إلياس هو الاسم اليوناني للاسم العبري إيليا، ويونس هو الاسم اليوناني للاسم العبري يونان). ومعنى اسم «يايرس» في العبرية «يُنير» وكان اسماً لأحد القضاة المعروف بيائير الجلعادي.

(ب) يايرس الذي رأى فآمن: كان يايرس رئيس مجمع اليهود في كفرناحوم، وكان للمجمع أكثر من رئيس، ولعل يايرس كان واحداً من الذين توجهوا للمسيح نيابة عن قائد المئة الذي كان يحب اليهود وقد بنى لهم المجمع، طالبين شفاء عبد قائد المئة (لوقا 7: 3). ورأى يايرس معجزة شفاء المريض الذي شفاه المسيح من على بُعد، فأدرك قوة سلطان المسيح. وعندما فشلت محاولات الأطباء في مساعدة ابنته المريضة، قرر أن يذهب شخصياً ليخبر المسيح عن ابنته الوحيدة ذات الاثنتي عشرة سنة المشرفة على الموت.

(ج) يايرس العاجز الحزين: في مرات كثيرة يحاصرنا الرب بموقف قاسٍ أو مأزق صعب، لا نجد لنا منه مخرَجاً إلا باللجوء إلى المسيح. ومن محبة الرب أنه يُدخلنا في ضيق ويُشعرنا بالعجز لنلجأ لمراحمه الإلهية. فالحزن والعجز وسيلتان يستخدمهما الرب لخيرنا دائماً.

(د) يايرس المؤمن المتواضع: تصرَّف يايرس تصرف المتواضع مع المسيح. «وَلَمَّا رَآهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ». فعل هذا في وقتٍ كان رجال الدين اليهود يرون في المسيح مجرد واعظ شعبي لم يتلقَّ التعليم اللاهوتي الذي يسمح له أن يحمل لقب «مُعلّم». فكيف يسجد يايرس المثقف المتعلم عند قدمي واعظ شعبي من الناصرة؟ إنه التواضع.

وتصرف يايرس تصرف المؤمن بالمسيح فقال له: «لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا» لأنه رأى من قبل معجزات أجراها المسيح في كفرناحوم.

(هـ) يايرس اللحوح اللَّجوج: «وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً». فقد دفعه حزنه على ابنته أن يلحَّ على المسيح في الطلب.

(و) يايرس الشجاع: فقد سجد للمسيح وطلب منه أمام الشعب والرؤساء، في وقتٍ كان رؤساء اليهود قد صمموا فيه على قتل المسيح، وذلك بسبب محبته لابنته.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- أصدقاء يايرس:

بينما كان يايرس يتكلم جاء أصدقاؤه من داره قائلين: «ابْنَتُكَ مَاتَتْ. لِمَاذَا تُتْعِبُ الْمُعَلِّمَ بَعْدُ؟» (مرقس 5: 35). لم يكن الأصدقاء كاذبين، بل كانوا ينقلون خبراً صحيحاً. لكن الحكم الذي أصدروه كان خاطئاً: «لِمَاذَا تُتْعِبُ الْمُعَلِّمَ بَعْدُ؟» فالمعلم لا يتعب من عمل الخير، وليس الأمر «بَعْدُ» بمعنى أنه مضى، فما زال المسيح هو رب الماضي والحاضر والمستقبل. وأسرع المسيح يشجع يايرس بكلماته التي بعثت الأمل إلى قلبه بعد أن أضاعه أصدقاؤه، وقال له: «لاَ تَخَفْ. آمِنْ فَقَطْ» (مرقس 5: 36).

كثيراً ما نسمع من المحيطين بنا كلمات منطقية، لكنها لم تأخذ المسيح في الاعتبار، فتصيبنا أحكامهم باليأس والمرارة. ولكن شكراً لله، لأن المسيح يعيد إلينا الثقة ويبعث الرجاء في نفوسنا.

2- النائحات المأجورات:

«فَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ وَرَأَى ضَجِيجاً. يَبْكُونَ وَيُوَلْوِلُونَ كَثِيراً» (مرقس 5: 38). ويقول متى: «وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ الرَّئِيسِ وَنَظَرَ الْمُزَمِّرِينَ وَالْجَمْعَ يَضِجُّونَ» (9: 23). وكانت عادة أهل الميت أن يستأجروا نادبات وموسيقيين لإثارة البكاء على الأموات، وكان هناك عدد كبير منهم في بيت يايرس، يعزفون ألحاناً محزنة، ويرددون أشعار رثاءٍ ونَدْب. وعندما قال المسيح لهم إن الصبية لم تمت لكنها نائمة، توقفوا عن البكاء وأخذوا يضحكون سخرية من المسيح. فلم يكن حزنهم صادقاً، بل مأجوراً. كانوا معزين متعبين. ما أقسى المشاعر الجوفاء لبعض المحيطين بصاحب كل موقف صعب.

ولم يعلن المسيح مجده أمام هؤلاء المأجورين بل أخرجهم جميعاً. فما أبعد الساخرين عن التوبة وعن الإيمان!

3- التلاميذ تحت التدريب:

كان بطرس ويوحنا ويعقوب ضمن مشاهدي هذه المعجزة، وهم نفس الثلاثة الذين اصطحبهم المسيح معه على جبل التجلي (مرقس 9: 2) وهم نفسهم الذين أخذهم معه في بستان جثسيماني (مرقس 14: 33) لأنه كان يدرِّبهم تدريباً مكثفاً ليدربوا بدورهم بقية التلاميذ، وهكذا تنتقل المعرفة عن قوة وسلطان ومحبة المسيح إلى عدد أكبر من الناس. وحتى يومنا هذا نسمع: "وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاساً أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضاً" (2تيموثاوس 2: 2).

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح المحب:

قبل إجراء معجزة إقامة ابنة يايرس في كفرناحوم كان المسيح قد شفى رجلاً يابس اليد في مجمع كفرناحوم، وكان اليوم سبتاً لا يعمل اليهود فيه "فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ" (مرقس 3: 6) لأنه كسر وصية حفظ السبت. ولا بد أن يايرس، رئيس مجمع كفرناحوم، كان ضمن هؤلاء القادة. ولم يضع المسيح في اعتباره تآمر يايرس وزملائه السابق عليه، مع أنه كان يمكن أن يقول له: «لما كانت الأمور تسير سهلة معك كنت تريد قتلي، والآن وقد ساءت الأمور معك، لماذا تلجأ إليَّ؟!». لكن ليس

هذا تفكير المسيح، لأنه المحب، الذي لا نسمع منه رفضاً عندما تسوء حالتنا. فنحن نسرع إليه نشكو حالنا وقت ضيقنا، ولكن عندما تتحسن ظروفنا قد نسرع بالابتعاد عنه. غير أنه في الحالتين يقول لنا: "ادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي" (مزمور 50: 15).

وفي طريق المسيح إلى بيت يايرس ليقيم ابنته المائتة، اتّجه قلبه المحب إلى محتاجةٍ للشفاء هي نازفة دمٍ، دار بينه وبينها حديث ليشجع إيمانها بعد شفائها، وليشجع إيمان يايرس قبل أن يصل إلى بيته ليقيم ابنته. لقد أوقف المسيح موكبه، رغم إلحاح احتياج يايرس، لأن كل أعمال المسيح محبة، فهو "لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مرقس 10: 45). إن أعمال الرب أعمال محبة مستمرة، وهي سلسلة متصلة من لمسات الخير من نبع الخير الذي لا ينضب أبداً.

2- المسيح المشجّع:

رأى المسيح شرارة إيمان في قلب يايرس فأضرمها لما قال له: "لاَ تَخَفْ. آمِنْ فَقَطْ". يا لروعة المسيح، فهو يزيل آثار كلمات البشر المؤذية للنفس! كما نقرأ في إنجيل متى: «فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ. فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ. وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعاً. وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: «هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ. حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ. لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ، وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ» (متى 12: 14-21 مقتبسة من إشعياء 42: 3) فنفخ المسيح في إيمان يايرس الضعيف ليصبح قوياً، بأن شفى نازفة الدم في الطريق، ليشجع ويحيي في يايرس إيماناً كاد أن يموت.

وأطلق الرب على الموت اسم «النوم» وقال: «فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ» (متى 9: 24) وهو نفس وصف الموت في قوله عن لعازر: «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لَكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ» (يوحنا 11: 11).

إن معنى كلمة «مقبرة» في اللغة اليونانية «مكان النوم». فهذا الذي تمناه اليونانيون ولم يحققوه، حققه المسيح لنا، ليشجعنا لننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي.

3- المسيح المحيي:

أمسك يد الصبية الميتة، وقال لها: «طَلِيثَا قُومِي» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا صَبِيَّةُ، لَكِ أَقُولُ قُومِي). وهي الكلمة الرقيقة التي توقظ الأم بها ابنتها من النوم في كل صباح- فيا لرقة المسيح المحيي حتى مع الجثة الميتة!

ويا لرقة المسيح المحيي مع الخاطئ الميت بذنوبه وخطاياه! « اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يوحنا 5: 25) فيتحقق معهم قول الرسول بولس: «وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا.. اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ- بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ" (أفسس 2: 1-10).

ويا لرقة المسيح المحيي وهو يقيم المؤمن كل يوم من سقطاته وخطاياه حتى "إِذَا سَقَطَ لاَ يَنْطَرِحُ، لأَنَّ الرَّبَّ مُسْنِدٌ يَدَهُ" (مزمور 37: 24). ثم يعطيه ليأكل طعاماً روحياً يسنده ويشبعه، ليسير بقوة تلك الأكلة (1ملوك 19: 8).

ويا لرقة المسيح المحيي عندما يجيء ثانية "فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" (يوحنا 5: 28، 29).

فيا أيها القارئ، مُد يدك ليد المسيح، ليقيمك من موتك إلى عمل عظيم!

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك من أجل المسيح الذي أقام الموتى، ولا زال يقيم موتى الخطية بأن يمنحهم الحياة الأبدية بالميلاد الثاني، والذي سيقيم الموتى عند مجيئه ثانية ليدين العالم ويجازي كل واحد حسب عمله.
هبنا فيه الحياة المتجددة، الأبدية. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- من هم الثلاثة الذين أقامهم المسيح من الموت؟

2- نرى في الثلاثة الذين أقامهم المسيح ثلاث حالات للنفس البعيدة عن المسيح- ما هي؟

3- كيف تفسر قول يايرس للمسيح «ابنتي الآن ماتت» بحسب إنجيل متى، و«ابنتي الصغيرة على آخر نسمة» بحسب إنجيل مرقس، «وفي حال الموت» بحسب لوقا؟

4- ما معنى اسم «يايرس»؟

5- لماذا يسمح الله لنا بمواقف قاسية؟

6- من هم الذين ضحكوا على المسيح لما قال إن ابنة يايرس «نائمة»؟

7- اشرح كيف أظهر المسيح محبته ليايرس؟

المعجزة الرابعة عشرة

شفاء نازفة الدم

«25وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً 26وَقَدْ تَأَلَّمَتْ كَثِيراً مِنْ أَطِبَّاءَ كَثِيرِينَ وَأَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا وَلَمْ
تَنْتَفِعْ شَيْئاً بَلْ صَارَتْ إِلَى حَالٍ أَرْدَأَ – 27لَمَّا سَمِعَتْ بِيَسُوعَ جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ مِنْ وَرَاءٍ وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ 28لأَنَّهَا
قَالَتْ: «إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ». 29فَلِلْوَقْتِ جَفَّ يَنْبُوعُ دَمِهَا وَعَلِمَتْ فِي جِسْمِهَا أَنَّهَا قَدْ بَرِئَتْ مِنَ الدَّاءِ.
30فَلِلْوَقْتِ الْتَفَتَ يَسُوعُ بَيْنَ الْجَمْعِ شَاعِراً فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَالَ: «مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟» 31فَقَالَ
لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «أَنْتَ تَنْظُرُ الْجَمْعَ يَزْحَمُكَ وَتَقُولُ مَنْ لَمَسَنِي؟» 32وَكَانَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَرَى الَّتِي فَعَلَتْ هَذَا. 33وَأَمَّا
الْمَرْأَةُ فَجَاءَتْ وَهِيَ خَائِفَةٌ وَمُرْتَعِدَةٌ عَالِمَةً بِمَا حَصَلَ لَهَا فَخَرَّتْ وَقَالَتْ لَهُ الْحَقَّ كُلَّهُ. 34فَقَالَ لَهَا: «يَا ابْنَةُ،
إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ» (مرقس 5: 25–32).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 9: 20–22 ولوقا 8: 43–48)

اعترضت مريضة بنزف الدم لمدة اثنتي عشرة سنة طريق المسيح وهو متَّجه إلى كفرناحوم، إلى بيت يايرس رئيس المجمع ليقيم ابنته من الموت. وقالت في نفسها: «إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ» وهي تظن أن أحداً لن يشعر بتلك اللمسة. ولكن المسيح شعر بها، وأوقف الموكب سائلاً: «مَنْ لَمَسَنِي؟». فاستنكر تلاميذه هذا السؤال لأن الجمع كان يزحم المسيح، وليس فقط يلمسه. لكن المسيح عرف أن قوة شفاء خرجت منه استجابةً لإيمان نازفة الدم. وأدركت المرأة أن أمرها قد انكشف، فأقبلت نحوه وسجدت له وقالت له الحق كله، فأنعم عليها بما هو أكثر من مجرد شفاء جسدها. أنعم عليها بالحياة الأبدية وبسلام داخل قلبها، وطوَّبها لأنها نالت منه بركة شفاء لجسدها ونفسها في آنٍ معاً.

في شفاء نازفة الدم نرى المسيح الذي يعمل دوماً ولا يكل، ففي طريقه لإقامة ابنة يايرس قام بشفاء المرأة. ولقد شهد الرسول بطرس لعمل الرب عندما قال لأهل بيت كرنيليوس: «يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْراً وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ» (أعمال 10: 38).

كما أن المسيح شهد عن نفسه: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (يوحنا 5: 17) وقال أيضاً: « يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ» (يوحنا 9: 4، 5) ولذلك يقول مزمور المصاعد: «إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ.. الرَّبُّ حَافِظُكَ" (مزمور 121: 4، 5) فالوقت كله عنده نهار، لأنه نور، فلا توجد لديه ظلمة.

أولاً: المحتاجة والمعجزة

1- حالة نازفة الدم:

(أ) مرض جسدي: كان مرضها الجسدي مزمناً، غير قابل للشفاء مدة اثنتي عشرة سنة، مع أنها كانت ترجو طول سنوات مرضها أن تجد علاجاً وتُشفى، ولكنها لم تجد أي دواء لدائها، بل كانت تصير إلى حالٍ أردأ.

ووصف الإنجيل نزيفها بأنه «ينبوع دمها» فقد كان النزيف شديداً. ولكن شكراً لله، فقد التقت بالطبيب الأعظم الشافي.

(ب) مرض نفسي: فقد كانت حزينة «تألمت» ويائسة «صارت إلى حالٍ أردأ» وتستحي من الحديث عن مرضها. ترى ماذا كان موقف زوجها منها؟ هل وجدت فيه المعين وقت الشدة؟ أو هل تزوج بغيرها؟ ولو أن هذا حدث، فكم طُعنت في أنوثتها!

(ج) مرض طقسي: فقد كانت شريعة موسى ضدها، تمنعها من أن تلمس شخصاً أو شيئاً لئلا تنجسه. "كُلُّ فِرَاشٍ تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ كُلَّ أَيَّامِ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشِ طَمْثِهَا. وَكُلُّ الأَمْتِعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمْثِهَا" (لاويين 15: 26). "وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ لَهَا سَيْلٌ، وَكَانَ سَيْلُهَا دَماً فِي لَحْمِهَا، فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمْثِهَا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ" (لاويين 15: 19).

(د) فقر اقتصادي: أنفقت كل ما عندها بدون أي فائدة، حتى انهارت كل اقتصادياتها. غالباً لم يعد أحد يمد لها يد العون لنفقات العلاج، لأنهم رأوا عدم جدوى ذلك. ولم تكن صحتها تسمح لها بالعمل، كما لم يكن أي يهودي مستعداً ليكلفها بأي عمل، حتى لا يتنجس!

وقد نمر بمثل هذا الموقف: تكون لدينا مشكلة مزمنة، فتسوء حالتنا النفسية، وربما لا نجد معونة من أي مصدر ديني أو اجتماعي، وإذا الأبواب مُغلقة جميعاً. ولكن لنا رجاء أن باباً آخر مختلفاً عن جميع الأبواب ينفتح لنا على مصراعيه، هو باب السماء، لأن الله يعطي دائماً وأبداً المنفذ مع التجربة.

(2) إيمان نازفة الدم:

كان إيمان السيدة في قدرة المسيح صادقاً، ففكرت في نفسها: "إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ" (متى 9: 21). وقد شهد المسيح لها بذلك. كانت كلها أملاً وتصميماً لتتخطى أي صعوبات تحول بينها وبين لقاء المسيح. ومن هذا نرى أن ألم السيدة كان بركة روحية لها، فهو الذي جعلها تتجه إلى المسيح لاحتياجها إليه لينقذها ويخلصها.

قال رجل أعمال اضطر أن يرقد على ظهره مدة 45 يوماً: «منذ أكثر من 45 عاماً نسيت الصلاة. لم أكن أخاطب الرب. كنت مشغولاً بحساباتي وأعمالي، فأرقدني الرب على ظهري ليتجه بصري إليه وحده، وشفاني». أمين هو الله الذي لا يدعنا نُجرَّب فوق ما نستطيع، لكنه يجربنا ليوجهنا إليه.

3- شفاء نازفة الدم:

(أ) بعد الشفاء جاءت للمسيح "وَهِيَ خَائِفَةٌ وَمُرْتَعِدَةٌ" من انتقاد الكتبة، ومن أن تكون قد نجَّست المسيح طقسياً. فطمأنها من بعد خوف، وشجعها ووهبها ما طلبت!

(ب) وجاءته بعد الشفاء عابدة «خَرَّتْ» أمامه.

(ج) وجاءته معترفة « وَقَالَتْ لَهُ الْحَقَّ كُلَّهُ». وهو الذي من قبل ذلك كان يعرف كل شيء. فاعترافنا لا يضيف لمعلوماته، ولكنه يساعدنا لننفتح على قداسته.

(د) ثم ذهبت من عنده صحيحة النفس، بعد أن قال لها: "يَا ابْنَةُ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ". لقد نالت خلاص نفسها، فصحَّت من مرض الجسد والنفس معاً.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- يايرس المتعجِّل:

كان يايرس يواجه كارثة كبرى، فابنته عندما ترك بيته كانت على وشك أن تموت. ولا شك أنه داخل نفسه كان يرفض أن يتوقف المسيح ليسأل: «مَنْ لَمَسَنِي؟». ولا شك أنه انتقد المسيح في هذا التصرف، لأنه رأى مشكلته المشكلة الوحيدة في العالم، فهو صاحب مشكلة كبرى تهون أمامها كل مشكلة أقل!

ولكن رب السماء والأرض مِلكٌ للبشر جميعاً، ويوجد في قلبه مكان وفي وقته نصيب لكي شخص. ونحن عندما نقرب مشكلة من عيوننا لا نرى سواها، ولكن المسيح يريدنا أن نرى الناس من خلال عينيه، وأن نرى العالم من خلال سلطانه، فتعتدل عنده الرؤيا وينصلح الموقف الفكري، وتأخذ المشاكل حجمها الطبيعي فلا نعود نهتم بأنفسنا فقط ولكن بالآخرين أيضاً. فعند المسيح ما يكفي الجميع. ولا داعي لمقارنة معاملة المسيح مع غيرنا بمعاملته معنا، فالحب هو الشيء الوحيد الذي يزيد كلما توزَّع، والمحبة كلما أُعطيت لكثيرين زادت ونمت.

2- التلاميذ المتسائلون:

سأل التلاميذ المسيح مستنكرين: "أَنْتَ تَنْظُرُ الْجَمْعَ يَزْحَمُكَ وَتَقُولُ مَنْ لَمَسَنِي؟" فقد كان الجمع يزحمه، وكان من الطبيعي في نظرهم أن يحدث هذا. استنكروا قبل أن يعرفوا أن المسيح يعرف أكثر منهم، ثم أنه هو (وليسوا هم) الذي سيحل المشكلة، وسيعالج الموقف. وما أجمل قوله: « لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا" (متى 7: 1). نوجه للمسيح أحياناً أسئلة كأننا نعرف كل شيء، وكأننا ندرك طرق تحقيق أهدافه أكثر مما يدركها هو، ونعرف مصلحة ملكوته أكثر مما يعرف هو!! نلوم الله كثيراً كأننا نريد أن نصلح فكره. فليسامحنا الله على عدم الخضوع، وليعطنا روح النعمة لنصغي لكلمته ونوليها الاهتمام كله، واثقين أن هناك هدفاً لكل كلمة يقولها. فالمسيح عندما سأل عن نازفة الدم كان يريد أن يباركها أكثر، ويساعدها لتنشئ معه علاقة شخصية.

لم يدرك التلاميذ أن هناك فرقاً بين الزحام العشوائي ولمسة الإيمان الواثق. لقد تحدث التلاميذ عن الزحام الذي كان سبب التلامس، وأما المسيح فتحدث عن اللمسة نفسها، لمسة القرب والمحبة والاحتياج التي تشفي وتُشبع. ولعل يوحنا افتكر هذه اللمسة فقال: "الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا" (1يوحنا 1: 1، 2). ليتنا كلنا نلمس المسيح بثقة وإيمان، ونحترس من أن تخلو عبادتنا من التركيز والتأمل.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح المشهور:

عندما سمعت المرأة أن المسيح قادم، جاءت ودخلت وسط الجمع من ورائه ومسَّت ثوبه، فإن شهرته كانت قد ملأت الآفاق «وَكَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ» (مرقس 1: 45). فهو فريد، لا نظير له. وُلد من عذراء ليتحقق الوعد الأول: نسل المرأة يسحق رأس الحية (تكوين 3: 15). عاش بدون خطية. دحرج الحجر وقام لأن الموت لم يكن ممكناً أن يمسكه. وحده هزم القبر وجلس عن يمين العظمة في الأعالي. ووحده الذي يستحق أن يشفع فينا لسببين: الأول أنه في غير احتياج لشفيع، فهو الذي لم يخطئ أبداً. والثاني أنه الوحيد الذي دفع أجرة الخطية وسدد ديننا، فهو يشفع فينا بحق فدائه. وهو الوحيد الذي سيعود مرة أخرى إلى أرضنا ليدين الأحياء والأموات.

ولعظمة شهرته في معجزات الشفاء فكرت نازفة الدم في لمس «هُدْب ثَوْبِهِ» (لوقا 8: 44) فقد أمرت شريعة موسى بني إسرائيل بلبس ثياب ذات أهداب، ليذكروا وصايا الرب لهم (العدد 15: 37–41). فحسبت نازفة الدم أن لمس مجرد الهدب كافٍ للشفاء.

2– المسيح الفعال:

شعر المسيح بالقوة التي خرجت منه، وبسببها جف نزيف الدم المزمن في الحال. "مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ" (أفسس 1: 3) "يَا رَبُّ، فِي السَّمَاوَاتِ رَحْمَتُكَ. أَمَانَتُكَ إِلَى الْغَمَامِ. عَدْلُكَ مِثْلُ جِبَالِ اللهِ، وَأَحْكَامُكَ لُجَّةٌ عَظِيمَةٌ. النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَب (فالرب من رحمته يهتم بكل مخلوقاته)ُ. مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اللهُ، فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ. يَرْوُونَ مِنْ دَسَمِ بَيْتِكَ، وَمِنْ نَهْرِ نِعَمِكَ تَسْقِيهِمْ. لأَنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. بِنُورِكَ نَرَى نُوراً. أَدِمْ رَحْمَتَكَ لِلَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ، وَعَدْلَكَ لِلْمُسْتَقِيمِي الْقَلْبِ" (مزمور 36: 5–10).

3– المسيح العارف:

عرف بالقوة التي خرجت منه، وبالتي انتفعت بها، فسأل: "من لمسني؟". كثيراً ما يعرف الآب مَن مِن أولاده فعل شيئاً، ولكنه يسأل عمَّن فعله، لا لأنه يجهل، ولكن ليجيء الفاعل إليه معترفاً ليسامحه ويعطيه السلام. هكذا سأل المسيح، لا لأنه يجهل، ولكن لأنه أراد أن تجيء المرأة إليه ليكون هناك اتصال مباشر بينها وبينه. فهو لا يريدها مجرد شحاذة تستجدي منه، بل ابنة للآب السماوي تنال أكثر جداً مما تطلب أو تفتكر. أراد أن يمنحها الجرأة والقدوم إلى عرش النعمة بالعلاقة الشخصية بينها وبينه، لتشبع حياتها من دسم بيته.

هذا المسيح العارف قال لنثنائيل: "قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلُبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التِّينَةِ رَأَيْتُكَ" (يوحنا 1: 48). ويقول البشير يوحنا عنه: "لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ، وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجاً أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ" (يوحنا 2: 24، 25).

4– المسيح المخلِّص:

بعد أن سأل المسيح: "مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟" قال لنازفة الدم: «يَا ابْنَةُ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ".. لقد سأل الرب آدم: «أَيْنَ أَنْتَ؟» (تكوين 3: 9) لأنه أراد أن يخلّصه ويستره. كما سأل قايين في تكوين 4: 9 «أَيْنَ أَخُوكَ؟» لأنه أراد أن يحرك ضميره ويعطيه فرصة التوبة. وقد سأل النبي أليشع: «مِنْ أَيْنَ يَا جِيحَزِي؟» (2ملوك 5: 25) ليوقظ ضميره.

يوجه الله إلينا أسئلة لنعترف، لأنه يريد أن يعطي ويبارك أكثر. يريد أن نكتشف أنفسنا وعيوبنا بتسليط الضوء عليها، ثم يقدم لنا العلاج والشفاء والغفران.

5– المسيح المعطي:

أعطي المسيح نازفة الدم بعد شفائها ثلاث عطايا:

(أ) أعطى الثقة: «ثِقِي» ليؤكد لها أن احتياجات المستقبل مضمونة في وعده. يقول المسيح: "إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً" (يوحنا 16: 24). كثيراً ما نطلب من الله طلبات صغيرة مثل النجاح والشفاء الجسدي. ولكن توجد بركات أعمق هي بركات الروح التي يجب أن نطلبها واثقين.

(ب) أعطى التبني: "يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ". "أَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يوحنا 1: 12)

(ج) أعطى السلام: «اذْهَبِي بِسَلاَمٍ». أعطى كل هذا بالإضافة إلى الشفاء. "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ" (رومية 5: 1، 2).

عند المسيح نِعَم كثيرة. لا نريد أن نلمس هدب الثوب فقط، بل نريد أن نحيا في المسيح، فيمتلكنا ونسلم له الحياة بغير قيد أو شرط، ليكون هو الملك على حياتنا.

صلاة

أبانا السماوي، مهما كانت مشكلتنا كبيرة فَحلُّها الكامل موجود عندك، ومهما أصابنا اليأس فإنك تجعل من وادي التعكير والكدر باباً للرجاء. نُحني أمامك الجباه، ونسلمك زمام الحياة لتجعلها حياة كريمة فُضلى. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- اذكر آيتين توضحان أن المسيح دائم العمل.
2- لماذا تألمت نازفة الدم نفسياً، ولماذا تألمت طقسياً؟
3- لماذا سمح الله لرجل الأعمال أن يرقد على ظهره 45 يوماً؟
4- ما هي بركات تأخُّر المسيح عن الذهاب لبيت يايرس؟
5- ما هو الفرق بين الزحام العشوائي ولمسة الإيمان الهادف؟
6- لماذا أراد المسيح أن تجيء نازفة الدم إليه بعد شفاء مرضها الجسدي؟
7- اذكر البركات الثلاث التي منحها المسيح لنازفة الدم؟

المعجزة الخامسة عشرة

شفاء أعميين

«27وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ يَصْرَخَانِ وَيَقُولاَنِ: «ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ». 28وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الأَعْمَيَانِ فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؟» قَالاَ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ». 29حِينَئِذٍ لَمَسَ أَعْيُنَهُمَا قَائِلاً: «بِحَسَبِ إِيمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا». 30فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا. فَانْتَهَرَهُمَا يَسُوعُ قَائِلاً: «انْظُرَا لاَ يَعْلَمْ أَحَدٌ!» 31وَلَكِنَّهُمَا خَرَجَا وَأَشَاعَاهُ فِي تِلْكَ الأَرْضِ كُلِّهَا» (متى 9: 27–31).

فتح المسيح عيون الأعميين في ذات النهار الذي أقام فيه ابنة يايرس وشفى نازفة الدم، فبعد إقامة الابنة الميتة أخذ المسيح طريقه إلى بيت سمعان بطرس. وفي الطريق ناداه أعميان بأعلى صوت: «ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ». ولا بد أنهما سمعا أخبار معجزاته في تلك المنطقة وعرفا عن زيارته القريبة لمنطقتهما، وأنه ابن داود أي المخلّص. وأدركا سلطانه العظيم على المرض والطبيعة والأبالسة وعلى الموت نفسه، فلا يوجد شيء غير خاضع له، وهو الذي قال: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (متى 28: 18). فسلطانه السماوي واضح في مغفرة الخطية، ومنح الحياة الأبدية، واستجابة الصلاة، والشفاعة. وسلطانه على الأرض واضح في الشفاء، والحماية إذ يُرسل ملائكته من السماء ليعتنوا بالمؤمنين فإن «مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ وَيُنَجِّيهِمْ» (مزمور 34: 7).

كان المسيح متجهاً من بيت يايرس إلى بيت بطرس في كفرناحوم عندما تبعه الأعميان إلى أن دخل البيت، فتقدما إليه يطلبان الشفاء، فسألهما: «أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؟» فأجابا: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ» فلمس أعينهما قائلاً: « بِحَسَبِ إِيمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا» فانفتحت أعينهما. وطلب منهما ألا يرويا الخبر لأحد، لكنهما لم يطيعا أمره، وخرجا من البيت يذيعان الخبر للجميع.

أولاً: المحتاجان والمعجزة

1– أعميان:

يرمز العمى في الكتاب المقدس للخطية التي هي العمى الروحي، لأن الخاطئ لا يرى حالته الشريرة، لا يرى كفارة المسيح. كما يرمز العمى إلى الجهل، فالجاهل لا يرى الحقائق. وهذان الأعميان بالجسد يرمزان إلى البشرية كلها التي عميت عيونها عن رؤية محبة الله وعن رؤية خطيتها، التي يصفها سفر التثنية بالقول: « فَتَتَلَمَّسُ فِي الظُّهْرِ كَمَا يَتَلَمَّسُ الأَعْمَى فِي الظَّلامِ، وَلا تَنْجَحُ فِي طُرُقِكَ بَل لا تَكُونُ إِلا مَظْلُوماً مَغْصُوباً كُل الأَيَّامِ وَليْسَ مُخَلِّصٌ" (تثنية 28: 29) ويصفها إشعياء بالقول: «آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ.. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ابْتَعَدَ الْحَقُّ عَنَّا وَلَمْ يُدْرِكْنَا الْعَدْلُ. نَنْتَظِرُ نُوراً فَإِذَا ظَلاَمٌ، ضِيَاءً فَنَسِيرُ فِي ظَلاَمٍ دَامِسٍ. نَتَلَمَّسُ الْحَائِطَ كَعُمْيٍ، وَكَالَّذِي بِلاَ أَعْيُنٍ نَتَجَسَّسُ. قَدْ عَثَرْنَا فِي الظُّهْرِ كَمَا فِي الْعَتَمَةِ، فِي الضَّبَابِ كَمَوْتَى" (إشعياء 59: 2، 9، 10).

ويصف الكتاب الخلاص من الخطية باعتبار أنه فتحٌ للعيون كقول إشعياء: «وَيَسْمَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الصُّمُّ أَقْوَالَ السِّفْرِ، وَتَنْظُرُ مِنَ الْقَتَامِ وَالظُّلْمَةِ عُيُونُ الْعُمْيِ، وَيَزْدَادُ الْبَائِسُونَ فَرَحاً بِالرَّبِّ، وَيَهْتِفُ مَسَاكِينُ النَّاسِ بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ" (إشعياء 29: 18، 19) وكقول بولس: "لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ" (أفسس 5:

8). فيوم الخلاص هو يوم فتح الأذنين لتسمعا صوت المسيح، وفتح العينين لتريا نوره وهو يقول: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ" (يوحنا 8: 12).

2- جمعتهما الحاجة:

جمع الحزن المشترك هذين الرجلين. وكثيراً ما يرسل الرب علينا ضيقات يصعب علينا التعامل معها وحدنا، فنجتمع معاً. فجميل أن يكون هناك توافق مع شريك في الصلاة من أجل طلبة واحدة، حسب قول المسيح: "إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى 18: 19) فيتوحد القلب في رفع الطلبة إلى الله في تجانس وتفاهم، فيجد الاستجابة.

3- بصيرتاهما مفتوحتان:

كانت عيونهما عمياء، ولكن بصيرتيهما كانتا مفتوحتين! فقد عرفا في المسيح «ابن داود» المخلص الآتي. عندما أجرى المسيح معجزاته قال رجال الدين اليهود عنه إنه برئيس الشياطين يُخرج الشياطين (مرقس 3: 22). ولكن الأعميين ناديا: "ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ" لأنهما آمنا أنه المُخلِّص المنتظر غالب الموت. لقد سمعا بمعجزاته، فأدركا أن هذا هو الذي تنبأ عنه إشعياء: "وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ" (إشعياء 11: 1، 2) وقول النبي حزقيال: "يَرْعَاهَا عَبْدِي دَاوُدُ.. وَأَنَا الرَّبُّ أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً، وَعَبْدِي دَاوُدُ رَئِيساً فِي وَسَطِهِمْ" (حزقيال 34: 23، 24) فكانت لهم البصيرة التي لم تكن لرجال الدين.

4- إيمانهما الواثق:

عندما سألهم المسيح: "أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؟» كانت إجابتهما: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ». والإيمان الذي يتوقع القليل ينال القليل، والذي يتوقع الفشل يفشل. وإيمان هذين الأعميين توقَّع البصر، فناله! والإيمان هو الدلو الذي ندليه في بئر عميقة لنستقي ماء الحياة. وهو الجيب الذي لا يُغني صاحبه، ولكنه يغتني بالثروة التي تُوضع فيه. فالإيمان مهم في موضوع ثقته وليس في ذاته، وهو الوسيلة التي نحصل بها على البركة الموهوبة لنا في المسيح. ولكن المسيح هو واهب البركة، ومُغني الحياة، ومُروي القلب. والإيمان الصحيح يُبنى على كلمة الله، لا على وعود البشر . وهذا ما فعله الأعميان عندما صدقا نبوات العهد القديم عن المسيح، وعرفا أنها تحققت في يسوع الناصري.

وكان إيمانهما عاملاً، فصلَّيا: "ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ" وكان إيمانهما مثابراً فبذلا جهداً لأنهما تبعاه واستمرا يسيران حتى وصلا إلى البيت الذي دخله، وهما لا يريان شيئاً في تلك الشوارع الضيقة وفي وسط الزحام. هذا هو الإيمان الذي لا ييأس بل ينتظر: "اِنْتِظَاراً انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي" (مزمور 40: 1) وكان إيمانهما متعاوناً، فاهتم كل واحد منهما بالآخر، وظلا معاً يدعوان الرب لنوال الرحمة. وقد أكرم المسيح إيمانهما بأن فتح أعينهما على رؤية وجهه المحب، ويا له من وجه مشرق مشع بالمحبة والخير والنعمة!

5- عصيانهما المحبّ:

بعد شفاء الأعميين قال المسيح لهما: "انْظُرَا لاَ يَعْلَمْ أَحَدٌ!". إلا أنهما أشاعا هذا الأمر في المنطقة كلها. وهذا ما نسميه بعصيان المحبة، فهما لا يقصدان شراً، ولكن من شدة فرحتهما بالشفاء وحبهما للمسيح لم يستطيعا أن يحتفظا بالسر. ولفرط انبهارهما وانذهالهما مما جرى لهما لم يقدرا أن يسكتا، مع أنهما غالباً كانا يعلمان نصيحة النبي صموئيل: "هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ" (1صموئيل 15: 22).

قد يُطرح تساؤل: لماذا أصدر المسيح أمراً بالصمت في هذا الموقف، بينما أمر بالإعلان عن المعجزة في مواقف أخرى؟ لقد أمر المسيح تلاميذه بالسكوت عن ذكر موضوع التجلي (متى 17: 9) وأمر الأبرص ألا يخبر أحداً بشفائه (مرقس 1: 44) وأمر عائلة يايرس بعدم إذاعة خبر قيامة ابنتهم من الموت (مرقس 5: 19). ولكنه بعكس ذلك أمر اللجئون الذي شُفي أن يعلن خبر شفائه (مرقس 5: 43).

والإجابة على هذا التساؤل هي: هناك حرية في عمل الله، فالروح القدس ديناميكي وعامل ومتحرك. وعلى هذا فنحن لا نصبّ عمل روح الله في قالب جامد، ولا نحدّ عمله، ولا نحجّمه، بل نستجيب ونخضع له. فقد يكون السكوت عن الإعلان طاعة، كما قال المسيح في الموعظة على الجبل: "لاَ تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكِلاَبِ، وَلاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِئَلا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فَتُمَزِّقَكُمْ" (متى 7: 6). وقد يكون السكوت عن الإعلان عصياناً، فقد قال المسيح: "اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (متى 28: 19، 20).

وعلى كل مؤمن أن يكون على اتصال مباشر بالرب ليصغي لتوجيهه خطوة بعد أخرى، كل خطوة حسب ظروفها كما يراها الله نفسه. وهذا الاتصال يجب أن يكون مستمراً لا يتوقف مهما اختلفت المواقف وأبعادها. فكما أن طعام الأمس الجسدي لا يكفي لليوم، هكذا التوجيه الإلهي والإرشاد الروحي بالأمس لا يكفي لليوم. فنحن نحتاج إلى الصلة مع الله في الصلاة وقراءة كلمته وإدراك وجوده الفعلي في حياتنا كل يوم. لقد كان الله يُنزل المن السماوي لبني إسرائيل كل صباح ليأتوا إليه شاكرين كل صباح ليطلبوا عطية محبته. وهذه هي ديناميكية الروح القدس، وطبيعة حركة ملكوت الله الحي الذي يتعامل مع أبناء أحياء.

ثانياً: المسيح والمعجزة

1- اختار المسيح وقت الشفاء ومكانه:

أراد الأعميان أن يكون الشفاء في الطريق، وأن يتم فوراً، فصرخا في الطريق يطلبان الشفاء. لكن المسيح مضى في سيره إلى أن وصل إلى البيت. ولا شك أن توقيت شفاء الأعميين ومكانه هو لمصلحتهما، لأن المسيح أراد أن ينشئ علاقة شخصية بينهما وبينه، فتركهما يسيران وراءه إلى أن وجدا نفسيهما معه داخل البيت.

كثيراً ما يبدو أن الله يتأخر في الاستجابة، ولكنه لا يتأخر، بل يُوجِد الظرف المناسب لينشئ لنا معه العلاقة الأعمق والأقوى، ليمتلئ القلب من نعمة المسيح قبل أن يتمتع الجسد بعطاياه. ولقد أجّل المسيح الشفاء إلى أن يصل للبيت، ليُجري المعجزة في السر، لا في العَلَن. ولهذا أمر المسيح الأعميين عدم إذاعة خبر شفائهما.

2- عبَّر المسيح عن حنانه بطريقة تناسب حالتهما:

شفى المسيح كثيرين بكلمة، ولكن مع الأعميين كان الشفاء بلمسة، لأن الذي لا يرى يشعر باللمسة. هكذا شفى المولود أعمى (يوحنا 9: 6) وهكذا شفى أعمى بيت صيدا (مرقس 8: 23). والله دائماً يكلمنا بلغة نفهمها، ويتعامل معنا بطريقة تتناسب مع تفكيرنا ومع احتياجنا الذي يحدده هو بحكمته، آخذاً في الاعتبار حالتنا وحالة المجتمع الذي نعيش فيه.

أجرى المسيح هذه المعجزات في القديم، ولا يزال مستعداً أن يجريها اليوم، وهو يريد أن يفتح عينيك لترى محبته، وطريقته لغفران خطاياك، لتنال الخلاص والحياة الأبدية.

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك لأنك باركت الأعميين وفتحت عيونهما، فكان أول ما رأياه وجه المسيح الجميل. أشرِق علينا بنور وجهك، حتى بنورك نرى نوراً، وافتح عيوننا على المسيح نور العالم. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- ما معنى لقب «ابن داود» الذي نادى به الأعميان المسيح؟

2- إلى أي شيء يشير العمى في الكتاب المقدس؟

3- ما الذي جمع الأعميين معاً؟ وماذا يعلمنا هذا؟

4- قدم تشبيهين يصفان الإيمان ذكرناهما في شرح هذه المعجزة.

5- اذكر وصفين لإيمان الأعميين.

6- ما هي أول مكافأة نالها الأعميان؟

7- لماذا عصى الأعميان أمر المسيح وأذاعا خبر شفائهما؟

المعجزة السادسة عشرة

إشباع خمسة آلاف

«1بَعْدَ هَذَا مَضَى يَسُوعُ إِلَى عَبْرِ بَحْرِ الْجَلِيلِ وَهُوَ بَحْرُ طَبَرِيَّةَ. 2وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا آيَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا فِي الْمَرْضَى. 3فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى جَبَلٍ وَجَلَسَ هُنَاكَ مَعَ تلاَمِيذِهِ. 4وَكَانَ الْفِصْحُ عِيدُ الْيَهُودِ قَرِيباً. 5فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ أَنَّ جَمْعاً كَثِيراً مُقْبِلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ لِفِيلُبُّسَ: «مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزاً لِيَأْكُلَ هَؤُلاَءِ؟» 6وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ لأَنَّهُ هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَفْعَلَ. 7أَجَابَهُ فِيلُبُّسُ: «لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئاً يَسِيراً». 8قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ وَهُوَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ: 9«هُنَا غُلاَمٌ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغِفَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ وَلَكِنْ مَا هَذَا لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ؟» 10فَقَالَ يَسُوعُ: «اجْعَلُوا النَّاسَ يَتَّكِئُونَ». وَكَانَ فِي الْمَكَانِ عُشْبٌ كَثِيرٌ فَاتَّكَأَ الرِّجَالُ وَعَدَدُهُمْ نَحْوُ خَمْسَةِ آلاَفٍ. 11وَأَخَذَ يَسُوعُ الأَرْغِفَةَ وَشَكَرَ وَوَزَّعَ عَلَى التّلاَمِيذِ وَالتّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْمُتَّكِئِينَ. وَكَذَلِكَ مِنَ السَّمَكَتَيْنِ بِقَدْرِ مَا شَاءُوا. 12فَلَمَّا شَبِعُوا قَالَ لِتلاَمِيذِهِ: «اجْمَعُوا الْكِسَرَ الْفَاضِلَةَ لِكَيْ لاَ يَضِيعَ شَيْءٌ». 13فَجَمَعُوا وَمَلأُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الْكِسَرِ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةِ الشَّعِيرِ الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الآكِلِينَ.

14فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!» 15وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكاً انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ» (يوحنا 6: 1–15).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 14: 13–21 ومرقس 6: 30–44 ولوقا 9: 10–17).

تتميز هذه المعجزة بأنها الوحيدة التي ذكرتها الأناجيل الأربعة بكل تفاصيلها. ومناسبة إجرائها أن المسيح كان قد أرسل تلاميذه للوعظ، فرجعوا إليه يقدمون تقارير عن خدمتهم، وكيف أن الله باركهم وأن الروح القدس استخدمهم.

وجاء في ذلك الوقت بعض تلاميذ يوحنا المعمدان يحكون للمسيح أن هيرودس قطع رأس معلّمهم، فرأى المسيح أن يبتعد عن دائرة مملكة هيرودس، كما رأى أن يعطي تلاميذه الراجعين من خدمتهم فرصة راحة، فاقترح على تلاميذه أن يعبروا إلى شرق بحيرة طبرية، إلى بيت صيدا في قارب، ليتيح لهم فرصة الراحة. وكان الزمن وقت الربيع وعيد الفصح يقترب.

وكانت الجموع تفتش عن المسيح باستمرار لشدة احتياجهم، فالبعض مريض، وآخر حائر، وثالث متعطش لكلمة حية ولتعليم بسلطان يختلف عن تعليم الكتبة. وهؤلاء جميعاً لما علموا أنه يركب صفحة الماء إلى الجانب الآخر ساروا على اليابسة مشاةً ليلحقوا به.

وعندما رسا القارب، أخذ المسيح تلاميذه وصعد على الجبل، فرأى الجماهير تتجمع متجهة إليه يحملون مرضاهم ويسرعون بقدر ما يستطيعون، فقضى اليوم يعلمهم. وفي المساء لم يشأ أن يصرفهم جائعين، فأطعمهم،وهم خمسة آلاف، من خمسة أرغفة وسمكتين!

أولاً المحتاجون والمعجزة

المحتاجون هم الخمسة آلاف، مع نسائهم وأطفالهم. وهم يحتاجون لتعليم ولرعاية.

1- يحتاجون للتعليم:

جاءوا مشاة من المدن جائعين إلى الله، يريدون أن يأكلوا الخبز الحي. وكثيراً ما يظن المؤمنون أن الناس لا يهتمون بالروحيات، ولكن هذا غير صحيح. فحينما يجد الناس طعاماً روحياً تستيقظ شهيتهم ويشعرون بالجوع، وعندما يجدون مؤمناً يسلك سلوكاً يمجد الرب يسألونه عن سبب الرجاء الذي فيه، وعن سبب السلوك المختلف الذي يحياه. وأصحاب ردود الفعل الحزينة أو اليائسة أو الغاضبة أو المنفلتة لما يرون مؤمناً يتمتع بثمر الروح القدس، الذي هو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف (غلاطية 5: 22، 23) ينذهلون ويطلبون أن يختبروا هذا الثمر كما اختبره هو. و"طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ" (متى 5: 6).

2- يحتاجون للرعاية:

فقد رآهم المسيح كغنمٍ لا راعي لها. وهكذا حال الناس اليوم، فهم مثقلون بالهموم والحيرة، وهم كثيرون، والرعاة قليلون. وكم نحتاج إلى رعاة يرعون رعية الله التي اقتناها المسيح بدمه.

استمع الجمهور لوعظ المسيح، وطال الوقت فجاعوا. وهنا جاء عمل المسيح، الراعي الصالح، راعي الخراف العظيم، ليقدم رعايته الكاملة.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

نتأمل تلاميذ المسيح، وبصفة خاصة فيلبس وأندراوس، ثم الولد صاحب الخمس خبزات والسمكتين:

1- فيلبس:

وجَّه المسيح سؤالاً لفيلبس لامتحانه: "مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزاً لِيَأْكُلَ هَؤُلاَءِ؟" فأجاب: "لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئاً يَسِيراً" (يوحنا 6: 7) والدينار أجر عامل في اليوم. ولعل المئتي دينار كانت كل ما تبقى من مال في صندوق الجماعة. فكان رأي فيلبس أنهم فقراء لا يملكون ما يكفي.

هذا حساب بشري عادي ومنطق إنساني حكيم وسليم. إنه حساب للنفقة التي تعتمد على نفسها وعلى إمكانياتها بدون أن تُدخل قوة المسيح في الاعتبار. ولكن المسيح كان يريد أن يُرجع فيلبس إلى إيمانه العميق الأول، يوم التقى به في نواحي الأردن حوالي ديسمبر (ك 1) سنة 26م وقال له: «اتبعني» (يوحنا 1: 43-46). فتبع فيلبس المسيح، ثم مضى يدعو نثنائيل ليتبع المسيح أيضاً. أراد المسيح أن يرد لفيلبس فرحة خلاصه الأولى، وقوة تسليمه الأول، فيحصل فيلبس على قوة جديدة لإيمانه.

امتحن المسيح فيلبس ليشجعه ليرى أن المسيح ليس أقل من موسى وهو يشبع بني إسرائيل في صحراء سيناء بالمن كل يوم. وليس المسيح أقل من أليشع الذي أطعم مئة رجل بعشرين رغيفاً وقال: "هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: يَأْكُلُونَ وَيَفْضُلُ عَنْهُمْ» (2ملوك 4: 43).

يضعف إيماننا في مرات كثيرة ويهتز، فنتساءل: من أين؟ ولكن عندما يكلفنا الرب بشيء، لا يكلفنا أبداً من عند أنفسنا، لكنه يعطينا ما نعطيه للآخرين، ويباركنا لنباركهم. وعندما نأخذ ونعطي نبارك ونتبارك نحن أيضاً.

2- أندراوس:

شهرة أندراوس أنه يقدم الناس دائماً للمسيح، فقد عرَّف أخاه بطرس بالمسيح (يوحنا 1: 35-42). وعندما جاء اليونانيون يطلبون من فيلبس تدبير لقاء لهم بالمسيح، سلَّمهم فيلبس لأندراوس (يوحنا 12: 22). وهكذا تدرب أندراوس على أخذ الناس إلى حيث يجدون البركة. ولقد قدم الأسقف د. ت. نايلز (من سريلانكا) تعريفاً للمبشر فقال: «هو شحاذٌ يخبر شحاذاً آخر أين يجد الخبز».

ومعنى اسم اندراوس «رجل حقاً» فالرجل الحق هو الذي وجد المسيح، وهو الذي يقود غيره لمعرفة المسيح. استطاع اندراوس أن يجيء بالولد إلى المسيح، ويقنعه أن يقدم الخمس خبزات والسمكتين. ولا بد أن قلب أندراوس كان عامراً بالمحبة مليئاً بالشفقة، فاطمأن الولد إليه ومشى معه إلى حيث كان المسيح. وعندما أخذ منه خبزاته وسمكتيه قدمها الولد برضا.

جاء اندراوس بالخمسة أرغفة والسمكتين مع تحفُّظ وقال: «وَلَكِنْ مَا هَذَا لِمِثْلِ هَؤُلاءِ؟» (يوحنا 6: 9) وقوله: «لكن» يفيد إحساسه أن مشكلته أكبر من ثقته في المسيح، فإيماننا قد يضعُف رغم اختباراته الماضية، فيقول: «ولكن». غير أن المسيح منح الإيمان الضعيف دفعة قوة، لما قال: "ائْتُونِي بِهَا إِلَى هُنَا".. وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَى" (متى 14: 18، 19).

3- الصبي الصغير:

لا بد أنه كان مذهولاً يتأمل المعجزات التي تُجرى، ويسمع كلام النعمة من شفتي المسيح، فنسي طعامه ولم يتناول منه منذ الصباح. وهكذا نحن عندما نرى يسوع بعين الإيمان يملك قلوبنا وينسينا مشاكلنا ومتاعبنا، ولا يعود للجسد سلطانه المدمر علينا، لأن المسيح يرفعنا إلى أعلى ويجعلنا نفكر على مستوى أكبر.

وعندما التقى الولد بالمسيح عمرَّ قلبه بالحب، فشارك المحتاجين من حوله بالقليل الذي معه.

4- التلاميذ:

أرسل المسيح التلاميذ للكرازة بعد أن أعطاهم قوة لذلك، ورجعوا إليه ليقدموا تقريرهم قائلين: "حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ". ولكن لما جاءت الجماهير قالوا له: «اصْرِفِ الْجَمْعَ» (لوقا 9: 12). لقد حصلوا على قوة روحية، لكنهم كانوا لا يزالون محتاجين إلى محبة أكبر ورغبة أقوى في مساعدة الناس.

لقد رأى التلاميذ المسيح المحب والقوي، وعادةً يكون التأثر بالقوة أولاً، ثم يأتي التأثر بالمحبة. وكان التلاميذ محتاجين أن يتعلموا المزيد من المحبة وممارستها، فأمرهم المسيح أن يعطوا الجماهير لتأكل، بأن يأخذوا منه ويعطوا مما أخذوه للآخرين. فهم لم يصنعوا الخبز، ولم يُقنعوا الناس بأخذه، بل أعطوا مما أعطاهم المسيح. ونحن اليوم لا نقدر أن نقنع الناس ليتوبوا، لكننا نقدر أن نطيع المسيح فنقدم للناس خبز الحياة، وروح الله القدوس هو الذي يقنعهم أن يتناولوه.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح المريح:

هو الذي قال: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (متى 11: 28). فالمسيح يدرك احتياج أجسادنا للراحة، لأن الجسد هيكل للروح القدس وروح الله يسكن فيه. والروح نشيط أما الجسد فضعيف، ولذلك يفكر المسيح لا في أرواحنا فقط بل في أجسادنا أيضاً، ولهذا قال لتلاميذه: "تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً" (مرقس 6: 31).

2- المسيح يحس بالحاجة:

عندما رفع عينيه ونظر الجمع من حوله سأل فيلبس: "مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزاً لِيَأْكُلَ هَؤُلاَءِ؟" (يوحنا 6: 5) إنه يحس بالحاجة من قبل أن يشعر بها المحتاج "لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ" (متى 6: 8).

3- المسيح يمتحن الإيمان:

ولذلك سأل فيلبس: "مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزاً لِيَأْكُلَ هَؤُلاَءِ؟". "وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ لأَنَّهُ هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَفْعَلَ" (يوحنا 6: 6). ويسمح الرب بالامتحان لأولاده ليُنجحهم. إنه لا يريد أن يوقعهم فريسة اليأس، ولكن ليمنحهم مزيداً من التعلُّم، ليكتشفوا نواحي ضعفهم، فيثقون فيه أكثر. يمكن أن يكون رد المسيح على فيلبس توبيخاً، لأن فيلبس رأى كثيراً من معجزات المسيح، وكان يجب أن يعرف أن المسيح يقدر أن يشبع الجماهير. ولكن المسيح أوضح له ضعفه واحتياجه الدائم ليتكل عليه أكثر، ففيلبس لا يمكن أن يستقل عن المسيح، وبدونه لا يقدر أن يفعل شيئاً، لكن معه يستطيع كل شيء.

4- المسيح ينظم الصفوف:

قال "اجْعَلُوا النَّاسَ يَتَّكِئُونَ.. اجْمَعُوا الْكِسَرَ" (يوحنا 6: 10، 11) فهو يريدنا منظمين «وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ» (1كورنثوس 14: 40). ثم أنه لا يريدنا أن نفكر في مصلحتنا كأفراد فقط، بل كجماعة أيضاً. ولا يريد أن نُزعج بعضنا بعضاً بنقص نظامنا، حتى لا يأخذ شخص أكثر من احتياجه، بينما لا يجد جاره ما يحتاجه. فمشكلتنا هي في التوزيع لا في الإنتاج. ثم طلب المسيح أن يجمعوا الكسر الفاضلة، ليجدوا طعاماً بعد ذلك، وليحافظوا على نظافة العشب الأخضر وسلامة البيئة. وجميل أن نترك مكاننا نظيفاً لمن يجيئون بعدنا، لنجده نحن نظيفاً بعد أن يتركوه لنا.

5- المسيح يخلق:

"كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ" (يوحنا 1: 3، 4). لقد عمل المسيح في لحظة ما تعمله الطبيعة في عدة شهور، من زرع ونمو وحصاد وطحن وخبيز. وهو نفس ما فعله في معجزته الأولى عندما حوّل الماء خمراً (يوحنا 2: 1-11) فقد كثّف عمل الطبيعة وعطاءها. إنه يأمر فيصير، لأنه رب الطبيعة وصاحب السلطان، والخالق العظيم والغير المحدود بزمن.

6- المسيح يشبع النفس والقلب:

ظن اليهود أنه المخلص السياسي، فحاولوا أن يملّكوه عليهم ليخلصهم من نير الرومان ويشبعهم بالخبز. ولم يكن هذا فكر المسيح، فانسحب من بينهم لأنه لا يريد أن يكون ملكاً أرضياً (يوحنا 6: 15). فأصحاب المُلك الأرضي يُسعدون جماعة قليلة من الناس، لفترة قصيرة من الزمن، لكن في المملكة الروحية تمتد البركة لتشمل الجميع وتصل إلى ما لا نهاية في الزمن. وعندما ينتهي الدهر الحاضر تكون هناك مملكة الدهر الآتي. لذلك قال المسيح عندما حاول اليهود أن يملكوه عليهم: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ.. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» (يوحنا 6: 47، 48، 51).

صلاة

أبانا السماوي، يا من تفتكر فينا حتى عندما ننسى أن نفكر في أنفسنا، اخلق فينا الجوع والعطش إليك، فنجد عندك الخبز الحي الذي يمنحنا الشبع والقوة، فيتحقق لنا قول المسيح: "طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ". باسم المسيح.

أسئلة

1- لماذا طلب المسيح من تلاميذه عبور بحيرة طبرية إلى بيت صيدا؟

2- «الناس غير جائعين للخبز الحي» قول صحيح أم خاطئ؟ برهن على صحة إجابتك.

3- «من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟» لماذا وجَّه المسيح هذا السؤال لتلميذه فيلبس؟

4- ما معنى اسم «أندراوس» ولماذا كان اسماً على مُسمَّى؟

5- لماذا نسي الولد أن يأكل خبزاته وسمكتيه منذ الصباح؟

6- في هذه المعجزة نرى المسيح «الخالق» اشرح كيف؟

7- لماذا انسحب المسيح بعد إطعام الخمسة آلاف؟

المعجزة السابعة عشرة

المشي على الماء

22وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ يَسُوعُ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوهُ إِلَى الْعَبْرِ حَتَّى يَصْرِفَ الْجُمُوعَ. 23وَبَعْدَمَا صَرَفَ
الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِداً لِيُصَلِّيَ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَ هُنَاكَ وَحْدَهُ. 24وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ
فِي وَسَطِ الْبَحْرِ مُعَذَّبَةً مِنَ الأَمْوَاجِ، لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ مُضَادَّةً. 25وَفِي الْهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ اللَّيْلِ مَضَى إِلَيْهِمْ
يَسُوعُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ. 26فَلَمَّا أَبْصَرَهُ التَّلاَمِيذُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ اضْطَرَبُوا قَائِلِينَ: «إِنَّهُ خَيَالٌ». وَمِنَ
الْخَوْفِ صَرَخُوا! 27فَلِلْوَقْتِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا». 28فَأَجَابَهُ بُطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ
كُنْتَ أَنْتَ هُوَ فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ». 29فَقَالَ: «تَعَالَ». فَنَزَلَ بُطْرُسُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ
لِيَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ. 30وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ. وَإِذِ ابْتَدَأَ يَغْرَقُ صَرَخَ: «يَا رَبُّ نَجِّنِي». 31فَفِي الْحَالِ
مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ لِمَاذَا شَكَكْتَ؟» 32وَلَمَّا دَخَلاَ السَّفِينَةَ سَكَنَتِ الرِّيحُ.
33وَالَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ جَاءُوا وَسَجَدُوا لَهُ قَائِلِينَ: «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ!» (متى 14: 22-33).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في مرقس 6: 45-51 ويوحنا 6: 15-21).

أشبع المسيح خمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين، فأرادوا أن ينصبوه ملكاً سياسياً عليهم، فصرف الناس، وطلب من التلاميذ أن يركبوا سفينتهم ويعبروا بحيرة طبرية إلى الجانب الغربي منها لبيت صيدا الجليل، بقرب كفرناحوم. وصعد هو إلى الجبل وحده ليصلي. لم تكن صلاة المسيح صلاة اعتراف، لأنه لم يخطئ. ولم تكن صلاة طلب قوة من الله، لأنه هو صاحب السلطان الذي دُفع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض. لكنها كانت شفاعية من أجل التلاميذ ليفهموا معنى رسالته الروحية ومُلكه على القلوب.

كان عرض بحيرة طبرية في تلك المنطقة نحو 45 غلوة (والغلوة ربع كيلو متر) وعندما بلغ التلاميذ الغلوة الخامسة والعشرين تقريباً هبَّت عليهم ريح معاكسة من الغرب. وبحيرة طبرية معروفة بعواصفها العنيفة المفاجئة. وكانت العاصفة أقوى من أن يواجهها التلاميذ وحدهم، رغم تمرُّسهم بالبحيرة.

وفي الهزيع الرابع من الليل جاء المسيح لينقذ تلاميذه. لقد رآهم من بعيد، وعرف احتياجهم فأسرع لنجدتهم. أليس هذا ما يفعله معنا؟ في كل ضيقنا يتضايق، وملاك حضرته يخلصنا (إشعياء 63: 9).

كان الرومان يقسمون الليل إلى أربعة أقسام: مساءً، ونصف الليل، وصياح الديك، وصباحاً. وكان «صباحاً» قبل الشروق بثلاث ساعات. في ساعات ما قبل الشروق جاء المسيح ماشياً على الماء لينقذ تلاميذه من الغرق، فأشرقت عليهم شمس بره، بنور خلاصه.

يسمع الله صلاتنا من على بُعد، ويدرك أعوازنا فيتحرك ليساعدنا، فالله فعال في الزمن والتاريخ، وهو حي في سمائه وعلى أرضنا، يعمل مشيئته في سمائه لأن ملائكته يخدمونه ويسبحونه نهاراً وليلاً، لكل واحد منهم ستة أجنحة يتَّجه بهما إلى حيثما يوجّهه الله (إشعياء 6: 2). والله يجيئنا بنفسه أو بملائكته، أو بواسطة شعبه وخدامه الذين يمدون لنا يد العون.

ولكن التلاميذ عندما رأوا المسيح قادماً نحوهم ظنوه خيالاً وخافوا أكثر. كانوا خائفين من الأمواج، وممن ظنوه خيالاً، مع أنه جاء ليساعدهم! ولكن المسيح بدد الخوفين معاً عندما قال لهم: "تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا"

(آية 27) وهنا قال بطرس: "يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ" (آية 28). فأمره المسيح بذلك، فنزل من السفينة ومشى على صفحة الماء. ولكن ما أن حول نظره من المسيح إلى الماء الهائج من حوله حتى بدأ يغرق. وفعل بطرس ما يجب أن يفعله كل مؤمن: صرخ "يَا رَبُّ نَجِّنِي» (آية 30) ففي الحال مدَّ يسوع يده وأمسك به وقال له بعد أن نجاه: «يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟». ولما دخلا السفينة سكنت الرياح (آيتا 31، 32).

هذه المعجزة ثلاثية البركات: هدأ المسيح البحر للتلاميذ جميعاً؛ وجعل بطرس يمشي على الماء؛ وأنقذه من الغرق. وهذا ما يحدث معنا، فالمسيح يُجري معنا لا معجزة واحدة بل معجزات، حتى أننا كثيراً ما ننسى المعجزات الصغيرة في انبهارنا بالمعجزة الكبيرة! فلنقُلْ كداود: «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَلا تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ» (مزمور 103: 1).

أجرى المسيح معجزات على اليابسة، وعلى الماء، فهو رب الأرض والبحر، القادر أن يفعل هنا وهناك، ولا يوجد مكان لا تمتد إليه يد قدرته. لقد أطعم الجائعين، وسكن الماء الهائج، فنقول له: "اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ. 2فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي" (مزمور 23: 1، 2). ففي هاتين المعجزتين نرى كيف أطعمهم، ثم كيف أوردهم إلى مياه الراحة.

أولاً: المحتاجون والمعجزة

1- التلاميذ:

(أ) جاءت معجزة تهدئة الرياح بعد اختبار روحي عميق، فقد اختبر التلاميذ أن مخلّصهم قادر أن يطعم خمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين. هذه هي المائدة السماوية التي أشبع بها تلاميذه والمحتاجين، وتبقَّت اثنتا عشرة قفة من الكِسَر.

أحياناً يطمئن الإنسان إلى قدراته الروحية، ويظن بعد اختبارات روحية عظيمة أنه تعلَّم الكثير! ولكن أعظم اختباراتنا لا تعني أننا سننجو من متاعب الحياة، فإبليس يهاجمنا أكثر كلما حققنا نمواً وارتفاعاً روحياً، فإذا اختبرنا الكثير فلننظر لئلا نسقط، ولنجعل اعتمادنا عليه مستمراً، فلا توجد بداخلنا قوة تكفي احتياجاتنا، ولكن قوتنا تكون بقدر حصولنا على القوة منه.

(ب) عندما بدأ التلاميذ الرحلة كانت الرياح مواتية، والماء هادئاً، وفي منتصف البحيرة أتت الرياح بما لا تشتهي السفن "وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ مُعَذَّبَةً مِنَ الأَمْوَاجِ، لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ مُضَادَّةً" (آية 24). عاجزة عن الرجوع من حيث أتت، وعاجزة عن متابعة السفر إلى الميناء المراد الوصول إليه! وهذا يحدث معنا في كل وقت، فالله يسمح لنا بالتجارب ليعرِّفنا شخصه، ويعلّمنا الاتكال عليه.

(ج) استمر تعب التلاميذ فترة طويلة، إلى الهزيع الرابع من الليل. "وَفِي الْهَزِيعِ الرَّابعِ مِنَ اللَّيْلِ مَضَى إِلَيْهِمْ يَسُوعُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ" (آية 25).

والسؤال: لماذا ترك المسيح التلاميذ على صفحة الماء، والريح تعصف بسفينتهم؟

نحن لا ندرك الحكمة الإلهية دائماً. وفي مرات كثيرة نسأل الله: لماذا سمحت بأن نجتاز مثل هذه الظروف؟ لكننا نحتاج دائماً أن نسلم له، لأننا وإن كنا لا ندرك حكمته، لكننا ندرك أنه يحبنا.

(د) لم يعرف التلاميذ معلّمهم عندما جاءهم وظنوه خيالاً، لأن الخلاص جاءهم من حيث لم يتوقعوا، وبعد أن فقدوا كل أمل في النجاة، فارتعبوا. "فَلَمَّا أَبْصَرَهُ التَّلاَمِيذُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ اضْطَرَبُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ خَيَالٌ. وَمِنَ

الْخَوْفِ صَرَخُوا!" (آية 26). يجيئنا الله بالنجاة من أبواب لا نعرفها ولا نتوقعها ولم نسمع عنها، وأحياناً لعظمة الخلاص القادم نظن أنه نوع من الخيال!

ومع أن المؤمنين يتعلمون طرق الله كلما تقدموا في الإيمان، إلا أن مفاجآت الله المعجزية وتعاليمه الاختبارية جديدة في كل صباح. فليعطنا الله روح التعلم والانبهار باستمرار.

(هـ) صرخ التلاميذ، وجيدٌ أن يصرخ المؤمن ليعلن ضعفه وعجزه ونقص حكمته وعدم قدرته على إنقاذ نفسه. وعندها تجيئه النجاة الإلهية: "تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا".

2- بطرس

(أ) ثقته الشديدة: "فَأَجَابَهُ بُطْرُسُ: يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ" (آية 28). اشترك بطرس مع سائر التلاميذ في الخوف، ولكنه في ذلك اليوم جاز في اختبار جديد. كانت عنده الثقة الشديدة، فقال: "إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ". لا بمعنى الشك بل بمعنى التأكيد، وكأنه يقول: «أنا أعلم أنك أنت هو المسيح، فمُرني أن آتي إليك». وطلب بطرس أن يوجّه المسيح له أمره «فَمُرْنِي» مما يدل على أن بطرس رجل الطاعة.

تميز بطرس عن سائر التلاميذ بأنه كان أكثرهم سرعة، حتى نسمّيه أحياناً «المندفع». كان سريعاً في معرفة المسيح، وفي إعلانه من هو المسيح. وفي هذا الموقف ألقى نفسه في البحيرة ليصل إلى الشاطئ قبل باقي التلاميذ ليلتقي بالمسيح.

(ب) ولكن الثقة الشديدة تحولت إلى ثقة مرتعشة. "فَنَزَلَ بُطْرُسُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ لِيَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ. وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ.. وَابْتَدَأَ يَغْرَقَ" (29، 30أ). كم مرة جعل الرب لنا «الماء» الذي لا يمشي عليه أحد طريقاً صلباً راسخاً ثابتاً! ولكن بطرس حوّل نظره من رب الظروف إلى الظروف، ومن القادر على المعونة إلى عجزه، ومن عظمة نصرته إلى شدة العقبات التي تعترضه! وعندما نحوّل نظرنا من حلال المشكلة إلى المشكلة نفسها نغرق، لأن المشكلة أكبر منا، ولا يوجد عندنا ما يعطينا الانتصار عليها.

عزيزي القارئ، عندما تعترف بخطاياك لله، لا تركز الفكر على خطاياك، بل على غافر الخطية، لأننا كلما لوَّمنا أنفسنا على الخطية فكرنا فيها فتصير أفكارنا سلبية، ونفقد الثقة في أنفسنا. لكن عندما نفكر في غافر الخطية، صاحب كفارة الصليب، المحب الذي يقبلنا، نحوّل نظرنا من المشكلة إلى المخلِّص.

وبالرغم من أن بطرس كان يُحسن السباحة إلا أنه كاد يغرق. لعل الخوف الذي سيطر عليه شلَّ قواه الطبيعية، والخوف يشل عادة قُوانا ومواهبنا المعطاة لنا من الله. لكننا نحتاج إلى من هو فوق الطبيعة، لأن قدراتنا الطبيعية عاجزة ومحدودة.

(ج) ثقة الطلب المصلية: «يَا رَبُّ، نَجِّنِي» (آية 30). إنها صلاة قصيرة لكنها عميقة، تعترف بالضعف ولكنها مؤمنة بالمنقذ. فلقد رجعت لبطرس الثقة التي قال بها: «مُرْنِي أَنْ آتِي إِلَيْكَ». تقوَّت الثقة المرتعشة الخائفة وصرخت مرة أخرى لأنها تثق في مستجيب الصلاة. وجاءت الإجابة سريعةً، ومدَّ المسيح يده القادرة القوية المخلِّصة وأمسك به.

لنعلم أن طوق النجاة هو الثقة في محبة المسيح مخلّصنا. لا يقول الإنجيل: «التلميذ الذي كان يحب يسوع» لكن: التلميذ الذي كان "يَسُوعُ يُحِبُّهُ" (يحنا 13: 2) لأن محبتنا له تهتز وتضعف، ولا نستطيع أن نعتمد على يدنا المرتعشة التي تمسك به، ولكننا نعتمد على يد المسيح الذي يمسك بيدنا. فهذه هي القوة القادرة، فنقول:

"فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلَهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ" (مزمور 18: 6).

ثانياً: المسيح والمعجزة

1- المسيح المصلي:

تبدأ هذه المعجزة بالمسيح على الجبل يصلي، لا طلباً للغفران أو القوة، بل لأنه واحد مع الآب يصلي من أجل التلاميذ، كما قال: "وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ" (يوحنا 17: 20) فالمسيح صلى من أجل الاثني عشر، ومن أجل الذين يؤمنون به بكلامهم، فهو دائماً يرفعنا بشفاعته. ولا توجد شفاعة مقبولة إلا شفاعته وحده، لأن البشر جميعاً خطاؤون، محتاجون إلى شفيع. لكن المسيح هو الكامل الوحيد الفريد. وحده المستحق أن يكون شفيعاً لأنه في غير احتياج لمن يشفع فيه. ثم إنه يستطيع (كما طلب أيوب) أن يضع يده على كلينا: على الله وعلينا (أيوب 9: 33)، فطبيعته الإنسانية كإنسان كامل تجعله يضع يده علينا: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا" (عبرانيين 2: 14). فالمسيح لحم ودم مثلنا تماماً فهو كامل الإنسانية، المولود من العذراء القديسة مريم، والذي مات على الصليب والذي دُفن. ولكنه في الوقت نفسه هو الإله الكامل. جاء أرضنا وهو الموجود من قبل ميلاده، فهو «مولود غير مخلوق». وبعد صلبه ودفنه قام من قبره، لأن القبر لا يُمسك الحياة، وهو رب الحياة، وسيد الحياة. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. هذا الإنسان الكامل يضع يده عليَّ. وهذا الإله الكامل يضع يدي في يد الله ليُجري المصالحة، وتتحقق كلمات الإنجيل: "إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (2كورنثوس 5: 19).

2- المسيح الحنان:

رأى المسيح على الجبل في ظلمة الليل تلاميذه معذبين على البحيرة (مرقس 6: 48). عينا المحبة اخترقتا أستار الظلام، فهو العارف بالغيب. ولم يستغرق وقتاً لينتقل من على الجبل إلى وسط البحيرة ماشياً على الماء. "فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ" (خروج 3: 7، 8).

3- المسيح القادر:

إنه الرب الماشي على البحر "الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحْدَهُ، وَالْمَاشِي عَلَى أَعَالِي الْبَحْرِ" (أيوب 9: 8).

4- المسيح المتأني:

جاء في الهزيع الرابع من الليل. يتذمر مؤمنون كثيرون على الله لأنهم يعتقدون أنه يتركهم وسط التعب. لكن أناة الله تصوغ حياتهم، وتعلمهم من خلال تجاربهم. فهو لا يأتي في توقيتنا نحن بل في توقيته الحكيم. إنها حكمة المعلّم.. حكمة الأب. إنه مثل منقذٍ لمن يتعرض للغرق. يترك المسكين لثوانٍ محسوبة، إلى أن يصير مستعداً للتسليم، فيحمله لشاطئ النجاة.

مرة أسكت المسيح العاصفة وهو موجود مع التلاميذ في القارب، وفي هذه المرة كان غائباً عنهم. كان يريد أن يعلمهم أنه حتى وإن كان غائباً عنهم بالجسد لكنه موجود معهم بروحه. في الإنقاذ الأول رأوه بأعينهم يُسكت العاصفة، ولكن في الإنقاذ الثاني رأوه يجيء من بعيد. و"طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يوحنا 20: 29).

عزيزي القارئ، ليس المهم أن تراه، بل أنه هو يراك. ليس المهم أن تمسك به، بل أنه هو يمسك بك. عندئـــذٍ تراه وتمسك به، وقد امتلأ قلبك بالطمأنينة والفرح.

5- المسيح الذي ينتظر الدعوة:

حاول المسيح أن يتجاوز القارب "أَتَاهُمْ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ وَأَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ" (مرقس 6: 48) لأنه يريد أن يسمع من التلاميذ طلب النجاة. وهكذا فعل مع تلميذي عمواس ليوجها الدعوة إليه: "ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ إِلَيْهَا، وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ" (لوقا 24: 28). وهنا عظمة خلاص المسيح. هنا نرى المسؤولية الإنسانية والعمل الإلهي، فالمسؤولية الإنسانية تدعو المسيح لدخول القلب، والمسؤولية الإلهية هي دخول القلب "هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَـــشَّى مَعَـــهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤيا 3: 20).

6- المسيح المُشجِّع:

الرب دائماً يشجع أبناءه قائلاً: «أَنَا هُوَ، لا تَخَافُوا» (مرقس 6: 50) كما أنه يريدهم أن يكونوا دائماً في سلام: "سلاَماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ" (يوحنـــا 14: 27). لأن عطية العالم محدودة يختلط معها السلام بالقلق، لكن سلام الرب صافٍ وواضح. هـــو الـــذي أمسك بيد بطرس: "مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ" (آية 31). ولم يوبخ ضعف إيمان تلميذه إلا بعد أن رفعه فـــوق البحر الهائج. لم يقل له: لماذا جئت إليَّ؟ فمن حق بطرس أن يجيء للرب. ولكنه قال له: "يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟" (آية 31). فمن حق المؤمن أن يطلب من الله، لكن ليس من حقه أن يشك في محبة الله.

"أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي" (مرقس 9: 24).

صلاة

أبانا السماوي، عندما يضطرب بنا بحر الحياة، وعندما نفقد السيطرة على المـــصير يجيئنـــا المـــسيح، ســـيد الطبيعة، يمشي على الموج ليهدئه، فالموج تحت قدميه خاضع. فإليك نلجأ، وعليك نعتمد، لنجد الأمان العميق داخلنا، فلا نعود نضطرب مهما ثار بحر الحياة. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- ماذا كانت صلاة المسيح على الجبل وحده؟

2- ما معنى «الهزيع الأخير»؟

3- لماذا ظن التلاميذ أن المسيح الآتي إليهم ماشياً على الماء خيالاً؟

4- نتعلم من طلب بطرس: «مُرني أن آتي إليك على الماء» أمرين. اذكرهما.

5- ماذا نتعلم من مَشي المسيح على الماء؟

6- ماذا نتعلم من القول: «أراد أن يتجاوزهم»؟

7- اذكر اختباراً روحياً جُزْتَ فيه يشبه مشي بطرس على الماء.

المعجزة الثامنة عشرة

شفاء ابنة الفينيقية

«21ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. 22وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ: «ارْحَمْنِي يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ. ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدّاً». 23فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» 24فَأَجَابَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». 25فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ أَعِنِّي!» 26فَأَجَابَ: «لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». 27فَقَالَتْ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا». 28حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ» (متى 15: 21-28).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في مرقس 7: 24-30).

رحَّب المسيح بالناس جميعاً، أفراداً وجماعات. مرة التقى في حديث فردي مع رجل دين يهودي، هو نيقوديموس، وكلَّمه عن الولادة الجديدة (يوحنا 3). ومرة أخرى التقى في حديث فردي مع امرأة سامرية ساقطة، وقدم لها الماء الحي (يوحنا 4).

وشفى المسيح يهوداً ووثنيين. شفى غلام قائد المئة (متى 8) كما شفى ابن خادم الملك (يوحنا 4).

والمعجزة التي نتأملها الآن هي معجزة شفاء ابنة سيدة أممية وثنية، كانت مريضة مجنونة، تسكنها الأرواح الشريرة، فجاءت أمها إلى المسيح تطلب منه أن يشفيها – فقد كان بؤس الابنة هو بؤس الأم.

ويصف متى المرأة بأنها «كنعانية» لأنها – وكل سكان فينيقية – من نسل كنعان حفيد نوح. ويصفها مرقس بأنها «أممية» بسبب دينها الوثني، فإنها من غير اليهود، كما يصفها بأنها «فينيقية سورية» لأن الرومان اعتبروا بلدها جزءاً من ولاية سوريا.

كانت المرأة الفينيقية قد سمعت عن المسيح (متى 4: 24) فالرائحة العطرة لا تختفي – فجاءت إليه، ولكن المسيح صدمها. وتثير هذه المعجزة أسئلة كثيرة، لأن الحديث الذي دار بين المسيح وبين هذه الأم يختلف عن الحديث الذي دار بينه وبين غيرها من طالبي الشفاء وسائلي البركة. وسندرك من تأملنا في هذه المعجزة أن قصد المسيح دائماً هو إظهار محبته للبشر في كلامه وعمله، حتى لو ظهر من كلامه أنه لا يحبنا بالقدر الكافي الواضح.

يبدو في هذه المعجزة أن المسيح كان متردداً في شفاء ابنة الكنعانية، لأنه أولاً لم يجاوبها. وعندما قال له تلاميذه: "اصْرِفْهَا لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!" (آية 23) وهم يقصدون بذلك أن يشفي ابنتها حتى تتركهم، أجاب: "لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ" (آية 24).

وعندما دخل البيت، دخلت المرأة وراءه وسجدت وطلبت أن يشفي ابنتها، فردَّ عليها الردَّ الذي قد يصدمنا، كما لا بد أنه صدمها، إذ قال: "لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ" (آية 6). فهذا موقف غريب لم نتعوَّده من المسيح. لقد رأيناه يلتقي من قبل بأناس مختلفين شفاهم، فتبادر إلى ذهننا سؤال: لماذا جاوب المسيح تلاميذه والفينيقية بهذا الأسلوب؟ لا بد أن هناك سبباً جعله يتصرف هكذا.

لقد سمعت هذه المرأة أن المسيح يشفي كل مرض، فقررت الذهاب إليه لتطلب شفاءً لابنتها. وعندما جاوبها بما لم تتوقعه، ولم يسبق له أن ردَّ به على أحد قبلها، لم تيأس، بل صممت أن لا ترجع إلا بعد أن تنال منه شفاء ابنتها، فدخلت البيت وراءه وسجدت وكررت طلبها، فنالت بسبب لجاجتها سؤل قلبها، كما نالت مدح المسيح لإيمانها.

أولاً: المحتاجة والمعجزة

1-الابنة الفينيقية:

هي مجنونة ومسكونة بالروح الشرير (مرقس 7: 25) فالشيطان يضيّع عقل من يسلّم نفسه له. كان هناك تاجران يمتلك كل منهما محلاً خاصاً به، أحدهما ناجح والآخر يعوزه النجاح، فحسد الفاشل جاره الناجح، وكاد له بأن أرسل من غيَّر أسعار البضائع، فوضع سعراً عالياً على البضائع الرخيصة، وسعراً رخيصاً على البضائع الثمينة. وخسر التاجر الناجح خسارة كبيرة قبل أن يكتشف المكيدة! وإبليس يفعل نفس الشيء معنا، فهو يضع سعراً كبيراً على شيء تافه، ويضع سعراً تافهاً على شيء ثمين، فنجري وراء البائد وننسى الباقي للحياة الأبدية! منا من يقيِّم نفسه بما عنده من ثروة ستنتهي يوماً، ولكن العاقل يقول: "عُرْيَاناً خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَاناً أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ" (أيوب 1: 21) و"فُقَرَاءُ وَلَكِنَّنَا نُغْنِي كَثِيرِينَ" (2كورنثوس 6: 10).

سكن إبليس هذه الفتاة المسكينة فذهب بعقلها. ولا زال إبليس، وسيظل يضلل الناس، ويضيِّع الفكر السليم والمنطق العاقل ويقلب الأوضاع، فيجعلهم يجرون وراء التافه ويهملون ما هو أهم، مع أن ملكوت السماوات يشبه تاجراً يطلب لآلئ حسنة، وعندما وجد اللؤلؤة العظيمة، باع كل ما كان يملك ليشتريها (متى 13: 45، 46).

2- الأم التي طلبت:

(أ) الأم التي آمنت إيماناً قوي التصميم (آية 28). لا بد أن الروح القدس تعامل معها حتى أقنع قلبها أن احتياجها كله موجود عند المسيح. كان هذا الإيمان العظيم مصمماً على أن يأخذ ولا يرجع فارغاً. علمت أنه غني بالقوة والقدرة والمحبة، وسخي في العطاء والتوزيع. وعندما رأت وجهه أدركت أن كل ما سمعته عنه صحيح، فلا بد أن يعطيها ما احتاجت إليه. ومدح المسيح فيها هذا الإيمان بقوله: "يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ" (متى 15: 28). ولم يسبق للمسيح أن مدح إيماناً إلا إيمان الفينيقية وإيمان قائد المئة (متى 8: 10) ولا تذكر لنا الأناجيل أنه مدح إيماناً غير إيمان هذين، وكلاهما من الأمم.

كان إيمانها بالرغم من الخلفية الوثنية التي جاءت منها، فعائلتها كانت تعبد الأصنام، وأما هي فكانت تنتظر المخلص الآتي، فنادته: "ارْحَمْنِي يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ" لأنها أدركت أن الخلاص به وفيه، وأنه المسيا المنتظر.

آمنت بالرغم من الموقف الصعب الذي وضعها المسيح فيه. فعندما نادته لم يجاوبها، وعندما تدخَّل التلاميذ ليعطيها طلبها رفض، ثم جاء الرد الذي لم تتوقعه: "لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ" (متى 15: 26) ولكنها بالرغم من ذلك أصرت مؤمنة أن يشفي ابنتها.

قال القديس يوحنا فم الذهب: «لم يكن عند **الكلمة** (المسيح) كلمة تشجيع لها، فإن ينبوع الحنان أُغلق، والطبيب ضنَّ بالعلاج». ولكنها قررت الجهاد حتى تغلب، فجاهدت مع المسيح حتى انتصرت بنعمته هو! إذ غلبت نفسها وكبرياءها. إن فم الإيمان لا يُغلَق حتى لو بدا أن المسيح أغلق عن صاحب ذلك الإيمان فمه وأذنه، وحتى لو سلك التلاميذ سلوكاً خاطئاً "اصْرِفْهَا لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!" (آية 23)، وحتى لو اعتقد صاحبه أن البركة هي لقليلين، وأنه غير مستحق. لم تتوقف الفينيقية عن طلبها بالرغم من كل ذلك.

تعلَّمت الفينيقية الإيمان المصمِّم من الروح القدس، وهو الإيمان الذي يقرع الباب ولا يسكت حتى يستيقظ صاحب البيت، ولو بعد منتصف الليل، ليعطي الاحتياج المطلوب (لوقا 11: 8)؛ وهو الذي يجاهد مع الملاك كيعقوب ويصلي لينال البركة (تكوين 32: 24–32)؛ وهو جهاد الخاضع المسترحم (هوشع 12: 3، 4).
كان جهاد الفينيقية جهاد الطاعة، حسب قول بولس: "أُجَاهِدُ حَسَبَ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ» (كولوسي 1: 29). هناك إذاً قوة الرب في القلب المسكين ليجاهد مع المسيح وليقول له: "نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا" (آية 27).
(ب) الأم التي تواضعت: نرى تواضع هذه المرأة المصممة، فلم تأتِ إليه في عراك، لكن في صلاة وخضوع. وافقت مع المسيح على ما قاله لها، وقالت: "نَعَمْ يَا سَيِّدُ" (آية 27) بالرغم من أن كلامه كان موجعاً لها. فتشت عن الحق فيما قاله المسيح، فأجابت: "وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ" وكأنها تقول له: فُتاتك يا سيدي، وأقل القليل من عندك يكفي ليُخرج الشيطان من ابنتي. معجزتك مع ابنتي بسيطة بالنسبة لما أجريته مع اليهود، فيكفيني الفتات منك. (والفتات عند اليهود هو الجزء الذي يُقطع من الرغيف، فتُمسح به الأيدي من الدهون ويُرمى للكلاب المدللة). فكأنها تقول له: إن كان فتاتك يُشبع، فكم يشبع خبزك! لقد صلى أول بطريرك لمدينة البندقية الإيطالية (واسمه لورنس جستنيان) عندما أشرف على الموت هذه الصلاة: «من أنا يا رب لأجلس على مائدتك وأرى مجد الثالوث الأقدس؟ يكفي أن أجلس عند أقدام القديسين، يشبعني الفتات الساقط من مائدتك في ملكوتك» هذا هو الإنسان المتواضع.
(ج) الأم التي نالت: لقد اغتصبت الملكوت "وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ» (متى 11: 12) فأخذت الملكوت بجهاد التواضع وطلب الإيمان الذي لا يمل. قال مارتن لوثر: «كأن المرأة الفينيقية أخذت السيف من يد المسيح وحاربته بكلمات قائلة: "نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا" فنالت إجابة المدح منه: "يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ" (آية 28). لقد حصلت على النعمة المختفية وراء رفض المسيح لطلبها. قال مارتن لوثر أيضاً: «أعطِ الرب الحق كله في ما يقول. اتفق معه في وجهة نظره، ولا تتوقف عن الصلاة حتى تنتصر كما انتصرت الفينيقية، وتُحوِّل كل البراهين التي ضدك إلى قضايا في صفك، فتنال ما عند المسيح من بركة». لقد انتصرت بالغلبة من المسيح ونعمته وروحه القدوس.
لقد نالت الفينيقية طلبها لأنها دخلت إطار النعمة، إطار المائدة السماوية، حتى ولو كانت تحتها، مع الكلاب آكلة الفُتات، وهي تحمل مشاعر الابن الضال الذي قرر أن يقول لأبيه: «اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ» (لوقا 15: 19). لقد طلبت الفُتات من سخاء الرب، فمضت تتحدث عن رحمته.

ثانياً: المسيح والمعجزة

نتساءل: لماذا رفض المسيح الكلام مع الفينيقية مع أنه كلَّم السامرية؟ ولماذا تقدم بالشفاء لمريض البركة وسأله: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» (يوحنا 5: 6) ومع ذلك رفض إجراء هذه المعجزة؟ لماذا قدَّم لمرضى كثيرين الشفاء الجسدي والروحي، وصدَّ الفينيقية بغير ما توقعت، وبغير ما نتوقع نحن منه؟! لا بد أن هناك سبباً.

1- قساوة المسيح:

قساوته مع الفينيقية هي في اللفظ فقط، كقساوة يوسف مع إخوته القادمين من أرض كنعان، فقد تعامل معهم بقساوة بالرغم من حبه الشديد لهم «فَتَنَكَّرَ لَهُمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ بِجَفَاءٍ» (تكوين 42: 7) «وَقَالَ لَهُمْ: جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ» (آية 9) غير أنه "تَحَوَّلَ عَنْهُمْ وَبَكَى. ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ وَكَلَّمَهُمْ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ شَمْعُونَ وَقَيَّدَهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ" (آية 24)

ثم أعطاهم القمح ودفع ثمنه، وردَّ لهم ما دفعوه في أكياسهم! وكان يوسف بذلك يحقق نبوات سابقة، كما كان يختبر توبة إخوته ومحبتهم بعضهم لبعض. وتصرُّف المسيح مع هذه الفينيقية يشبه تصرُّف يوسف مع إخوته.

2- وجه المسيح:

لكي نفهم كلمات شخص نحتاج أن ننظر إلى وجهه وهو يتكلم، ولذلك نحتاج أن نرى قسمات وجه المسيح وهو يقول للفينيقية: "لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ". فلو كان وجه المسيح عابساً أو رافضاً أو متوتراً وهو يحدثها بهذه الكلمات، لاكتفت بذلك ورجعت. ولكن لا بد أن قسمات وجهه كانت تعكس العطف والحنان، الذي جعلها تتشجع، ولم تضيع الصدمة تفكيرها السليم. فما لم تنتظره من كلام، مع ما رأته من علامات على وجهه، أيقظ عقلها وقلبها لتقول له: «يا سيد، أوافق على ما تقول، واعتماداً على ما قلت أطلب. أعطني الفُتات فهو يكفيني». ولا ننسى أنه بعد حديثه عن الكلاب قال لها: «يَا امْرَأَةُ» (آية 28) وهي كلمة رقيقة سبق أن نادى بها أمه (يوحنا 2: 4).

لكي نفهم المسيح نحتاج أن نرى وجهه، ولكي نرى وجهه يجب أن نتواجد في محضره، ثم نسجد أمامه بكل خشوع، ونصلي له، فنخرج من لقائه بكل ثقة وراحة وطمأنينة وفرح، وننتظره بإيمان.

وهناك سببان لرد المسيح على المرأة بهذا الرد الغريب، الذي يبدو قاسياً في الظاهر فقط.

(أ) السبب الأول: في المرأة الفينيقية. هزَّ المسيح إيمانها لأنه يعلم أنه قوي وثابت، فلو كان إيمانها ضعيفاً لما كلَّمها بهذه الطريقة أبداً. "وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ" (1كورنثوس 10: 13) لقد أعطاها المسيح تجربة بقدر قوة إيمانها.

لن تكون التجربة فوق طاقتنا، فلنطمئن ولتهدأ نفوسنا لأن عندنا منابع قوة لم نستعملها، وعندنا رصيد نعمة لم نصرفه بعد، وهناك فيض من الإيمان العظيم الذي يعضد به الله كل مؤمن "الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ- إِنْ كَانَ يَجِبُ- تُحْزَنُونَ يَسِيراً بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (1بطرس 1: 6، 7). لقد علَّم الرب الفينيقية، كما يعلمنا، الصلاة كل حين دون ملل ولا يأس، ثم علَّمها ويعلمنا أن الاستجابة قادمة لا شك فيها.

(ب) السبب الثاني: في تلاميذه، فقد أراد أن يعلمهم درساً. كانوا ينظرون للأمم ككلاب، فأراد أن يغيِّر نظرتهم. وكأنه بهذه المعجزة يقول لهم: أنتم لا تحترمون الأمم، ولكن منهم من سيؤمن إيماناً لا يوجد مثله في كل إسرائيل. وسيتعلم بطرس أن لا يقول عن أحد أو شيء إنه نجس، ويكون حامل البشارة للأمم (أعمال 10). صحيح أن بداية الكرازة تكون بين اليهود، ولكن الهدف هو الوصول إلى الأمم، كما قال بولس: "إِنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ صَارَ خَادِمَ الْخِتَانِ (أي: خادم اليهود) مِنْ أَجْلِ صِدْقِ اللهِ حَتَّى يُثَبِّتَ مَوَاعِيدَ الآبَاءِ. وَأَمَّا الأُمَمُ فَمَجَّدُوا اللهَ مِنْ أَجْلِ الرَّحْمَةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:.. سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَامْدَحُوهُ يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ. وَأَيْضاً يَقُولُ إِشَعْيَاءُ: سَيَكُونُ أَصْلُ يَسَّى وَالْقَائِمُ لِيَسُودَ عَلَى الأُمَمِ. عَلَيْهِ سَيَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ" (رومية 15: 8-12) إذاً البركة لليهود وللأمم أيضاً. وعندما حمل سمعان الشيخ الطفل يسوع (لوقا 2: 29-32) قال إنه خلاصٌ لإسرائيل ونورٌ للأمم. وقال المسيح عن نفسه إنه الراعي الصالح الذي له "خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ" (يوحنا 10: 16). لقد بدأ المسيح بخراف بيت إسرائيل الضالة ليكونوا بداية الكنيسة التي تشمل كل الشعوب (متى 13: 31-33).

نتمنى أن يسمع كل واحد منا من الرب: "عَظِيمٌ إِيمَانُكِ". وليعطنا الرب الإيمان المنتظر الواثق الذي ينال.

صلاة

أبانا السماوي، عندما نتطلع إلى وجهك المحب ندرك أنك المحبة المتجسِّدة. علِّمنا أن نستمر في طلبنا واثقــين أن الغمَّة لا بد تنزاح، والغيمة لا بد تنقشع، لأن عندك خبز البنين، ونحن لاجئون إليك. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- كيف تفسِّر وصف الأم أنها كنعانية وفينيقية وأممية وسورية؟

2- لماذا طلب التلاميذ من المسيح أن يصرف الأم؟

3- ما هو الفُتات؟

4- كيف يصيب إبليس الناس بالجنون؟

5- كيف أظهرت الفينيقية إيمانها، وكيف أظهرت تواضعها؟

6- قول المسيح: «ويُطرح للكلاب» له سبب في الفينيقية – ما هو؟

7- قول المسيح: «ويُطرح للكلاب» له سبب في التلاميذ – ما هو؟

المعجزة التاسعة عشرة

شفاء أعمى تدريجياً

«22وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ صَيْدَا فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَعْمَى وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسَهُ 23فَأَخَذَ بِيَدِ الأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ هَلْ أَبْصَرَ شَيْئاً؟ 24فَتَطَلَّعَ وَقَالَ: «أُبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ». 25ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ أَيْضاً عَلَى عَيْنَيْهِ وَجَعَلَهُ يَتَطَلَّعُ. فَعَادَ صَحِيحاً وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيّاً. 26فَأَرْسَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ قَائِلاً: «لاَ تَدْخُلِ الْقَرْيَةَ وَلاَ تَقُلْ لأَحَدٍ فِي الْقَرْيَةِ» (مرقس 8: 22–26).

عوَّدنا المسيح أن ينال المريض منه شفاءً فورياً وكاملاً. ولكن هذه هي المعجزة الوحيدة التي تمَّ فيها الشفاء على مرحلتين. فعندما وضع المسيح يده على عيني أعمى بيت صيدا تَطَلَّعَ وَقَالَ: «أُبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ» (آية 24). فعاد المسيح ووضع يده مرة أخرى على عيني الأعمى وجعله يتطلع مرة ثانية، فعاد صحيحاً، وأبصر كل إنسان جلياً.

رأت بيتُ صيدا الكثير من معجزات المسيح، انفتحت فيها عيون روحية فعرفت المخلّص، وأبصرت عيون جسدية فرأت هذا العالم. وبيت صيدا قرية تقوم مبانيها على جانبي بحيرة طبرية حيث يصب نهر الأردن، وهي قرية أندراوس الذي وجد المسيح، وبطرس الذي قاده أخوه أندراوس إلى المسيح، وفيلبس تلميذ المسيح الذي رآه وعرفه، فدعا نثنائيل ليقول له: «تعال وانظر».

لم يجئ الأعمى إلى المسيح بنفسه، لكن أصدقاءه قادوه، وحددوا للمسيح طريقة الشفاء: بأن يلمسه، فأكرم المسيح إيمانهم ولكن بغير الطريق الذي رسموه له، لأنه أخذ بيد الأعمى وأخرجه خارج القرية وانفرد به، وهناك تفل في عينيه ووضع يديه عليهما مرتين، فإذا به يبصر ويرى كل إنسان جلياً.

أولاً: المحتاج والمعجزة

1- لم يحضر الأعمى للمسيح من تلقاء نفسه، بل آخرون «قدموه إليه» (آية 22):

والناس يجيئون إلى المسيح بطرق متنوعة. بعضهم يجيء من تلقاء نفسه لأنه يحسّ بالجوع والعطش الروحيين، فيبغي الشبع والارتواء. لكن بعضهم لا يدركون احتياجهم فيقدمهم آخرون للمسيح، كما حدث مع هذا الأعمى.

رأينا معجزات وجد فيها المسيح المريض، كما حدث مع مريض بركة بيت حسدا (يوحنا 5). وهناك معجزات حُمل فيها المريض للمسيح، كما جرى مع المفلوج (مرقس 2). وهناك معجزات اقتيد فيها المريض للمسيح، كما نرى هنا.

2- هو الوحيد الذي نال الشفاء تدريجياً:

(أ) بسبب نقص حماسه: فأصدقاؤه هم الذين أحضروه. ونلاحظ أن كلامه مع المسيح كان إجابة بقدر السؤال، فلم ينشئ هو حديثاً مع المسيح. وعندما وضع المسيح يده على عينيه لأول مرة سأله: «هَلْ أَبْصَرَ شَيْئاً؟" لم تزد إجابته عن قوله: «أُبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ» (آية 24). فلم يكن له الحماس للحصول على بركة أكبر. لقد كان مختلفاً عن الأعمى الذي صرخ: «يَا ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي».

وعندما وضع المسيح يديه على عيني هذا الأعمى مرة ثانية «عَادَ صَحِيحاً وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيّاً» (آية 25). ولكنه لم يُظهر فرحته بالقدر الكافي، ولا أسرع يتكلم عن المعجزة التي عملها المسيح معه. لم ينبهر بشيء، ولم يتحمس لشيء! كثيراً ما نأخذ نحن أكثر مما نطلب أو نفتكر من يدي المسيح، ولكننا لا نملك قوة الشكر ودفعة الحماس لنتحدث عن كم صنع الرب بنا ورحمنا، وكأن ما أنعم به علينا وأعطانا إياه فرضٌ وواجب عليه!

(ب) بسبب نقص معرفته: أجرى المسيح معجزات كثيرة من قبل في بيت صيدا، ولكن يبدو أن هذا الأعمى لم يكن قد سمع عنها، لكن أصدقاءه سمعوا فأخذوه وقدَّموه للمخلّص الذي لم يسمع هو عنه. ولكن هذا الجهل لم يعطل المسيح المحب عن مد يده مرتين لهذا الأعمى الجاهل، ليهبه البصر الكامل. وكم من خاطئ مسكين هلك بسبب عدم المعرفة (هوشع 4: 6).

(ج) بسبب نقص إيمانه: نَقْص حماسه جعله لا يُقبل على المعرفة. ونَقْص معرفته جعله لا يؤمن، فإن الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله (رومية 10: 17).

3- شفاؤه التدريجي نقله إلى حالة أفضل:

فعندما رأى الناس كأشجار يمشون كان محتاجاً إلى رؤية أوضح. ولم يتركه المسيح حتى حصل عليها.

يأخذ بعضنا بركة قليلة ويقنع بها. لكن الرب يريد أن يعطينا أكثر. عندما جاء أحد فقهاء الدين اليهود للمسيح يسأله عن أول الوصايا، أخبره المسيح أنها محبة الله والآخرين. فأجاب: «جَيِّداً يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ، وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ» (مرقس 12: 32، 33). ومن إجابته نرى أنه تعلم درساً روحياً جديداً، فقد كان اليهود يعتبرون الذبائح والمحرقات أهم من كل شيء. ولكن ما تعلمه لم يكن كافياً لخلاصه، فقال له المسيح: «لَسْتَ بَعِيداً عَنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ» ولست بعيداً تشبه: «أُبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ». هذا يعني أن ذلك الفقيه ليس بعيداً، ولكنه ليس داخل الملكوت. إنه يحتاج لخطوة أخرى تُدخله ملكوت الله وتعطيه البركة الكاملة. وشوق قلب المسيح أن يمنحك البركة الكاملة، فلا تتوقف عندما حصلت عليها.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- أحضر الأصدقاء الأعمى إلى المسيح، وهذا يُظهر:

(أ) رحمةً بالأعمى: فقد أشفقوا على من لا يرى ولا يعرف، وتحولت شفقتهم من مشاعر إلى عمل. «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ» (متى 5: 7).

(ب) يُظهر إيماناً بقوة المسيح: الذي قال: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا 8: 12) . فجاءوا بالأعمى واثقين في قدرته على شفائه.

(ج) يُظهر الحكمة: فإن رابح النفوس حكيم (أمثال 11: 30). أعظم ما تفعله أن تصل إلى رأس الحكمة التي هي مخافة الله، ثم تقود غيرك إلى مخافة الله. السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (لوقا 15: 7، 10) ومن ردَّ خاطئاً عن ضلال طريقه يخلّص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا (يعقوب 5: 20).

وعندما انفتحت عينا الأعمى، وأصبحت رؤيته واضحة، تحققت فرحتهم الكاملة!

2- طلب الأصدقاء شفاء الأعمى بطريقة معينة حددوها للمسيح «أن يلمسه»:

في مرات كثيرة، بسبب كثرة حماسنا ومحبتنا للشخص نأمر الرب أن يفعل معه شيئاً نحدده، كما فعل الأصدقاء بطلبهم أن يلتزم المسيح بطريقة خاصة عند شفائه للأعمى. لكننا نحتاج أن نتعلم صلاة المسيح في

بستان جثسيماني: «لِتَكُنْ لا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لوقا 22: 42) فلا يجب علينا أن نُملي على الـرب طريقـة عمله وعنايته. ولكن الرب تغاضى عن إملائهم وتحديدهم، وأكرم إيمانهم وشفى الأعمى بطريقته هو، إذ أخذ الأعمى بعيداً عن أصدقائه إلى خارج القرية، وهناك أجرى معجزة الشفاء. ولمس الأعمـى مـرتين لا مـرة واحدة. باركه مرتين، وأنعم عليه إنعاماً مضاعفاً، فالرب أكثر حباً للنفس العاجزة من حـب الإنـسان الـذي يوصلها له، وعطاء الرب للنفس أكبر من توقعات الإنسان الذي يطلب لأجلها منه.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- أخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية (مرقس 8: 23):

لقد أراد أن يختلي به ويقضي معه وقتاً أكبر. أحياناً يأخذنا الرب من وسط أصدقائنا واهتماماتنا ويفصلنا عـن الذين نعرفهم، لأنه يريدنا أن نصرف وقتاً أكبر معه. وهذا ما فعله مع الأعمى. لقد عزله عـن المجموعـة، وعن ماضيه وعن وثنيته!

عندما ظهر الرب لشاول الطرسوسي في طريقه إلى دمشق، أوقعه على الأرض، فاقتادوه إلى حيث التقى بـه حنانيا الذي صلى من أجله وفتح عينيه وقلبه. ثم اختلى شاول ثلاث سنوات بالرب في الصحراء ليعيد تقيـيم كل ما سبق أن تعلمه، وليدرس التوراة في نور جديد، بعد أن عرف أن نبواتها قد تحققت في يسوع الناصري، وليتعمق في معرفة المسيح الذي سيصبح شاهداً له. والذي يتكلم عن الله يحتاج أولاً أن يتكلم مع الله، ويتمتـع ويتلذذ به قبل أن ينطلق ليشهد له.

2- تفل في عينيه ووضع يده عليه (مرقس 8: 23):

أخذ الرب شيئاً عادياً وصنع به شيئاً فوق عادي! ألبس المسيح الشيء الطبيعي رداء ما فوق الطبيعة! سبق أن أخذ قوس قزح طالما ظهر بعد المطر، وجعل منه علامة عهد مع البشر أن لا يُغرق الأرض مـرة أخـرى بالطوفان. وأخذ الختان الذي كانت تمارسه بعض بلاد الشرق الأوسط، وجعل منه علامة عهد مـع إبـراهيم ونسله. وأخذ الخبز والكأس وجعل منهما علامة عهد جديد. وأخذ خمس خبزات وسمكتين ليُشبع بهـا خمـسة آلاف. لذلك يجب أن نقدم كل ما معنا له، ونعطيه أول ثمر عملنا، ليجعل من هذه الأشياء العادية بركات فوق عادية.

3- شفى المسيح الأعمى تدريجياً:

لم يتركه حتى أكمل شفاءه، وهو لا يتركنا حتى يكمل خلاصنا، فهو رئيس إيماننا ومكمله، فنقول مع بـولس الرسول: «لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كَطِفْلٍ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ، وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْطَنُ، وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلَكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُـلاً أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ. فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ فِي لُغْزٍ، لَكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهاً لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لَكِـنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ" (1كورنثوس 13: 11، 12). فإن محبة الرب تدخلنا إلى أعماقٍ أعمق في معرفته المباركة التي تخلصنا وتحررنا إلى الأبد.

4- أمر المسيح الأعمى بعدم دخول القرية:

كان إيمان الأعمى ضعيفاً، وكانت حماسته في الحضيض. فماذا عساه يقول لمواطنيه، وماذا يحكي لهم؟

أليس الأفضل أن يبقى بعض الوقت خارج القرية يفكر بكم صنع الرب به ورحمه، قبل أن يعلن ذلك، أو قبل أن يسأله مواطنوه عنه؟ أليس من الأفضل أن تزيد معرفته بالمسيح قبل أن يتحدث عنه؟

كم نحتاج أن نعرف المسيح أكثر، ونحبه أكثر، لنتكلم عنه أفضل!

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك لأجل المسيح الذي فتح عيني الأعمى، وأطال أناته عليه حتى أبصر كل إنسان بوضوح. أطلب أن تصبر عليَّ حتى تنفتح بصيرتي فأرى شخصك الكريم، وأبصر طرقك المستقيم، فأتبعك مُعلناً فضل الذي نقلني من الظلمة إلى نوره العجيب. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- اذكر شخصاً انفتح قلبه للمسيح في بيت صيدا، وشخصاً آخر انفتحت عيناه فيها.

2- اذكر معجزة شفاء ذهب فيها المسيح للمريض، واذكر الشاهد.

3- لماذا لم يكن أعمى بيت صيدا متحمساً لشيء؟

4- ما هو وجه الشبه بين الفقيه المذكور في مرقس 12 وأعمى بيت صيدا؟

5- أظهر أصدقاء الأعمى ثلاثة أمور بما عملوه. اذكرها.

6- اذكر ثلاثة أشياء عادية جعل منها المسيح أشياء فوق عادية.

7- لماذا أمر المسيح الأعمى بعد أن شفاه بعدم دخول القرية؟

المعجزة العشرون

عُملة من فم السمكة

«24وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفْرِنَاحُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّرْهَمَيْنِ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالُوا: «أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكُمُ
الدِّرْهَمَيْنِ؟» 25قَالَ: «بَلَى». فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ
الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟» 26قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «مِنَ الأَجَانِبِ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ:
«فَإِذاً الْبَنُونَ أَحْرَارٌ. 27وَلَكِنْ لِئَلا نُعْثِرَهُمُ اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلاً خُذْهَا وَمَتَى
فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَاراً فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ» (متى 17: 24-27).

انفرد القديس متى بذكر هذه المعجزة، وكما نعلم، فإنه كتب بشارته للمؤمنين من اليهود ليؤكد لهم بُشرى أن المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد، وهو المخلص الذي جاء ليتمم مطالب العهد القديم، كما أنه المسيا الذي انتظره اليهود.

ترينا هذه المعجزة المسيح الإنسان الكامل والإله الكامل. بطبيعته، كإنسان خضع لشريعة العهد لقديم ومطالب شريعة موسى، فسدد الضريبة المطلوبة من المواطن اليهودي العادي كفارة عن نفسه، مع أنه لم يكن مضطراً لدفعها لأنه الابن. لكنه أخضع نفسه للشريعة وهو الرب. كما احتاج إلى مال ليسدد المطلوب منه. وفي الوقت نفسه أعلن عن ألوهيته لما أجرى المعجزة التي أظهرت سلطانه في البر والبحر «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (2كورنثوس 8: 9).

وصل المسيح إلى مدينة كفرناحوم (التي كانت معتبرة أنها محل سكناه) وكان ذلك وقت جمع ضريبة الهيكل السنوي وهي نصف شاقل فضة (أي ستة جرامات). وصارت قيمة نصف الشاقل زمن المسيح درهمين، يدفعهما كل يهودي بلغ العشرين من عمره، فديةً له، وكفارة عن نفسه (خروج 30: 11-16 و2أخبار 24: 6، 9).

وكان اليهود الساكنون في الشتات (خارج أرضهم) يجمعون هذه الضريبة في صناديق يحملها أشخاص مؤتمنون إلى أورشليم. ولما طولب المسيح بها، مع أنه مُعفي منها، دفعها عنه وعن بطرس، بهذه المعجزة.

أولاً: المحتاج والمعجزة

يبدو للناظر السطحي للمعجزة أن المسيح هو المحتاج. لكن الحقيقة هي أن بطرس هو المحتاج ليدفع الضريبة المفروضة عليه. وفي طريقه للدفع كان محتاجاً لأن يتعلم ثلاثة دروس:

1- يحتاج لمعرفة معنى أن المسيح هو ابن الله، فلا يدفع الجزية:

عندما سأل المسيح تلاميذه: «مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» أجابه بطرس: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». فَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا. إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى 16: 15-17). ويبدو أن بطرس صاحب هذا الإعلان لم يكن يعرف كل أبعاد ومعاني الكلمات التي قالها. وكان يحتاج إلى إعلان من الروح القدس ليدرك معنى ما سبق أن قاله بطريقة أعمق.

كما أن بطرس لم يكن يعرف كل تطبيقات لقب المسيح «ابن الله» فهذا اللقب الذي عرفه وأعلنه، يعني أن المسيح «رب الهيكل» لا يجب أن يدفع ضريبة الهيكل!

عندما سأل جامعو الضريبة بطرس «أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكُمُ الدِّرْهَمَيْنِ؟» (آية 24) أجاب بالإيجاب، بغير أن يرجع إلى المسيح، لأنه كان واثقاً أن معلمه التقي يتمم مطالب الشريعة كلها. وعندما رجع إلى البيت بادره المسيح بالسؤال: «مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟» (أي الذين ليسوا من عشيرتهم). وكانت الإجابة الطبيعية أنهم يأخذونها من الأجانب، لأن البنين ليسوا تحت الجزية. فقال المسيح لبطرس: «فَإِذاً الْبَنُونَ أَحْرَارٌ» (آية 26). بمعنى أني لا أدفع الجزية لأنك أنت قلت لي: ««أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ».

لقد أعطى الله لموسى تعليمات بناء خيمة الاجتماع، كما أخذ سليمان مواصفات ذلك وبنى هيكله على أساسها. وتهدم الهيكل فأعادوا بناءه بنفس المواصفات. ولكن ما أبعد الفرق بين الابن صاحب البيت وبين الخادم فيه! «لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلَكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ. وَمُوسَى كَانَ أَمِيناً فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِخَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ» (عبرانيين 3: 4-6).

المسيح هو الهيكل، ورب الهيكل. أما موسى فهو خادم الهيكل! والمسيح أعظم من موسى!

2- يحتاج بطرس لمعرفة أن المسيح هو هيكل الله، فلا يدفع الجزية:

كانت الجزية تُدفع للهيكل، والمسيح هو الهيكل الذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً (كولوسي 2: 9). فكيف يدفع جزية عن نفسه؟ وقد أعلن المسيح عن نفسه أنه هيكل الله، وقال: «انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟». وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ تَذَكَّرَ تلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا، فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ» (يوحنا 2: 19-22). لقد نقض اليهود بالفعل جسد المسيح على الصليب، وأقامه هو بعد ثلاثة أيام.

«وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً» (يوحنا 1: 14).

3-يحتاج بطرس أن يدرك معنى أن المسيح هو الفدية، فلا يدفع الجزية:

كانت الجزية المطلوبة نصف شاقل كتقدمة للرب للتكفير، ولسد أعواز خدمة الهيكل. وكانت «فِدْيَةُ الْكَفَّارَةِ» هذه تؤخذ من بني إسرائيل. ولما كانت تلك الجزية فدية للرب، فلم يكن المسيح محتاجاً لأنه هو المخلص. وهو الفادي والمكفِّر.

قال الله: «هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ. كِلاَهُمَا لِي. النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ» (حزقيال 18: 4). إذ كل نفس هي له بحق الخلق فهو الخالق، وهي له بحق الفداء فهو الفادي، وبحق الإنعام بالحياة الجديدة فهو المخلّص. هو النجاة والخلاص من الموت المحقق ومن الهلاك. والمسيح الذي يفدي لا يقدم فدية عن نفسه.

بعد إعلان بطرس أن المسيح هو ابن الله، أعلن المسيح أنه آتٍ للفداء والكفارة: « مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيراً مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ» (متى 16: 21) أيضاً: «قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ، وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ، وَيَتْبَعْنِي» (متى 16: 24).

المسيح هو الذي دخل إلى الأقداس مرة واحدة بذبيحة نفسه، فأوجد فداءً أبدياً، لا يتكرر سنة بعد سنة.

ثانياً: المسيح والمعجزة

1- محبة المسيح العجيبة:

(أ) ظهرت تلك المحبة لبطرس، وللذين يجمعون الجزية. فبالرغم من أنه لا يجب أن يدفع الجزية، لكن لكـيلا يُخجل بطرس سددها عن نفسه وعن تلميذه. ومرات كثيرة نعد وعداً يكون أكبر من طاقتنا، ولكـن المسيح يكرم إيماننا ويعطي بحسب غناه ومحبته.

(ب) وكان يمكن أن يدخل المسيح مع جُباة الضريبة في جدال ليبرهن أنه مُعفَى من دفع الجزية. لكنه أراد ألا يعثرهم وألا يجعلهم يظنون أنه يكسر الناموس. فلم يكن بعد في استطاعتهم أن يفهموا معنى الكفارة، ولا معنى بنويته لله، لأنه لا يستطيع أحد أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس (1كورنثوس 12: 3). ولم يكن الـروح القدس قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد (يوحنا 7: 39). فهذه هي محبة المسيح ورقته مع جباة الضرائب.

(2) المسيح العارف بكل شيء:

(أ) عندما دخل بطرس البيت ابتدره المسيح بالسؤال: «مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَـةَ؟» (آيـة 25). فقد عرف المسيح الحديث الذي دار بين بطرس وبين جباة الضرائب، فكل شـيء عريـان ومكـشوف أمامه، وهو يعرف الأسئلة والانتقادات التي تُوجَّه وتصوَّب إلينا ولا نملك لها إجابة، كما أنه يعرف احتياجات عواطفنا وأجسادنا وأرواحنا.

(ب) قال المسيح لبطرس إن أول سمكة سيمسك بها ستكون بفمها العملة الكافية بالضبط لدفع الجزية عنه وعن بطرس. وهذه ليست مجرد معرفة، بل هي المعرفة ذات السلطان! لقد جاءت السمكة المعينة في ذات المكـان الذي كان بطرس سيلقي الصنارة فيه، وفي ذات الدقيقة. وعندما أمسكت السمكة بالصنارة لم تـسقط قطعـة العملة من فمها، وظلت محتفظة إلى أن سحبها بطرس إلى اليابسة!

(3) أعلن المسيح سلطان الابن:

أعلن الملاك لمريم أنها ستلد ابن الله: «سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً.. هَذَا يَكُونُ عَظِيماً، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى.. الْقُـدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ» (لوقا 1: 31، 32، 35)

كما أعلن الآب ذلك عند معمودية المسيح في نهر الأردن عندما قال: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (متى 3: 17) وأعلن المسيح ذلك وقت زيارته للهيكل في عمر الثانية عشرة، وقال: «يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَـا لأَبِي؟» (لوقا 2: 49). وأعلنه وقت التطهير الأول للهيكل، وقال لباعة الحمام: «ارْفَعُوا هَذِهِ مِـنْ هَهُنَـا. لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ» (يوحنا 2: 16).

ولقد ميَّز المسيح بين بنويته لله التي هي بنوية أصيلة، وبين بنوية التلاميذ لله التي هي مكتسبة من إنعامـه. إن بنوية المسيح أزلية من قبل كل الدهور، أما بنويتنا فمكتسبة، إذ أعطاها لنا يوم سلمنا حياتنا له وولـدنا مـن فوق. لقد قال المسيح لبطرس: «تَجِدْ إِسْتَاراً فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ» (آية 27) ولم يقل «أعطهم عنا». كما قال في موقف آخر: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ» (يوحنا 20: 17) ولم يقل «إلى أبينا وإلهنا». هنا نرى الفادي والمفديين، المخلِّص والمخلَّصين.

وما أجمل قول الآب للابن في المزمور الثاني: «أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (مزمور 2: 7) فإن الابن موجود من قبل ميلاده. لم يقل له: «اليوم ولدتك. أنت ابني» فهذا ما يقوله البشر. أما المسيح فهو الابن الأزلـي مـن قبل ميلاده العذراوي.

يريد الله أن يعلمنا درساً لنلقي أنفسنا بالتمام عليه. وعندها نُصبح أغنياء بالروح. وعندما نضع أنفسنا بضعفاتنا أمامه يكمل النقص ويقوي الضعف ويقوينا بنعمته. يريد أن يعلمنا أنه صاحب السلطان، الــذي يملــك الحــل المذهل القريب لكل المشاكل التي تبدو بلا نهاية. إنه يحسب حساب النفقة، ويبطل معوقــات امتــداد ملكوتــه وانتشار كلمته ويقوي ضعف أولاده.

(4) أظهر المسيح أنه رب الطبيعة:

لما دفع المسيح الجزية بمعجزة أظهر أنه وهو يخضع للشريعة هو في الوقت نفسه رب الطبيعة، فقــد ســدَّت المعجزة الحاجة، كما أعلنت سلطان الرب. وقد بيَّن المسيح لبطرس حجمه الطبيعي في مشكلته. ومرات كثيرة نحتاج أن نتذكر أننا بدون المسيح لا نستطيع أن نفعل شيئاً، ولكننا نستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوينــا (يوحنا 15: 5 وفيلبي 4: 13). ومع أن حجمنا يتصاغر أمام المشكلة، إلا أننا بنعمة المسيح نصبح قادرين.

جعل الرب صنارة بطرس تمسك السمكة المطلوبة من أول مرة. ولما استخرج العُملة من فمها كانت بالقــدر المطلوب بالضبط، فأخذها ليسدد احتياجات الهيكل. وكان بطرس مختفياً كالإستار في فم الــسمكة، فأخرجــه المسيح من صيد السمك ليصيد به وبأخيه أندراوس الناس عندما قال لهما: «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَــا صَــيَّادَيِ النَّاسِ» (متى 4: 19) فأعطى لحياة بطرس معنى أعظم وأعمق، وحقَّق به هدف السماء. وهكــذا يجــب أن يكون معك.

صلاة

أبانا السماوي، حتى السمك السابح في المياه يتمم مقاصدك، والعالم كله ينفذ خططك. من حيث لا ندري تسدد ديوننا، وتغطي كل احتياجنا.

علِّمنا التسليم الكامل لك، والطاعة المطلقة لأوامرك، فيتحقق قصدك الصالح في حياتنا. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- ثلاثة دروس أراد المسيح أن يعلمها لبطرس من هذه المعجزة. اذكر كل درس منها، واشرحه.

2- أظهر المسيح محبته لبطرس في هذه المعجزة – كيف؟

3- أظهر المسيح محبته لجُباة ضريبة الهيكل – كيف؟

4- ماذا نتعلم من أن بطرس صاد السمكة المطلوبة من أول مرة؟

5- كيف كان بطرس مثل الإستار في فم السمكة؟ وماذا فعل المسيح يده؟

المعجزة الحادية والعشرون

الواحد الذي شكر

«11وَفِي ذَهَابِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ اجْتَازَ فِي وَسَطِ السَّامِرَةِ وَالْجَلِيلِ. 12وَفِيمَا هُوَ دَاخِلٌ إِلَى قَرْيَةٍ اسْتَقْبَلَهُ عَشَرَةُ رِجَالٍ بُرْصٍ فَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ 13وَصَرَخُوا: «يَا يَسُوعُ يَا مُعَلِّمُ ارْحَمْنَا». 14فَنَظَرَ وَقَالَ لَهُمُ: «اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ». وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَرُوا. 15فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شُفِيَ رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ 16وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ شَاكِراً لَهُ. وَكَانَ سَامِرِيّاً. 17فَقَالَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ الْعَشَرَةُ قَدْ طَهَرُوا؟ فَأَيْنَ التِّسْعَةُ؟ 18أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجِعُ لِيُعْطِيَ مَجْداً لِلَّهِ غَيْرُ هَذَا الْغَرِيبِ الْجِنْسِ؟» 19ثُمَّ قَالَ لَهُ: «قُمْ وَامْضِ. إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ» (لوقا 17: 11-19).

جرت هذه المعجزة في قرية بين السامرة والجليل، شفى فيها المسيح عشرة مرضى بالبرص كانوا يجلسون ليتسوَّلوا من الناس خلف أسوار هذه القرية الصغيرة المغمورة التي لم يذكر الإنجيل اسمها. وعندما سمعوا أن المسيح قادمٌ وقفوا من بعيد ليستقبلوه، فقد كان القانون يحتّم على الأبرص أن يقف على بُعد خمسين متراً على الأقل من الشخص الصحيح. ورفع هؤلاء المرضى أصواتهم لتصل إلى المسيح الشافي، عبر هذه المسافة.

وبمقتضى شريعة العهد القديم كان لا بد على الأبرص أن يشق ثيابه، ويكشف رأسه ويغطي شاربيه ويعيش خارج البلد. وإن اقترب منه أحد يصرخ : «نَجِسٌ! نَجِسٌ!» (لاويين 13: 45). وكان الناس ينظرون للأبرص باعتبار أنه مغضوب عليه من الله، لذلك أصابه بذلك المرض اللعين الذي لا شفاء منه، والذي يجعل أطرافه تتساقط حتى يموت. فكان الأبرص بلا أمل ولا رجاء في الصحة. لذا وقفوا من بعيد ينادون ويلتمسون الرحمة من المسيح.

ولم يلمس المسيح هؤلاء العشرة مثلما فعل مع غيرهم، لكنه أصدر لهم أمراً يبدو غريباً: «اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ» (آية 14). وهذا معناه أنهم سينالون الشفاء وهم في طريقهم إلى أورشليم، لأن المريض لا يذهب إلى الكهنة في أورشليم إلا بعد أن يكون قد نال الشفاء ليأخذ من الكهنة شهادة الصحة، التي بها فقط يستطيع أن يعود ليسكن وسط الناس، ويقدم الذبيحة المطلوبة منه.

وعند صدور أمر المسيح للعشرة رجال نفذوا أمره بدون أن يحدث تغيير في أجسادهم، فلم يكونوا قد نالوا الشفاء بعد. ولكنهم اعتماداً على كلمة المسيح اتجهوا إلى أورشليم، وبدأوا سفرهم في رحلة طويلة. لم يقولوا: ما فائدة سفرنا قبل الشفاء؟ لأن إيمانهم كان واثقاً ومتيقناً بحدوث ما لم يحدث بعد. فالإيمان يرى ما لا يراه الآخرون! وشُفي العشرة كلهم، ولكن واحداً فقط من العشرة (وهو سامري) رجع ليشكر، وسجد عند قدمي المسيح، فقال المسيح له: «قُمْ وَامْضِ. إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ» (آية 19) فنال البركتين الروحية والجسدية.

أولاً: المحتاجون والمعجزة

1- العشرة مرضى بالبرص:

كلهم أعوزهم شفاء المسيح، فقد اشتركوا جميعاً في المرض، ولم يكونوا مستحقين أن يقتربوا من المسيح، لذلك وقفوا من بعيد. وهذا يشبه حالة الخطاة المحتاجين إلى التوبة.

ويمكن أن نرى وجوه الشبه بين مرض البرص والخطية:

(أ) تصيب الخطية الإنسان بعد أن خلقه الله سليماً. فالبرص دخيل على الصحة السليمة. وهكذا خلق الله الناس صالحين، أما هم فقد اخترعوا لأنفسهم اختراعات كثيرة تناقض المشيئة الإلهية (جامعة 7: 29) «كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ» (إشعياء 53: 6).

(ب) كلاهما وراثي، يزيد ظهوره بالتقدم في العمر. يبدأ مرض البرص بسيطاً، لكنه يتقدم مع الأيام حتى يقضي على صاحبه. وهكذا تبدأ الخطية معنا بسيطة، لأن إبليس عندما يجربنا بخطية كبيرة نرفضها، لكنه عندما يبدأ بخطية صغيرة نقبلها ونستمر منها إلى خطية أكبر وأكبر حتى تقيّدنا سلاسل الخطية وتستعبدنا فتهلكنا.

(ج) كلاهما يُنتج النجاسة الكريهة التي تفصلنا عن جماعة الله، فالنجاسة تجعل الإنسان الذي كان صحيحاً يوماً ينفصل عن المؤمنين. والخطية تجعل الإنسان يقول للرب: «ابْعُدْ عَنَّا، وَبِمَعْرِفَةِ طُرُقِكَ لاَ نُسَرُّ» (أيوب 21: 14).

(د) كلاهما لا شفاء له إلا بالله وحده! فهذا المرض اللعين يُشبه الخطية في أنه لم يكن ممكناً نوال الشفاء منه بالطب البشري، بل بمعجزة إلهية. هل تذكرون نعمان السرياني قائد الجيش السوري؟ لقد أرسله ملكه إلى ملك إسرائيل يقول: «فَالآنَ عِنْدَ وُصُولِ هَذَا الْكِتَابِ إِلَيْكَ، هُوَذَا قَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ نُعْمَانَ عَبْدِي، فَاشْفِهِ مِنْ بَرَصِهِ». (2ملوك 5: 6) فظن ملك إسرائيل أن ملك سوريا (أرام) يتحرَّش به. ولكن أليشع قال: «لِيَأْتِ إِلَيَّ فَيَعْلَمَ أَنَّهُ يُوجَدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ» (2ملوك 5: 8). لم يكن الطبيب الملكي وقتها قادراً على شفاء قائد الجيش العظيم الذي حصل على انتصارات كثيرة. كان جبار بأس، لكنه أبرص. وكان الشفاء عند رجل الله بالطب السماوي وحده.

(هـ) كلاهما بغير الشفاء، يُميت لا محالة. فالخاطئ عاجز عن أن يساعد نفسه، ولا يستطيع من حوله أن يساعدوه. ولكن هناك مخلص واحد «لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال 4: 12) هو ذلك المحب الذي بذل نفسه عنا على صليب الجلجثة، فغلب الموت وانتصر عليه.

(2) تسعة مرضى بعدم الشكر:

(أ) صرخ العشرة كلهم إلى المسيح:

«يَا يَسُوعُ يَا مُعَلِّمُ ارْحَمْنَا» (آية 13) فنالوا شفاء الجسد. لكن تسعة منهم لم يرجعوا ليشكروه!

وخطية عدم الشكر منتشرة بيننا، وتظهر في الكثير من مواقفنا اليومية العملية، فغالباً لا يشكر الأبناء والديهم على محبتهم وخدمتهم. وكثيراً ما ننسى أن نشكر من يستخدمهم المسيح لخلاص نفوسنا. وكم من مسؤولين يخدموننا في الدولة والكنيسة والبيت، ولا يسمعون منا كلمة شكر. غير أنهم يسمعون صوت تذمرنا بأعلى نبرة لو رأوا في عملنا ما يعتقدون أنه تقصير! فكِّر في صديق لك. فكر في مدرِّسك. فكر في الطبيب. فكر في رجل الدين! هل شكرته؟

ما أكثر ما ننسى الفضل، لذلك قال داود لنفسه: «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ» (مزمور 103: 2).

(ب) لماذا لم يشكر التسعة؟

(1) قد يرجع عدم شكر التسعة إلى اعتقادهم أنهم لم يخطئوا خطية كبيرة يستحقون عليها مـرض البـرص، وبالتالي فلم يكن شفاؤهم في نظرهم ما يستحق أي شكر. وكأن المسيح قام معهم بالواجب اللازم عليـه! لقـد رفع عنهم ظلماً كان يجب أن يرفعه!

(2) وقد يرجع عدم شكرهم لعدم ثقتهم بأن شفاءهم سيستمر. فكانوا يريدون أولاً أن يتأكدوا من دوام الـصحة الجيدة، ثم يفكرون في الخطوة التالية فيما بعد.. قد يشكرون.

(3) وربما لم يريدوا أن يصاحبوا السامري في رحلة العودة، لأن اليهود لا يعاملون السامريين. لقد جمعهـم المرض والضيق معاً، فتناسوا الفروق الطبقية والعِرْقية واتحدوا معاً في الحزن على المـرض، ثـم ضـموا أصواتهم معاً طلباً للشفاء. لكن بعد أن نالوا الشفاء فرقتهم الصحة والظروف الحسنة! جمعهم الضيق وفـرقهم الفرج!

(4) ربما كان شكرهم قلبياً غير مسموع، واعتقدوا أن هذا يكفي، مع أن المرنم يقول: «أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْـوَتِي. فِي وَسَطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ» (مزمور 22: 22 وعبرانيين 2: 12)

(ج) ونحن لماذا لا نشكر؟

(1) ربما بسبب التعوُّد على الأخذ: فالنفس التي تكتفي بصلاة الطلب تنسى التعبير عن الشكر. ولما كان الرب يعطي بسخاء، ولا يمنع بركة في زمن الضيق، يصبح الإنسان أنانياً جحوداً، يأخذ بغير اعتـراف بالفـضل، ويظل يطلب وهو ناكر للجميل. ليحفظنا الله من خطية التعود على الأخذ بغير شكر!

(2) ربما بسبب الانشغال بالعطية ونسيان المُعطي: ننشغل بالاحتياج، ولما يمنحنا الله ننشغل بما أعطاه لنـا. نشبه الأطفال: تحضر لطفلك هدية فيجري بعيداً عنك يلهو بها. أو يأكلها. وعندما تدعوه أمه ليقول لك كلمـة شكر، يتمتم بها في غير اهتمام، لأن كل اهتمامه في هديته! ليحفظنا الله من الطفولة الروحية!

(3) ربما بسبب وقوفنا بعيداً عن المعطي: ربما يكون عدم الشكر لأننا نقف بعيداً عن الـرب الـذي يقـول: **8**«اِقْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ» (يعقوب 4: 8). والمؤمن الذي يستمتع بحياة روحية حقيقية هو الذي يقلـل المسافة بينه وبين الرب حتى تنعدم تلك المسافة، فيقول مع المرنم: «الرَّبُّ يَضُمُّنِي» (مزمور 27: 10) ويبقى في أحضان العناية الإلهية. قال المسيح: «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِـهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ» (يوحنا 15: 4).

ويتمتع المؤمن الشاكر بالعطية أكثر جداً من الذي لا يشكر، لأنه يطلب الرب الذي معه لا يعوزه شيء!

(د) ونتعلم من الذي شكر:

كان في حالة البؤس، وصرخ إلى الرب فسمع صراخه وشفاه. ولما رجع يشكر نال بركات أكبر:

(1) تمتع بما حصل عليه من شفاء بفضل الخلاص الروحي الجديد الذي وهبه المسيح لـه. إن لُقمـة يابـسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام (أمثال 17: 1). وعندما تصطلح مع الرب تجد أن بركـة الرب تُغني ولا يضيف الله إليها مشقة وتعباً (أمثال 10: 22).

(2) قدم للمسيح العبادة التي قوَّت علاقته به. ما أكثر مـن يعرفـون الله المعتنـي، ولكـنهم لا يعرفـون الله المخلِّص. وهذا السامري الأبرص الذي نال الشفاء اختبر عناية الطبيب العظيم، ثم اختبـر خـلاص الفـادي

الكريم، فمجَّد الله بصوت عظيم أعلى من الصوت الذي رفعه لما طلب الشفاء، وخرَّ عند رجلي المسيح شاكراً له، فابتسم المسيح له ابتسامة الرضا.

(3) لقد جهَّزه ذلك لحياة الشكر والتسبيح في السماء «وَلَكِنَّ الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلاً لِلْحُصُولِ عَلَى ذَلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ، إِذْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضاً، لأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ" (لوقا 20: 35، 36). فهم يسبحونه نهاراً وليلاً، قائلين: «قُدُّوسٌ. قُدُّوسٌ. قُدُّوسٌ» وعندما نسبح الله هنا ونشكره، نتجهز لتسبيحه وتمجيده عندما نجتمع حول عرشه.

ثانياً: المسيح والمعجزة

1- تنوُّع طرق تعامله:

عمل الله معنا متنوع، لا يمكن صبُّه في قالب واحد. الله يكلمنا ويتعامل معنا بأنواع وطرق كثيرة.

لم يلمس المسيح المرضى بالبرص في هذه المعجزة، ولكنهم شفاهم بكلمة سلطانه، ثم أمرهم بالذهاب لأخذ شهادة الشفاء من الكاهن في الهيكل كما أمرت الشريعة (لاويين 13: 17) لقد شفى أبرصاً من قبل بأن «مد يده ولمسه» مرقس 1: 41).

في دراستنا للمعجزات نرى كيف يتعامل المسيح مع الناس بطرق تناسب إيمانهم وظروفهم، لتصل بهم إلى «الحياة، والحياة الأفضل» (يوحنا 10: 10).

* تحدى إيمان الفينيقية القوي ليقوي أكثر (مت 15: 23-26).
* قوَّى إيمان يايرس المرتعش حتى لا يفشل في مواجهة التجربة (مرقس 5: 36).
* شفى أولاً ثم غفر، كما حدث مع مريض بركة بيت حسدا (يوحنا 5: 8، 14).
* غفر أولاً ثم شفى بعد ذلك كما حدث مع المفلوج الذي دلوه من السقف (مرقس 2: 5، 9).
* مدَّ يده وأنقذ بطرس أولاً ثم وبَّخ شكه وقلّة إيمانه (متى 14: 30، 31).

ولكن مهما اختلفت طرق تعامل المسيح، فإن محبته لا تتغير أبداً، وأمانته باقية كما هي، فهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد (عبرانيين 13: 8) الألف والياء. البداية والنهاية، الذي كان والكائن والذي يأتي، القادر على كل شيء (رؤيا 1: 8).

فدعونا بذهن مفتوح، وفكر يقظ نتأمل تعاملاته معنا وندرك أن عونه لا بد أن يجيء من بعيد أو قريب، إن طال الوقت أو قصُر، فهو يجيء في الهزيع الأخير أو الأول، لكنه لا بد أن يجيء فلنعش انتظارنا للرب بإيمان واثق.

2- يسأل: «أَيْنَ التِّسْعَةُ؟»

لم يبخل المسيح بعطائه، فهو الذي يشرق شمسه على الجميع، ويعطي كل من يحتاج، ولكنه يسأل: «أين التسعة؟» (آية 17) فهو ينتظر منا كلمة شكر تعبيراً عن امتناننا لمحبته. وهذا حقه!

ويرجع استفهامه الاستنكاري هذا لأنه يريد أن يعطي أكثر، فإن عنده بركة أكبر من الطعام البائد. إنه يريد أن يعود المشفيُّ إليه حتى يُشبعه بالطعام الباقي للحياة الأبدية، ويرويه بالماء الحي الذي لا يعطش من يشربه، بل يفيض منه على غيره.

عزيزي القارئ، ليجعلنا الله مثل الواحد المشفي الشاكر!

صلاة

أبانا السماوي، أنت تمنح وتمنح دون أن تنتظر شكراً. فماذا نرد لك من أجل كل حسناتك؟ كأس خلاصك نتناول، وباسمك ندعو، ونرفع لك أسمى آيات الشكر.

سامحنا عندما يلهينا الخير الذي تغمرنا به عن التفكير في يدك السخية. أعطنا النضوج الذي يحب المعطي أكثر من العطية، فيكون لنا نضوج الكبار في محبتك، البالغين في طاعتك. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- لماذا يظهر غريباً أمر المسيح للعشرة: «اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة»؟

2- اذكر خمسة أوجه شبه بين الخطية والبرص.

3- اذكر ثلاثة أسباب نظن أنها عطلت التسعة عن تقديم الشكر للمسيح.

4- لماذا لا يشكر الناس الله اليوم؟

5- اذكر ثلاثة أشياء ميَّز بها الله الأبرص المشفي الذي شكر.

المعجزة الثانية والعشرون

شفاء المولود أعمى

«1وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَاناً أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ 2فَسَأَلَهُ تلاَمِيذُهُ: «يَا مُعَلِّمُ مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ
حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟» 3أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ. 4يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ
الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. 5مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ».
6قَالَ هَذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِيناً وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى. 7وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ
اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ». الَّذِي تَفْسِيرُهُ مُرْسَلٌ. فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيراً.
8فَالْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلاً أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى قَالُوا: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ
وَيَسْتَعْطِي؟» 9آخَرُونَ قَالُوا: «هَذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشْبِهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ». 10فَقَالُوا لَهُ:
«كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟» 11أَجَابَ: «إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِيناً وَطَلَى عَيْنَيَّ وَقَالَ لِي: اذْهَبْ إِلَى بِرْكَةِ
سِلْوَامَ وَاغْتَسِلْ. فَمَضَيْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ». 12فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ ذَاكَ؟» قَالَ: «لاَ أَعْلَمُ».
13فَأَتَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ بِالَّذِي كَانَ قَبْلاً أَعْمَى. 14وَكَانَ سَبْتٌ حِينَ صَنَعَ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ.
15فَسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضاً كَيْفَ أَبْصَرَ فَقَالَ لَهُمْ: «وَضَعَ طِيناً عَلَى عَيْنَيَّ وَاغْتَسَلْتُ فَأَنَا أُبْصِرُ». 16فَقَالَ قَوْمٌ
مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ: «هَذَا الإِنْسَانُ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ لأَنَّهُ لاَ يَحْفَظُ السَّبْتَ». آخَرُونَ قَالُوا: «كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ
يَعْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الآيَاتِ؟» وَكَانَ بَيْنَهُمُ انْشِقَاقٌ. 17قَالُوا أَيْضاً لِلأَعْمَى: «مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ
عَيْنَيْكَ؟» فَقَالَ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ». 18فَلَمْ يُصَدِّقِ الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَوْا أَبَوَيِ الَّذِي أَبْصَرَ.
19فَسَأَلُوهُمَا: «أَهَذَا ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولاَنِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى؟ فَكَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ؟» 20أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ: «نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا ابْنُنَا
وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى 21وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ فلاَ نَعْلَمُ. أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فلاَ نَعْلَمُ. هُوَ كَامِلُ السِّنِّ. اسْأَلُوهُ فَهُوَ
يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ». 22قَالَ أَبَوَاهُ هَذَا لأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنِ اعْتَرَفَ
أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ. 23لِذَلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ: «إِنَّهُ كَامِلُ السِّنِّ اسْأَلُوهُ».
24فَدَعَوْا ثَانِيَةً الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى وَقَالُوا لَهُ: «أَعْطِ مَجْداً لِلَّهِ. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الإِنْسَانَ
خَاطِئٌ». 25فَأَجَابَ: «أَخَاطِئٌ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئاً وَاحِداً: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ». 26فَقَالُوا
لَهُ أَيْضاً: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ؟ كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» 27أَجَابَهُمْ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا
أَيْضاً؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلاَمِيذَ؟» 28فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا: «أَنْتَ تِلْمِيذُ ذَاكَ وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا تَلاَمِيذُ
مُوسَى. 29نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَمَّا هَذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ». 30أَجَابَ الرَّجُلُ: «إِنَّ فِي هَذَا عَجَباً!
إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. 31وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللَّهَ
وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ فَلِهَذَا يَسْمَعُ. 32مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَداً فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى. 33لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ
لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً». 34قَالُوا لَهُ: «فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا!» فَأَخْرَجُوهُ خَارِجاً.
35فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجاً فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ؟» 36أَجَابَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ
لأُومِنَ بِهِ؟» 37فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ». 38فَقَالَ: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ». وَسَجَدَ لَهُ.
39فَقَالَ يَسُوعُ: « لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ
يُبْصِرُونَ». 40فَسَمِعَ هَذَا الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُ: «أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضاً عُمْيَانٌ؟» 41قَالَ لَهُمْ

يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَاناً لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلَكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ» (يوحنا 9: 1-41).

كتب القديس يوحنا الإنجيل الذي يحمل اسمه بعد كتابة الإنجيل كما رواه كلٌ من متى ومرقس ولوقا. والإنجيل (بمعنى الخبر المفرح) هو واحد، الذي هو بشرى مجيء المسيح إلى عالمنا، لكن الذين يروون الخبر المفرح الواحد كثيرون. وعندما كتب يوحنا سيرة المسيح كانت معجزات المسيح والكثير من تعاليمه قد عُرفت وانتشرت، فحرص يوحنا على ذكر ما لم يذكره الكُتَّاب الآخرون من معجزات المسيح وتعاليمه. وعندما كان يكرر ذكر معجزة ذكرها غيره، كان يضيف إليها التعاليم التي صاحبتها، مع تعليقاته عليها.

ذكر يوحنا أربع معجزات جَرت في الجليل، هي تحويل الماء إلى خمر (يوحنا 2)؛ شفاء ابن رجل البلاط الملكي (يوحنا 4)؛ إطعام خمسة آلاف (يوحنا 6)؛ ومشي المسيح على الماء (يوحنا 6). كما ذكر أربع معجزات أجراها المسيح في اليهودية: شفاء المريض منذ 38 سنة (يوحنا 5)؛ وفتح عيني المولود أعمى (يوحنا 9)؛ وإقامة لعازر من الموت (يوحنا 11)؛ وصيد السمك الكثير (يوحنا 21). وهذه لم يذكرها أحد غيره.

جرت المعجزة التي نتأملها الآن عند مدخل هيكل أورشليم، حيث يجتمع المتسولون، وكان ذلك في يوم سبت، عندما لم يكن اليهود مستعدين لرؤية أي شخص يعمل أي شيء مهما كان حسناً، فحقق نبوة إشعياء: «وَيَسْمَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الصُّمُّ أَقْوَالَ السِّفْرِ، وَتَنْظُرُ مِنَ الْقَتَامِ وَالظُّلْمَةِ عُيُونُ الْعُمْيِ» (29: 18) ولقد سمع العميان الذين شفاهم صوت إنجيله، وانفتحت عيون قلوبهم، كما انفتحت عيون أجسادهم، ليعرفوه ويقبلوا خلاصه. وقد سجل البشيرون لنا من معجزات فتح عيون العمي شفاء أعمى بيت صيدا، الذي جاء شفاؤه على مرحلتين (مرقس 8)؛ وشفاء الأعميين (متى 9): وشفاء بارتيماوس (مرقس 10)؛ وشفاء المولود أعمى (يوحنا 9).

أولاً: المحتاج والمعجزة

1- أعمى منذ ولادته:

هذا المولود أعمى يمثلنا جميعاً، فهو يرمز لعمانا الروحي، نحن الذين بالإثم صُوِّرنا وبالخطية حبلت بنا أمهاتنا. فعمانا الروحي منذ الميلاد، وكلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه. «وَلَكِنْ إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُوماً، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي الْهَالِكِينَ، الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ» (2كورنثوس 4: 3، 4). ولذلك فالبشر يسلكون «كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضاً بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ» (أفسس 4: 17، 18).

2- يعيره الناس:

لم تقتصر كارثة هذا الأعمى على عماه، فقد زادتها قسوة تعليقات المحيطين به، فقد اعتبروا مرضه نتيجة خطية ارتكبها. ولم يأتِ دفاعه عن نفسه بفائدة بل ربما عاد بضرر أكبر، فقد أرجعوا مرضه لخطية والديه أيضاً. مسكين الرجل بعماه، ومسكين بقسوة المحيطين به، فالناس دائماً يرجمون غيرهم بالأحجار، ليعاقبوا أنفسهم في غيرهم، ويُسقطوا عيوبهم على الآخرين.

ورفع المسيح في محبته عن الرجل عماه، كما رفع عنه الاتهام الظالم. ونحن نعلم أن أبوي المولود أعمى خاطئان، وكذلك كلنا، فمَن من البشر بلا خطية؟ ولكن المسيح دافع عنهم وقال: «لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ» (آية 3) فإن العمى هنا ليس نتيجة خطية من الأعمى ولا من والديه.

قد تكون الخطية سبب المرض، كما في حالة المشلول الذي دلاه أصحابه الأربعة من السقف «فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مرقس 2: 5)؛ وقد لا تكون بسبب المرض، كما في حالة أيوب البار الذي كان يتقي الله ويحيد عن الشر (أيوب 1: 8). وعندما أوضح المسيح هذه الحقيقة للسامعين أعاد للمولود أعمى كرامته، وأسكت أفواه المنتقدين الذين يقولون ما لا يعلمون، وينسبون أمراض الناس لخطاياهم، وهم بظروفهم جاهلون، فكثيراً ما تكون المصائب وسيلة لإعلان رحمة الله.

3- آمن وأطاع:

شفى المسيح بأن تفل على الأرض وصنع طيناً طلى به عينيه، وأمره أن يذهب ويغتسل في بركة سلوام. وذهب الأعمى بإيمان إلى البِرْكة وهو لا يزال أعمى. ومع أنه لم يكن يعرف من هو المسيح، إلا أنه أطاعه وذهب، فنال البركة والبركة دائماً على رأس المطيع.

ولنتأمل في إيمان هذا الرجل:

كان إيمانه متدرجاً، فقال في الآية 11 عن المسيح: «إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ » ثم تقدم بعد ذلك إلى درجة أعلى من المعرفة في إجابته على أسئلة مجلس السنهدريم، فعندما سألوه ««مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْه؟» فأجاب: «إِنَّهُ نَبِيٌّ» (آية 17) لأنه بعد بعض التفكير أدرك أن المسيح لا يمكن أن يكون مجرد إنسان. وفي الآية 33 قال: «لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً». فبعض الأنبياء الكذبة يعملون معجزات بقوة إبليس، أما هذا فهو من الله، من فوق، وهو فوق الجميع. الذي أتى من السماء هو فوق الجميع (يوحنا 3: 31).

وكان إعلان قوة إيمانه التدريجي في آية 38، فقد سأله المسيح: «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ؟» فأجاب: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ». ثم سجد للمسيح.

لقد نال هذا الشحاذ المستعطي أولاً فَتْح عينيه، ثم نال نعمة التبني، فصار الأَخْذُ من الله لا أخذ الشحاذين لكن أخذ الأبناء. فالبعض غرباء عن الله، يطلبون منه، فيأخذون ويختبرون عنايته. ولكن عندما يُنعم الله عليهم بالتبني يطلبون منه، فيأخذون ويختبرون خلاصه، كما اختبروا عنايته.

4- شهد للمسيح شهادة اختبار:

يقولون ويَصْدقون: «درهم اختبار خير من قنطار عقيدة». وقد اختبر الأعمى اختباراً عميقاً، فكان عظيماً في شهادته للمسيح. وبالرغم من مقاومة الفريسيين له بعد شفائه وتهديدهم بقطعه من انتمائه لشعب الله، وقف ذلك الشحاذ المسكين الذي لم ينل أي قسط من التعليم في حياته أمام سبعين من أعظم رجال الدين، هم أعضاء مجلس السنهدريم اليهودي، ليرد على استجوابهم. لقد عرف نفسه وشهد باختباره: «كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ» (آية 25) ثم قال: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضاً؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تلاَمِيذَ؟» (آية 27) ومضى يقول: «إِنَّ فِي هَذَا عَجَباً! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ» (آية 30). فقال إن مصدر الشفاء إلهي، لأنهم أرادوا أن يفسروه باعتبار أنه من عمل الشيطان أو من السحر.

وكانت شهادة الأعمى أمام مجلس السنهدريم عقلية ومنطقية واختبارية، فلم يكن قد رأى المسيح من قبل أو نال الحياة الجديدة. ولكنه حال ما عرف أن المسيح هو ابن الله أدى العبادة له، وسجد للنبي ابن الله أمام الجميع. وهذه شهادة حية وإعلان لاتباعه. وقَبِل منه المسيح هذا السجود لأنه أهلٌ له.

ثانياً المشاهدون والمعجزة

1- الجيران:

سمع الجيران بما جرى للمولود أعمى، فأخذوا في حب استطلاع يناقشون ما جرى له، بغير اكتراث ولا اهتمام به هو شخصياً!

تساءلوا: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟» (آية 8). أجاب البعض إنه هو، وقال البعض الآخر إنه يشبهه. أما هو فأصرَّ أنه هو. ولعل ما جعل الأمور تختلط على هؤلاء الجيران هو أن عيني الرجل انفتحتا، فحدث تغيير في وجهه. كما أن السعادة التي ملأت قلبه بانت على قسمات وجهه، فغيرتها.

ويشبه هؤلاء الجيران الكثيرين ممن يعيشون على هامش الحياة. يحبون الاستطلاع، ويصرفون وقتهم في الكلام والحديث، ولكنهم لا يكترثون لما هو أهم. لم يهتم أحدٌ منهم بالرجل نفسه، ولم يحاولوا أن يتأكدوا من هُويته، ولكن بعد مناقشة سطحية قادوه للسلطات، وأتوا به إلى الفريسيين.

2- الفريسيون:

وهم أناس منغلقو الفكر، يرفضون ما يختلف عن اعتقادهم، حتى لو كذَّبت عيونهم ما يعتقدون به! لا يحبون فعل الخير إلا كما يستحسنون. مشكلتهم كامنة في إرادتهم، فلم تكن لديهم الرغبة في الإيمان.

وحدث بينهم انشقاق. قال قوم منهم: «هَذَا الإِنْسَانُ (المسيح) لَيْسَ مِنَ اللَّهِ لأَنَّهُ لاَ يَحْفَظُ السَّبْتَ» (آية 16) بينما كانت الشريعة تسمح للذي يسقط ثوره في حفرة يوم السبت أن يخرجه من الحفرة. لكنهم رفضوا عمل المسيح الذي هو تخليص نفس وشفاء جسد، لمجرد أن هذا حدث في يوم سبت، وقالوا: «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَمَّا هَذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ» (آية 29) مع أن معجزاته الواضحة تكفي لتقنعهم أنه من الله.

ثم رفض الفريسيون الأعمى الذي نال الشفاء، وقالوا له: «فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا!» (آية 34) رفضوا اختباره، وكأنهم لا يعلمون أن التعليم ليس مجرد نظريات، لكنه قبل كل شيء اختبار يُعاش كل يوم!

3-الأبوان:

وجه الفريسيون لهم ثلاثة أسئلة: «هل هذا الولد ولدكما؟» فأجابا: «نعم»؛ «هل وُلد أعمى؟» فأجابا: «نعم»؛ «وكيف يبصر الآن؟» فأجابا: «لا نعلم! اسألوه فهو يتكلم عن نفسه».

كانا يعلمان أن الفريسيين يريدون توقيع الحكم عليهما إن هما أعلنا معرفتهما بالمسيح؛ وإن شهدا أنه صنع المعجزة. وكان الحكم بالحرمان ذا ثلاث درجات: (1) الحرمان من مخالطة الأقارب ثلاثين يوماً. (2) الحرمان مدى الحياة من الاختلاط بالأقارب، إلا في حالة الضرورة فقط. (3) الحرمان مدى الحياة من مخالطة كل الشعب، وقتل المحكوم عليه إن أمكن. ولما كان حكم القتل في يد الرومان وحدهم. فكان اليهود يكتفون عادة بعزل المحكوم عليه.

وقد طبَّق اليهود الحكم القاسي الثالث على الأعمى الذي نال البصر «فَأَخْرَجُوهُ خَارِجاً» (آية 33).

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- رأى المسيح الأعمى فبادر بشفائه:

« وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَاناً أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ» (آية 1) فرأى فيه إنساناً محتاجاً للبصر. كان الأعمى يرى في نفسه مجرد متسول لا فائدة فيه، فغيَّر المسيح حياته تماماً، وجعله شاهداً له. فأصبح المتسول يعطي خبز الحياة للجياع بالروح، وصارت لحياته أكبر الفائدة.

ورأى التلاميذ في الأعمى موضوع مناقشة فكرية عن سبب المرض والألم في العالم. لكن المسيح رأى فيه فرصة إعلان لمحبة الله، فتوجه إليه ليشفيه بدون أن يطلب الأعمى ذلك، مثلما فعل مع مريض بِرْكة بيت حِسدا (يوحنا 5). وما أكثر ما نجهل البركة التي عندنا، فيفتح الله عيوننا عليها، وندرك عظمتها بعد أن نأخذها،ونكتشف أنها امتياز عظيم لنا من الرب، وتتحقق معنا كلمته: «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ» (يوحنا 15: 16).

2- أتم المسيح الشفاء لأسباب:

(أ) ليتمجد الله: قال المسيح: «لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ» (آية 3)، وقد أظهر المسيح دوماً أعمال الله، وحقق إعلانه: «مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ يَطْلُبُ مَجْدَ نَفْسِهِ، وَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ» (يوحنا 7: 18).

(ب) لأن الوقت قصير: قال المسيح: « يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ» (آية 4). وقد حقق المسيح بذلك كلماته: «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلا يُدْرِكَكُمُ الظّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ» (يوحنا 12: 35).

(ج) ليُعلن رسالة للعالم: قال المسيح: «مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ» (آية 5)، وحقق ذلك بقوله: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا 8: 12). ولا زالت هذه الكلمات صادقة إلى يومنا هذا، فالمسيح ما زال ينير القلوب. «وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا» (ملاخي 4: 2).

صلاة

أبانا السماوي، لقد أعمت الخطية عيوننا منذ وُلدنا، وجعلتنا شحاذين نستجدي من العالم ما لا يكفينا، فنعود نستجدي من جديد. افتح عينيَّ لأرى الحق، فإنك الطريق والحق والحياة. وليكن المسيح لي المخلّص والطبيب، والمعلّم والصديق. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- ذكر يوحنا أربع معجزات أجراها المسيح في الجليل، وأربع معجزات أجراها المسيح في اليهودية – اذكرها مع شاهدها الكتابي.

2- كيف يمثلنا هذا الأعمى ويرمز إلينا؟

3- كيف دفع المسيح تهمة أن العمى هو نتيجة خطية الأعمى أو نتيجة خطية والديه؟

4- اذكر كيف تدرَّج إيمان الأعمى، وكيف كمل.

5- «درهم اختبار خيرٌ من قنطار عقيدة» اشرح كيف ظهر هذا في شهادة الأعمى للمسيح.

6- لماذا خاف الأبوان من الشهادة أمام مجمع اليهود للمسيح الذي شفى ابنهما.

7- لماذا أخذ المسيح زمام المبادرة في شفاء المولود أعمى؟

المعجزة الثالثة والعشرون

إقامة لعازر

1وَكَانَ إِنْسَانٌ مَرِيضاً وَهُوَ لِعَازَرُ مِنْ بَيْتِ عَنْيَا مِنْ قَرْيَةِ مَرْيَمَ وَمَرْثَا أُخْتِهَا. 2وَكَانَتْ مَرْيَمُ الَّتِي كَانَ لِعَازَرُ
أَخُوهَا مَرِيضاً هِيَ الَّتِي دَهَنَتِ الرَّبَّ بِطِيبٍ وَمَسَحَتْ رِجْلَيْهِ بِشَعْرِهَا. 3فَأَرْسَلَتِ الأُخْتَانِ إِلَيْهِ قَائِلَتَيْنِ: «يَا سَيِّدُ
هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ».
4فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ: «هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ». 5وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ
مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ. 6فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ. 7ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ
لِتَلاَمِيذِهِ: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَيْضاً». 8قَالَ لَهُ التّلاَمِيذُ: «يَا مُعَلِّمُ الآنَ كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ
وَتَذْهَبُ أَيْضاً إِلَى هُنَاكَ». 9أَجَابَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَتْ سَاعَاتُ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي النَّهَارِ
لاَ يَعْثُرُ لأَنَّهُ يَنْظُرُ نُورَ هَذَا الْعَالَمِ 10وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي اللَّيْلِ يَعْثُرُ لأَنَّ النُّورَ لَيْسَ فِيهِ». 11قَالَ هَذَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لَكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ». 12فَقَالَ تلاَمِيذُهُ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ فَهُوَ
يُشْفَى». 13وَكَانَ يَسُوعُ يَقُولُ عَنْ مَوْتِهِ وَهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ يَقُولُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ. 14فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينَئِذٍ علاَنِيَةً:
«لِعَازَرُ مَاتَ. 15وَأَنَا أَفْرَحُ لأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ لِتُؤْمِنُوا. وَلَكِنْ لِنَذْهَبْ إِلَيْهِ». 16فَقَالَ تُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ
التَّوْأَمُ لِلتّلاَمِيذِ رُفَقَائِهِ: «لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضاً لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ».
17فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. 18وَكَانَتْ بَيْتُ عَنْيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ خَمْسَ
عَشْرَةَ غَلْوَةً. 19وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْثَا وَمَرْيَمَ لِيُعَزُّوهُمَا عَنْ أَخِيهِمَا. 20فَلَمَّا سَمِعَتْ
مَرْثَا أَنَّ يَسُوعَ آتٍ لاَقَتْهُ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ. 21فَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتَ هَهُنَا
لَمْ يَمُتْ أَخِي. 22لَكِنِّي الآنَ أَيْضاً أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ». 23قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ
أَخُوكِ». 24قَالَتْ لَهُ مَرْثَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ». 25قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ
الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا 26وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ
بِهَذَا؟» 27قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ».
28وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا مَضَتْ وَدَعَتْ مَرْيَمَ أُخْتَهَا سِرّاً قَائِلَةً: «اَلْمُعَلِّمُ قَدْ حَضَرَ وَهُوَ يَدْعُوكِ». 29أَمَّا تِلْكَ فَلَمَّا
سَمِعَتْ قَامَتْ سَرِيعاً وَجَاءَتْ إِلَيْهِ. 30وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ جَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ بَلْ كَانَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لاَقَتْهُ فِيهِ
مَرْثَا. 31ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهَا فِي الْبَيْتِ يُعَزُّونَهَا لَمَّا رَأَوْا مَرْيَمَ قَامَتْ عَاجِلاً وَخَرَجَتْ تَبِعُوهَا قَائِلِينَ:
«إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ لِتَبْكِيَ هُنَاكَ». 32فَمَرْيَمُ لَمَّا أَتَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ:
«يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتَ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي». 33فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ تَبْكِي وَالْيَهُودُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ انْزَعَجَ
بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ 34وَقَالَ: «أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ؟» قَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ تَعَالَ وَانْظُرْ». 35بَكَى يَسُوعُ. 36فَقَالَ
الْيَهُودُ: «اُنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ». 37وَقَالَ بَعْضٌ مِنْهُمْ: «أَلَمْ يَقْدِرْ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا
أَيْضاً لاَ يَمُوتُ؟». 38فَانْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضاً فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ. 39قَالَ
يَسُوعُ: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ». قَالَتْ لَهُ مَرْثَا أُخْتُ الْمَيْتِ: «يَا سَيِّدُ قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ». 40قَالَ لَهَا يَسُوعُ:
«أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ؟». 41فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعاً وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى
فَوْقُ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي 42وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا
الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي». 43وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجاً»

44فخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ».
45فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ آمَنُوا بِهِ. 46وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ. 47فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعاً وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هَذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. 48إِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا». 49فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَهُوَ قَيَافَا كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئاً 50وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا». 51وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ 52وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللَّهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ.
53فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ. 54فَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ أَيْضاً يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ علاَنِيَةً بَلْ مَضَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْكُورَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا أَفْرَايِمُ وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَ تلاَمِيذِهِ» (يوحنا 11: 1-54).

جرت هذه المعجزة في قرية «بيت عنيا» على بُعد ثلاثة كيلومترات من أورشليم، والتي تغيَّر اسمها إلى قرية «اللعازرية» بسبب المعجزة التي جرت فيها.
حدثت هذه المعجزة مع أسرة تحب المسيح وأحبها هو أيضاً. كان لعازر الأخ الأكبر لهذه العائلة، ومعنى اسمه «الله عون». وكان الله في عونه حقاً يوم عرَّفه به وأعطاه الحياة الجديدة، ثم لما أعاد له الحياة الجسدية بإقامته من الموت، ثم يوم أقام ضيفاً في بيته. ومرثا هي الأخت الكبرى، واسمها سرياني معناه «سيدة» وهو نفس الاسم «كيرية» في اللغة اليونانية، وكانت سيدة البيت المسؤولة عنه، وطالما استضافت المسيح (لوقا 10: 40). ومريم الأخت الصغرى ومعنى اسمها «مُرَّة» وهي التي دهنت الرب بالطيب ومسحت رجليه بشعرها (متى 26: 6-13 ويوحنا 12: 3) وهي ليست المرأة الخاطئة التي كانت تسكن الجليل، وفعلت مع المسيح الشيء نفسه (لوقا 7: 37). كما أن مريم أخت لعازر ليست هي مريم المجدلية المذكورة في لوقا 8: 2، 3.

أولاً: المحتاجون والمعجزة

1- لعازر:

يبدو أن لعازر هو المحتاج إلى المعجزة، ولكن هذا ليس صحيحاً لأنه بموته انتقل إلى السماء في حضرة الآب وكان مستمتعاً به، بعد أن دخل إلى فرح سيده، وتحققت له شهوة الرسول بولس: «لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً» (فيلبي 1: 23). كان لعازر يقول مع بولس: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضاً» (2تيموثاوس 4: 7، 8).
فمصلحة لعازر أن يكون مع المسيح، لأنه قد جاء وقت فكه من مسؤولياته ليدخل راحته الأبدية.
فليس لعازر هو المحتاج للمعجزة، ولكن الاحتياج الحقيقي كان لأختيه مرثا ومريم.

2- الأختان:

(أ) أختان تحبان الرب: فمريم إحدى الأختين هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها (آية 2) ومرثا هي التي كانت تقوم بواجب الضيافة للمسيح (لوقا 10: 38-42)

(ب) تعلمان حب الرب لهما: كان المسيح يحب تلك الأسرة وهي تعلم بهذا الحب، كما شهد يوحنا بذلك «فَأَرْسَلَتِ الأُخْتَانِ إِلَيْهِ قَائِلَتَيْنِ: يَا سَيِّدُ، هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ.. وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ» (آيتا 3، 5). وقال المسيح لتلاميذه: «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لَكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ» (آية 11). وبكى عند قبر لعازر عندما سمع عن موت حبيبه (آية 35) فشهد اليهود لهذا الحب وقالوا: «انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ» (آية 35).

(ج) تعاتبان الرب: المحبة تتوقع كثيراً، وعندما لا يتحقق ما تتوقعه تبدأ في العتاب.وكانت معاتبة الأختين للمسيح لأنهما أرسلتا إليه رسولاً تقولان: «يَا سَيِّدُ، هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ». ولكنه لم يستجب لرسالة الرسول، فمات لعازر. وقالت له مرثا: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي» وكررت مريم نفس كلماتها (آيتا 21، 32).

ويبيّن العتاب الحب والجهل. فالأبناء يحبون أباهم ولكنهم لا يقدرون أن يدركوا مقدار محبته لهم، فيعاتبونه لأنه لم يعطهم طلبهم، ولكنه دائماً يعطي أفضل مما يطلبون. والمسيح يسمح لنا بأن نعاتبه، ويوضح لنا أحياناً الحكمة التي جعلته يتصرف بطريقته التي تختلف عن توقعاتنا وتوقيتنا حتى تطمئن نفوسنا وتستريح ضمائرنا.
(د) تؤمنان بالرب: وكان لإيمان الأختين بالرب ماضٍ وحاضر قوي، وله مستقبل أقوى. لقد دخل المسيح بيت الأختين وكان لعازر يستقبله مرحِّباً، ومرثا كانت تجهز الطعام، وأما مريم فقد جلست عند رجليه تستمع له. وعاتبته مرثا لأنه سمح لأختها أن تجلس عند قدميه وتتركها تخدم وحدها. وقَبِل المسيح عتاب مرثا، وشرح لها الموقف بقوله: «تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا» (لوقا 10: 41، 42).
إن لإيمان هذه الأسرة تاريخ وعُمق، وهو إيمان واثق، فقالت مرثا: «لَكِنِّي الآنَ أَيْضاً أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ» (آية 22). ولهذا الإيمان مستقبل عظيم أيضاً، فقد قالت له مرثا عن أخيها: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (آية 24). فقال لها الرب: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ» قالت: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ» (آيات 25–27).

ثانياً المشاهدون والمعجزة

1– التلاميذ:
يحبون المسيح، فعندما قال لهم: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَيْضاً» قالوا له: «يَا مُعَلِّمُ الآنَ كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ وَتَذْهَبُ أَيْضاً إِلَى هُنَاكَ». (آيتا 7، 8). ولهذا القول خلفية: «فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضاً حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ.. طَلَبُوا أَيْضاً أَنْ يُمْسِكُوهُ، فَخَرَجَ مِنْ أَيْدِيهِمْ» (يوحنا 10: 31، 39). فخاف التلاميذ على المسيح وطلبوا سلامته. ولكن عندما وجدوا أنه مُصِرّ على الذهاب لمكان الخطر، قال توما: «لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضاً لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ» (آية 16) فاختاروا بذلك أن يكون مصيرهم هو مصيره، واهتماماتهم اهتماماته، فكان فيهم فكر المسيح.
2– المعزُّون:
«وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْثَا وَمَرْيَمَ لِيُعَزُّوهُمَا عَنْ أَخِيهِمَا» (آية 19) والمعزون كثيراً ما يكونون مُتعبين، كما قال أيوب لأصحابه: «مُعَزُّونَ مُتْعِبُونَ كُلُّكُمْ!» (أيوب 16: 2).
وكان شك اليهود الحاضرين أكثر من إيمانهم. كانت قد مضت أربعة شهور على معجزة فتح عيني المولود أعمى، فتساءلوا: «أَلَمْ يَقْدِرْ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا أَيْضاً لاَ يَمُوتُ؟» (آية 37). ويعود

شكهم إلى أنهم تعاملوا مع المسيح معاملة سطحية. فبالرغم من معرفتهم أنه سبق أن أقام الموتى. لكنهم كانوا غير متأكدين إن كان يقدر أن يُقيم لعازر بعد موته بأربعة أيام.

3- القادة:

كان ضمن المشاهدين رجال من السنهدريم الذين جمعوا مجمعاً وقالوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هَذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. إِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا» (آيتا 47، 48). فقد فاق اهتمامهم السياسي اهتمامهم الروحي، وكانوا يخافون أن يُنصِّب الشعب المسيح ملكاً، لأنه المسيا المنتظر ملك إسرائيل، فيقمع الرومان ثورتهم، ويدمرون بلادهم ويقتلونهم. فقال قيافا رئيس كهنتهم: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا» (آية 50).

وتنبأ قيافا بغير أن يقصد أن المسيح يجب أن يموت، ليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد. ونبوّة قيافا هذه (من جانبه) رؤية سياسية خالية من المعنى الروحي. لكنها (في نظرنا الآن) تحتوي على معنى روحي عميق. وكلمات قيافا تشبه كلمات بلعام، عندما قال عن المسيح: « أَرَاهُ وَلَكِنْ لَيْسَ الآنَ. أُبْصِرُهُ وَلَكِنْ لَيْسَ قَرِيباً» (العدد 24: 17). ولما سمع قادة اليهود الدينيون كلمات قيافا السياسية تشاوروا ليقتلوا المسيح، ثم أخذوا يخططون أيضاً لقتل لعازر، لأن قيامة لعازر برهان على إرسالية ومسياوية المسيح، ولهذا «تَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضاً، لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ» (يوحنا 12: 10، 11).

فليحفظنا الرب من أن يكون موقفنا من المسيح موقف العارف عنه، وليس العارف به، موقف الذي يملك قنطاراً من المعلومات ولا يملك درهماً من الاختبار!

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- يرى المسيح ما وراء متاعب الحياة:

لما سمع المسيح عن مرض لعازر قال: «هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ» (آية 4). لقد عرف أن الأختين تعبتا وتتألمان، ولا أحد يلومهما على انزعاجهما. وبالرغم من ذلك لم يستجب دعوتهما لأنه يعرف أن مرض لعازر ليس للموت، ولكن لليقظة (آية 11): يقظة الأختين لقوة المسيح المحيية؛ ويقظة لعازر من قبره؛ ويقظتنا نحن لنعرف من هو المسيح.

فالمسيح يعلم ما وراء كل أزمة نمر بها، ويسمح بها لأنه يريد أن يتمجد فينا ويمجدنا ويصفينا لنصير كالذهب، وينقينا كالفضة الممحوصة سبع مرات (مزمور 12: 6). فهناك حكمة في عمله. فإن كانت ريح الأزمة أقوى منا، فهو يوقف الريح، أو يعطي قوة أكبر لنقاوم قوتها، لتصبح المقاومة بقوته هو.

2- يؤجل المسيح الإجابة أحياناً:

يستجيب الرب أحياناً قبل أن نطلب، لأن أبانا السماوي يعلم ما نحتاج إليه قبل أن نسأله (متى 7: 8) ولكن في أحيان أخرى تتأجل الإجابة: «فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ» (آية 6). وكان المسيح وقتها في بيرية، فلا بد أن فيها أشخاصاً يحتاجون لخدمته. نحن نرى حاجتنا فقط، ولكن المسيح يرى حاجتنا وحاجة غيرنا، فهو يعتني ويعطي ويخطط للجميع في نفس الوقت، لذا لم يغادر بيرية فور علمه بما أصاب حبيبه لعازر، لأن خدمته في بيرية لم تكن قد اكتملت بعد.

ولقد كان هذا التأجيل بركة لعائلة لعازر، ولنا نحن أيضاً. فلو كان المسيح وصل أثناء مرض لعازر لأجرى معجزة شفاء من مرضٍ، مثل مئات المعجزات التي سبق أن أجراها. أما وقد مات لعازر، فكان لا بد من

إجراء معجزة إقامة من الموت. فما أسعد أسرة لعازر! صحيحٌ أنها دفعت ثمناً مؤقتاً لتنال ربحاً يدوم، ربحاً لها وربحاً للكنيسة كلها على مدى الأجيال، بعد أن سمعت إعلان المسيح: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (آية 25).

3- أسند المسيح قوله بأفعاله:

النبي الكذاب يقول ولا يفعل، ولكن النبي الصادق يُسند ما يقول بما يفعل. قال المسيح: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا 8: 12) وبرهن صدق قوله هذا بفتح عيني المولود أعمى، وجعله يقول: «كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ» (يوحنا 9: 25) وقال المسيح: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ» (آيتا 25، 26). وأسند قوله العظيم هذا بأمره العظيم: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجاً. فَخَرَجَ الْمَيْتُ» (آيتا 44، 45). هذا هو الذي يُسند دعواه بما يفعل.

لم يكن هناك فارق بين سلوك المسيح وتعاليمه، ولم يأمر أتباعه بما لم ينفذه، ولم يستَثْنِ نفسه من تنفيذ مبدإ نادى به.

4- المسيح الإنسان الكامل:

(أ) انزعج واضطرب: «فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ تَبْكِي وَالْيَهُودُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ انْزَعَجَ بِالرُّوحِ، وَاضْطَرَبَ» (آية 33) و«انْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضاً فِي نَفْسِهِ، وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ» (آية 38).

لكلمة «انزعج» معنيان في اللغة اليونانية: بمعنى حزن، لأن الموت دخل إلى العالم واجتاز إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع. وهو جاء ليخلِّصهم.. وبمعنى غضب من نفاق ورياء المعزّين وقادة اليهود الذين لم يكن يعنيهم أمر لعازر ولا أمر الأختين، بدليل أنهم كانوا يريدون قتل لعازر بعد أن قام من الموت.

(ب) أمر برفع الحجر: ونرى إنسانيته أيضاً في الآية 39 عندما قال: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ». فمع أنه يقدر أن يزحزح الحجر بكلمة منه، ولكنه كلف الحاضرين برفع الحجر ليُظهر: صدق المعجزة، في أن لعازر لم يكن مغمى عليه، لكنه كان قد مات فعلاً.. ثم ليرى الجمع كله المعجزة ويؤمنون، فلا يقول أحد إن هناك مؤامرة أو اتفاقاً مع عائلة لعازر لاختلاق معجزة يخدع بها الناس.

(ج) صلى: نرى المسيح المصلي يقول: «أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي. وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي» (آيتا 41، 42). وهذه هي العلاقة الحميمة بين الابن وأبيه السماوي، فالابن يكرم الآب، والآب يكرم الابن. وللابن شركة وأُنس مع أبيه في صلة لا تنقطع.

5- المسيح الإله الكامل:

قال: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجاً» (آية 43) فخرج الميت فوراً. قال أحد الأتقياء: «لو كان المسيح قال: هلم خارجاً (دون تحديد اسم) لخرج كل موتى القبور! ولكنه حدد لعازر بالاسم، فقام لعازر وحده».

كان سلطان المسيح واضحاً على الأرواح، في عودة روح لعازر من الفردوس إلى الجسد، بعد أن غادرته أربعة أيام. وكان سلطان المسيح واضحاً على الأجساد في قيامة الجسد سليماً بعد أن أنتن! «وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ» (يوحنا 1: 5).

من ذا الذي يأمر عالم السماء وعالم الأرض، إلا الذي قال عن نفسه: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (متى 28: 18).

وبهذا السلطان السماوي يدعوك المسيح الآن لتقوم من موت خطاياك إلى حياة جديدة معه، فهو القائل: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (يوحنا 5: 24).

صلاة

أبانا السماوي، أتت ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت المسيح العظيم، والسامعون يحيون. أعطنا أن نكون ضمن هؤلاء الذين يسمعون، فنقوم من موت الخطية إلى الحياة الحقيقية، المتجددة دوماً، فالمسيح هو القيامة وهو الحياة. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- ما معنى اسم «لعازر»؟ وكيف حقق المسيح للعازر معنى اسمه؟

2- ما معنى اسم «مرثا»؟ وكيف تحقق لها معنى اسمها؟

3- لماذا لم يكن لعازر محتاجاً للمعجزة؟

4- كيف بيَّن التلاميذ محبتهم للمسيح؟

5- هل كان قيافا نبياً؟ وكيف تحقق قوله عن موت واحد عن الشعب؟

6- لماذا تأخر المسيح عن تلبية دعوة مريم ومرثا؟

7- لماذا طلب المسيح أن يرفعوا الحجر عن القبر؟

المعجزة الرابعة والعشرون

شفاء المنحنية

«10وكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ الْمَجَامِعِ فِي السَّبْتِ 11وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحُ ضُعْفٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَتَّةَ. 12فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضُعْفِكِ». 13وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللهَ. 14فَرَئِيسُ الْمَجْمَعِ وَهُوَ مُغْتَاظٌ لأَنَّ يَسُوعَ أَبْرَأَ فِي السَّبْتِ قَالَ لِلْجَمْعِ: «هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا الْعَمَلُ فَفِي هَذِهِ ائْتُوا وَاسْتَشْفُوا وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ»
15فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «يَا مُرَائِي أَلاَ يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ الْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟
16وَهَذِهِ وَهِيَ ابْنَةُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هَذَا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ
السَّبْتِ؟» 17وَإِذْ قَالَ هَذَا أُخْجِلَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ وَفَرِحَ كُلُّ الْجَمْعِ بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ الْكَائِنَةِ مِنْهُ» (لوقا 13: 10-17).

حدثت هذه المعجزة في أحد مجامع اليهود في بيرية في يوم سبت. ولليهود هيكل واحد، هو مركز تقديم الذبيحة في أورشليم، ولم يكن مسموحاً لهم ببناء هيكل غيره. لكن كانت لهم مجامع كثيرة ومراكز للتعليم في كل مكان. وفي أحد مجامع بيرية شفى المسيح المرأة التي كانت منحنية مدة ثمانية عشر عاماً، وكان الرب قد شفى من قبل في مجمع كفرناحوم هذا رجلاً به روح نجس (مرقس 1: 23).

أولاً: المحتاجة والمعجزة

1- مرضها:

وصف البشير لوقا المريضة بأنها: «امْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحُ ضُعْفٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَتَّةَ» (آية 11) لأن عضلات ظهرها متيبسة وسلسلتها الفقرية مقوَّسة، فلم تنتصب لمدة ثماني عشرة سنة. لقد ربطها الشيطان كل هذه المدة، وكان ينبغي أن تُحلّ من هذا الرباط.

وحدث مع تلك المرأة ما لا يحبه الله للإنسان، فكلمة «إنسان» في اللغة اليونانية «أنثروبوس» تعني الإنسان المُنتصِب، الذي يرفع عينيه إلى أعلى. وهذا هو هدف الله من خلق الإنسان، وهذا ما يجب أن يهدف له كل إنسان. ومن يتمتع بإنسانيته بالفعل، هو الذي ينظر إلى أعلى حيث المسيح جالس (كولوسي 3: 1).

وطعن الشيطان هذه المرأة المسكينة بالمرض الذي ضيَّع إنسانيتها، فصارت كالحيوان تنظر إلى أسفل. لكن بالرغم من ذلك كانت روحها تتطلع إلى أعلى، إلى ما خلقها الله عليه، وما أراده لها. وقد قال سليمان الحكيم: «هَذَا وَجَدْتُ فَقَطْ: أَنَّ اللَّهَ صَنَعَ الإِنْسَانَ مُسْتَقِيماً» (جامعة 7: 29).

2- إيمانها:

التقى المسيح بالمنحنية وهي تتردد على المجمع لتتعبَّد. لقد كانت أمينة مع الله، ففي كل فترة مرضها بقيت تذهب إلى بيت الله بانتظام تستمع لكلمته بالرغم من انحنائها.

لم يؤثر عجزها الجسدي على روحها. وفي زيارة عادية لها للمجمع نالت البركة، وغيَّر المسيح حياتها تماماً عندما «وَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ، فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللهَ» (آية 13). وهكذا حققت هدف حياتها ونظرت إلى

أعلى. لم تعتبر هذه السيدة ذهابها إلى المجمع روتيناً ميتاً لا فائدة فيه. وكما وصفها المسيح «هِيَ ابْنَةُ إِبْرَاهِيمَ» (آية 16) لأنه كان لها إيمان إبراهيم، وذلك في استمرارية وانتظام تعبُّدها ولجوئها إلى الله. وكثيرون منا يتأخرون عن المجيء لبيت الله بسبب مرض أو هموم أو انشغالات عائلية أو ضغط عمل، وتضيع منا بذلك فرص كثيرة رائعة كان يمكن أن نلتقي فيها بالرب فنأخذ بركة أكثر مما نطلب أو نفتكر.

3- شفاؤها وشكرها:

لم تطلب هذه المرأة المريضة شفاءً. لكن كان وجودها في المجمع إعلاناً لرغبتها في الشفاء، وطلباً خافتاً له. والمسيح يسمع الأنين مهما كان خافتاً في أعماق القلب، ويرى الدموع حتى إن لم نصرخ ونجاهر بالطلب، فهو يعلم ما نحتاج إليه من قبل أن نسأله «لأَنَّهُ أَشْرَفَ مِنْ عُلْوِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ نَظَرَ لِيَسْمَعَ أَنِينَ الأَسِيرِ، لِيُطْلِقَ بَنِي الْمَوْتِ» (مزمور 102: 19، 20).

وبعد أن استقامت المرأة اشتركت مع الواحد السامري وسط العشرة البرص الذين نالوا الصحة (لوقا 17: 15) فمجدت الله، واشتركت مع أعمى أريحا المذكور في لوقا 18: 43. وكان نتيجةً لشكرها أن «أُخْجِلَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ وَفَرِحَ كُلُّ الْجَمْعِ بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ الْكَائِنَةِ مِنْهُ» (آية 17).

ثانياً: المشاهد والمعجزة

رئيس المجمع:

يروي لنا المسيح ما فعله رئيس المجمع، الذي سنتأمل ردَّ فعله باعتباره المشاهد للمعجزة. لقد دعاه المسيح في آية 15: «يَا مُرَائِي» وهي لفظة قاسية، ولكنها تصف الرجل وصفاً صادقاً، لأنه عندما رأى شفاء المنحنية التي تعوَّدت حضور المجمع كل يوم سبت اغتاظ جداً، لأن المسيح أبرأها في يوم سبت. ولو كانت المريضة أمه أو أخته أو زوجته أو ابنته لجاء تعليقه مختلفاً. ولو كان أمرها يهمُّه لفسَّر الشريعة بطريقة أخرى لصالحها! ومن أخطاء رئيس المجمع نذكر أنه:

(أ) كلَّم الشعب الموجود وهو يقصد المسيح، دون أن يوجّه الكلام للمسيح مباشرة. قال: «هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا الْعَمَلُ فَفِي هَذِهِ ائْتُوا وَاسْتَشْفُوا، وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ» (آية 14). فلو كان شجاعاً لوجَّه الاتهام للمسيح مباشرة، فالمسيح هو الذي كسر السبت وشفى المريضة. لكن رئيس المجمع أطلق غضبه على الجمهور البريء الذي جاء ليتعبَّد.

(ب) جلس هذا الرجل على كرسي موسى لكنه حكم بغير شريعة موسى: «فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ مُوسَى: «لاَ تَكُمَّ ثَوْراً دَارِساً». أَلَعَلَّ اللهَ تُهِمُّهُ الثِّيرَانُ؟ أَمْ يَقُولُ مُطْلَقاً مِنْ أَجْلِنَا؟ إِنَّهُ مِنْ أَجْلِنَا مَكْتُوبٌ» (1كورنثوس 9: 9، 10). كانت شريعة موسى تسمح بعمل الرحمة للحيوان في يوم السبت، وأنكر رئيس المجمع هذه الرحمة على الإنسان يوم السبت!

(ج) ادَّعى الغيرة على السبت بسبب حسده للمسيح وغيظه من شهرته ومن محبة الناس له وإقبالهم عليه: فخالف قواعد الرحمة التي يتوقعها الإنسان العادي، والتي اصطلح الناس على اتباعها في مثل تلك الأحوال!

(د) أراد أن يكون فعل الخير بطريقته هو: فقد كان هذا الرجل تابعاً لا قائداً، وكان يعيش تحت عبودية شريعة جامدة، وليس عضواً في ملكوت حي. كان ولاؤه للتفسير المتزمت للشريعة أكبر من ولائه للرحمة والمحبة. كانت لديه فكرة عن طريقة عمل الخير، ولما فعل المسيح الخير بطريقة أخرى وأوضح المفهوم لعمل الخير،

امتلأت نفس رئيس المجمع بالغيظ لأنه كان يريد الخير بطريقته هو، وذلك بدلاً من أن تمتلئ نفسه بالشكر والانبهار من عمل المسيح الجليل ومن رؤية قوة الله التي جاءت متمثِّلة في المسيح «عمانوئيل» الذي معنى اسمه «الله معنا».

(هـ) أثار آخرين ليقفوا معه ضد المسيح: ومن المؤلم أن كثيرين من الموجودين وافقوه على قوله ووقفوا معه ضد المسيح. ولكن الحاضرين أدركوا الظلم الواقع على المسيح وعلى المرأة المنحنية التقية. فلما أسكت المسيح رئيس المجمع برَده المقنع: «أُخْجِلَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ» (آية 17).

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- شخَّص المسيح مرض المرأة، ثم شفاها:

(أ) رآها (آية 12): كانت المسكينة منحنية، ربما لم تستطع أن تراه لانحنائها، ولكنه هو رآها. وفي مرات كثيرة تمتلئ عيوننا بالدموع فلا نراه. لكننا نشكره لأنه هو يرانا، كما أن المهم والأساسي هو حبه لنا. وعندما ندرك حبه لنا نقول مع الرسول يوحنا: «نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً» (1يوحنا 4: 19). وعندما يرانا نقول له: «بِنُورِكَ نَرَى نُوراً» (مزمور 36: 9).

(ب) دعاها: «فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكِ» (آية 12). لم يتوقف عند رؤيتها، لكنه دعاها وشخَّص ضعفها. أدرك موقفها وعرف مدى الصعوبة التي تجتازها. أحس قلبه بها وتعاطف معها، لذا تحنن وحلَّها من ضعفها. إنه واقف يقرع ليعطي، فهل تقبل وتفتح؟!

(ج) لمسها وشفاها: وضع المسيح كلتا يديه عليها لا يداً واحدة. وهذا يرينا إقباله وحنانه عليها، وفي الحال جاءت النتيجة الفورية، واستقامت المرأة ومجدت الله لأنه أقامها.

(د) دافع عن شفائها: عندما نالت الشفاء هاجمها رئيس المجمع مع المشابهين له في التفكير، ولكن المسيح لم يتركها وحدها، بل دافع عنها، وقال لرئيس المجمع: «أَلاَ يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ الْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟ وَهَذِهِ وَهِيَ ابْنَةُ إِبْرَهِيمَ قَدْ رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هَذَا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟» (آيتا 15، 16). وبهذا أضاف المسيح دفاعه عنها إلى بركة الصحة لها.

2- شرح المسيح شريعة موسى:

يقول كثيرون إن المسيح نقض شريعة التوراة ونسخها. ولكن هذا لم يحدث. لا يمكن أن كتاباً مُنزلاً من عند الله يناقض كتاباً آخر مُنزلاً من عنده أيضاً. لذلك يضم الكتاب المقدس بين دفتيه العهدين القديم والجديد، التوراة والإنجيل، فلا يوجد أي تناقض لأن المصدر واحد وهو الله. لقد صدَّق المسيح على التوراة بأن:

(أ) اقتبسها: وفي موقف مشابه قال: «أَمَا قَرَأْتُمْ وَلاَ هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ الله وَأَخَذَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ وَأَكَلَ وَأَعْطَى الَّذِينَ مَعَهُ أَيْضاً، الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ؟». وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً» (لوقا 6: 3-5).

(ب) وشرح المسيح شريعة موسى، إذ سأل سامعيه: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ إِهْلاَكُهَا؟» (لوقا 6: 9) وذلك ليدفع سامعيه إلى التفكير في ما يقرأون، ليطبقوا كلمات الحق على حياتهم بالاستقامة والفطنة.

(ج) وتحدث المسيح عن شخصيته فقال: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (يوحنا 5: 17، 18).

(د) واستخدم المسيح المنطق السليم في شرح شريعة موسى بخصوص يوم السبت، فقال إن المرأة المنحنية أهم من البهيمة، فالإنسان يحل بهيمته من رباطها لتشرب، والمنحنية ابنة إبراهيم (بالمفارقة مع الثور). فهل يجوز أن تُترك مربوطة من الشيطان بمثل هذا المرض (بالمفارقة مع المذود الذي يربطون فيه البهيمة) لمدة ثماني عشرة سنة عاجزة عن أداء حياتها اليومية (بالمفارقة مع بضع ساعات ليقضيها الحيوان في العطش).

3- موقف المسيح من المرأة:

الذي أنصف المرأة فعلاً وأرجعها إلى الأصل الذي أراده الله لها هو المسيح، ففي المسيح: «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية 3: 28). وشفاء المسيح للمرأة المنحنية يذكرنا بمعاملات المسيح مع المرأة:

(أ) عالج جراح السامرية بدراية وحب ورفق، بغير أن يجرحها، بل بلمسة رقيقة من محبته نبَّهها إلى حالها الساقط، وقدَّم لها الماء الحي الذي يمكن أن يرويها، فأخذت منه الماء الحي وتابت وصارت كارزة لقريتها.

(ب) أمسك بيد ابنة يايرس الميتة وناداها «طَلِيثَا قُومِي» فأقامها من الموت. و«طليثا» هو النداء الذي توجهه الأم لابنتها في الصباح عندما توقظها من النوم (مرقس 5: 35-43).

(ج) عزَّى أرملة نايين التي كانت تبكي ابنها الوحيد الذي كان كل أملها، ولكنه مات. فتقدم المسيح منها وقال لها: «لا تَبْكِي» وأعاد ابنها للحياة، ودفعه إليها (لوقا 7: 11-17).

(د) غفر للمرأة الخاطئة في بيت الفريسي، وأعطاها بركة لم يأخذها صاحب البيت الذي دعاه للطعام، فأحبته كثيراً لأنه غفر لها الكثير (لوقا 7: 36-50).

(هـ) غفر للتي أُمسكت في خطيتها، وكتب خطايا الذين أدانوها فتركوها، ثم قادها للتوبة (يوحنا 8: 1-9).

(و) صادَقَ بيت لعازر ومريم ومرثا (لوقا 10: 38-42).

(ز) شفى حماة بطرس من الحمى، فقامت بخدمة بيتها (متى 8: 14).

(ح) وهاهو يشفي المنحنية. إنه المسيح الذي لا يميز بين شخص وآخر بسبب جنسه، ولا يُفرّق بين أي من خليقته لأنه مخلص الجميع. «وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (2كورنثوس 5: 15).

والمسيح المحب الذي مدَّ يد محبته للمرأة المنحنية فاستقامت، يمد يده إليك الآن لتستقيم أمورك، وفوق الكل لتستقيم علاقتك به.

صلاة

أبانا السماوي، أنت مقوِّم المنحنين، فنأتي إليك لترفع عن كاهلنا كل ما يحنينا، لتعتدل ظهورنا، وتستقيم أمورنا.

ما أحوجنا إلى لمسة حنانك التي تمتد إلينا في وقت ضيقنا، فترتفع أنظارنا إلى شخصك الكريم. باسم المسيح. آمين

أسئلة

1- ماذا فعل المرض بالمرأة المنحنية؟ وماذا كانت مدته؟

2- من هو الذي يتمتع بإنسانيته بحق؟

3- كيف أعلنت المنحنية رغبتها في الشفاء؟

4- اذكر عيبين في رئيس مجمع بيرية.

5- اذكر أربعة أشياء أظهرت اهتمام المسيح بالمنحنية.

6- اذكر المنطق السليم في تفسير شريعة السبت.

7- اذكر ثلاث سيدات رفع المسيح من شأنهن، وكيف رفع الله شأن كل واحدة منهن.

المعجزة الخامسة والعشرون

شفاء بارتيماوس الأعمى

«46وَجَاءُوا إِلَى أَرِيحَا. وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٍ غَفِيرٍ كَانَ بَارْتِيمَاوُسُ الأَعْمَى ابْنُ تِيمَاوُسَ جَالِساً عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. 47فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ ابْتَدَأَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ: «يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي!» 48فَانْتَهَرَهُ كَثِيرُونَ لِيَسْكُتَ فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيراً: «يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي». 49فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى. فَنَادَوُا الأَعْمَى قَائِلِينَ لَهُ: «ثِقْ. قُمْ. هُوَذَا يُنَادِيكَ». 50فَطَرَحَ رِدَاءَهُ وَقَامَ وَجَاءَ إِلَى يَسُوعَ. 51فَسَأَلَهُ يَسُوعُ: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟» فَقَالَ لَهُ الأَعْمَى: «يَا سَيِّدِي أَنْ أُبْصِرَ». 52فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ». فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَ وَتَبِعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ» (مرقس 10: 46–52).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 20: 29–34).

هذه معجزة شفاء أعمى بقرب أريحا، والأعمى لا يستطيع أن يعتمد على نفسه في كسب رزقه لأنه فقد بصره، ولا يعرف طريقه، ولا وجوه الناس، ولا الطبيعة.

ولقد شفى المسيح عند أريحا ثلاثة عميان:

ذكر لوقا واحداً منهم، كان يقف بقرب أريحا (لوقا 18: 35)

وذكر متى منهم أعميين.

وذكر مرقس واحداً منهم هو بارتيماوس، الذي نتأمل الآن معجزة شفائه. وربما اقتصر على ذكره لأنه أكثر العميان الذين شفاهم المسيح أهميةً، وربما أصبح بعد شفائه قائداً مسيحياً معروفاً بالاسم عند الكنائس.

ولا تناقض في رواية الإنجيليين الثلاثة عن شفاء العميان عند أريحا. ولكن لو أن مرقس قال إن المسيح شفى أعمى واحداً عند أريحا، بينما قال متى إنه شفى أعميين، لكان هذا تناقضاً. والحقيقة هي أن كل واحد من البشيرين يكمل ما كتبه الآخرون، ولكنه لا يناقضهم.

وقف بارتيماوس بطلاً بالرغم من عماه، لأنه كافح ليصل إلى المسيح. فهو مؤمن به، لذلك كافأه المسيح بأن فتح عينيه ليرى ما لم يره كثيرون من أصحاب البصر، فرأى المسيح «ابْنَ دَاوُدَ» المخلِّص المُنتظَر.

أولاً: المحتاج والمعجزة

المحتاج هو بارتيماوس الأعمى الذي يستعطي. فلنتأمل ما فعل، وما حصل عليه:

1– صرخ:

كان بارتيماوس يفتقد نعمة البصر، ولكنه كان يملك حنجرة قوية تعوَّد استخدامها ليُلفت انتباه المارة ليمنحوه مساعدة مالية. وقد استخدم تلك الحنجرة التي عنده ليحصل على ما ليس عنده. «فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ ابْتَدَأَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ: «يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي!» (آية 47).

والله دوماً يعطينا ما يساعدنا لنحصل به على ما ليس عندنا. ويعلمنا بارتيماوس هذا الدرس، فقد استخدم ما عنده وما تدرَّب عليه ليصل إلى هدفه. وعلينا نحن أن نتصرف بالطاقات الكامنة فينا ونبرزها ليستخدمها الله لتكميل نقصنا.

2- آمن:

رأى بارتيماوس في المسيح «يَسُوعَ ابْنَ دَاوُدَ» المسيا المخلص المنتظر الآتي إلى العالم. فعندما سأل عن سبب الضوضاء التي يسمعها أجابوه أن «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ» خارج من أريحا. ولكن الأعمى عرف في «يَسُوعَ النَّاصِرِيّ» أكثر من صانع معجزات. لقد أدرك أنه «ابْنُ دَاوُدَ» أي المخلِّص، فطلب منه الرحمة. وهذا ما لم يره كثيرون من أهل أريحا.

ونحن نسمع كثيراً عن المسيح كنبي ومرسَل أو عبد الله أو الإنسان، وهذا صحيح لأن «الْكَلِمَة صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ» (يوحنا 1: 14). ولكن عندما ينير الروح القدس بصيرتنا نرى فيه إلى جوار إنسانيته أنه الإله، مخلِّص العالم وفادي البشر، ونرى أن مجده مجد وحيدٍ من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً، ومن ملئه يمكن أن ننال نعمة فوق نعمة، لأنه الله الذي ظهر في الجسد (1تيموثاوس 3: 16).

3- أصرَّ:

كان يصرخ: «يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي!» فانتهره كثيرون ليسكت، لكنه أصرَّ على طلبه وصرخ أكثر كثيراً. كان يمكن أن يسكت، فهذا الشحاذ تعوَّد أن كثيرين يرفضون طلبه، وهو لا يملك أن يُجبر أحداً على أن يعطيه. ولكنه في هذه المرة أصرَّ وألحّ في طلبه، وزاد صراخه رغم مقاومة الجمهور له. لم يهتم بمن هو حوله من البشر، بل وجَّه كلامه لمن يثق فيه: المسيح ابن داود.

فعلينا أن نقرع باب السماء ونُصرَّ أن نسمع صوته هو، لأن تعليماته واجبة الاتِّباع.

4- انتصر:

وعندما استجاب المسيح طلبه وناداه المحيطون وقادوه إلى المسيح، وجد أن رداءه سيمنعه من الحركة أو يعطله، فطرحه. لقد طرح شيئاً يحتاج إليه، ولم يكن يستطيع أن يعوّضه بسهولة، ولكن ما أن أدرك أن هذا الشيء يعطله طرحه وسار نحو المسيح. فمبارك ذلك الرجل الذي تغلَّب على ما يمكن أن يُعثره أو يُعيقه عن الوصول إلى رب المجد، مع أن هذا الذي يعطله كان رداءه الذي لا يستغني عنه.

وفي حياتنا الروحية تعطلنا أشياء عن الوصول إلى المسيح، يجب أن نطرحها، منها رداء البر الذاتي الذي يجعلنا نعتبر أن أعمالنا الصالحة تقرِّبنا إلى الله، كما قال الفريسي: «اَللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ.. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ» (لوقا 18: 11، 12). ولكن لنطلب رداء البر الذي يمنحه المسيح، مردِّدين: «اللهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ» (لوقا 18: 13) ثم «لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا» (عبرانيين 12: 1).

5- عرف ما يريده:

عندما سأله المسيح عن طلبه، كان يمكن أن يتردد: هل يطلب مالاً يستثمره ويعيش من دخله، لأنه كان فقيراً؟ ولكنه لم يفعل، لأنه كان قد حدد ما يريده، وسبق أن عرف ما يحتاجه: أن يُبصر. بالرغم من أن البصر سيضيّع منه حرفة الحياة. فعندما يبصر لن يقدر أن يستجدي.

6- نال بصر العين وبصيرة القلب:

أعطاه المسيح ما طلب وقال له: «اذْهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ» (آية 52). فمبارك بارتيماوس هذا لأنه لم ينل البصر فقط، بل نال فَتْحَ البصيرة أيضاً. ونال امتياز رؤية وجه المسيح، وخلاص نفسه.

7- تبع يسوع في الطريق:

وحالما انفتحت عينا بارتيماوس وبصيرته اتّخذ قراراً خطيراً للغاية، فقد قرر أن يكون تلميذاً دائماً للمسيح، وتبعه في الطريق.

وطريق المسيح هو الطريق الضيِّق، الذي إذا سار فيه إنسان يجب أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ليتبع المسيح (متى 7: 13 و10: 38) وهو طريق القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب (عبرانيين 12: 14).
ويرتفع طريق المسيح بنا أحياناً إلى جبل المجد والتجلي، فنراه في قوة قيامته، كما قد ينزل بنا أحياناً إلى وادي البكاء وظل الموت، فنراه في شركة آلامه (فيلبي 3: 10). ولكننا في الحالين نراه يسير أمامنا ويهدينا إلى سُبل البر من أجل اسمه (مزمور 23: 3).
وإذ تبع بارتيماوس المسيح، تبعه لأنه السيد، فهكذا ناداه: «يَا سَيِّدِي» (آية 5). لقد اعترف بارتيماوس بالمسيح سيداً يملك العطاء، ويملك أن يغير العطية بعطية أخرى أفضل. ولذلك وضع بارتيماوس نفسه تحت تصرف الحكيم الوحيد ربنا يسوع المسيح.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

المشاهدون هنا هم الجمهور المحيط بالمسيح، ويمكن أن نرى فيهم صورة لكنيسة اليوم.
فلنتأمل ما فعلوه:

1- انتهروه ليسكت:

لقد أشفقوا على جهد المسيح ووقته. فعندما كان في أريحا وعظ وأجرى معجزات، فاعتقدوا أنه ليس لديه وقت لبارتيماوس. لقد ظنوا أنهم يعبّرون عن حبهم للمسيح بمنعهم بارتيماوس من إزعاج المسيح. وهذا ما تفعله الكنيسة أحياناً، عندما تأخذ البركة من المسيح ولا تشارك الآخرين فيها. العالم من حولنا يفتش على المسيح، ونحن أحياناً نحتفظ به لأنفسنا، ونقف حجر عثرة في طريق من يحتاجون!

2- نادوه قائلين: «ثِقْ. قُمْ»

جاء المسيح من أجل الجميع، وبالأخص لأجل المحتاجين. لذلك أوقف المسيح الجمع وأمر أن ينادوا بارتيماوس. فأدرك بعض المحيطين بالمسيح إرادته الصالحة.وبعد أن كانوا ينتهرون الأعمى ليسكت، غيَّروا أوامرهم إليه طاعة لأمر المسيح، وقالوا لبارتيماوس: «ثِقْ. قُمْ. هُوَذَا يُنَادِيكَ».
يقدم المحيطون بالمسيح درساً عظيماً لنا. كانوا مستعدين أن يغيِّروا فكرهم ليتناسق مع فكر المسيح. بمجرد أن أدركوا الفكر الإلهي.
قال داود الملك لناثان النبي إنه يريد أن يبني بيتاً للرب، وجاوب ناثان بتفكيره المنطقي على ما عرضه داود وشجع داود، دون أن يستشير الرب. وهنا أمر الرب ناثان أن يُبلغ داود أن لا يبني البيت، لأن ابنه هو الذي سيبنيه. وكان ناثان عظيماً عندما ذهب يعتذر لداود عن إجابته الأولى، ليقدم إجابته الثانية التي من عند الرب (2صموئيل 7) فصاحب الرسالة الأمين هو الذي يُغيِّر فكره ليتوافق مع فكر المسيح، وهو الذي يأخذ من المسيح ليقدم للناس.

3- قادوه:

والبعض قادوه وسط الناس ليوصِّلوه للمسيح، فلأنه أعمى كان لا بد أن يتخبَّط وسطهم لو أنه حاول أن يصل بنفسه إلى المسيح. وقد عبَّر الذين قادوه للمسيح عن محبتهم له، وعن محبتهم للمسيح.
يتوقّع المسيح منا أن نميز صوته ونتكلم بكلمته، فنمسك بإنسان متعثِّر لنوصله إلى حيث يلتقي بالمسيح. فالناس لا يفتشون عن خدام المسيح، ولكنهم يفتشون عن المسيح من خلال خدّامه. وليعلمنا الله ككنيسة أن نعرف حجمنا، فنحن مجرد خدام حاملين للكلمة التي صاحبها هو المسيح.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح المشهور:

«لَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ» (مرقس 10: 47) فشخصية المسيح جذابة للغاية، وكل من يسمع عنه يحب أن يتعرَّف عليه ويدرس كلامه. إنه فريد لا نظير له، كامل في كل شيء. وكلما اختبرناه في قلوبنا كمخلّص لنا، تحدثنا عنه، كما يقول المرنم: «فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ» (مزمور 45: 1).

2- المسيح ابن داود صانع الرحمة:

«يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي» (آية 47) وما أعظم مراحمه! لم تكن هناك معجزة واحدة قام بها المسيح لخدمة نفسه. كل معجزاته محبة وعطف وحنان لنفس محتاجة. «شَفَى كَثِيرِينَ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ لِيَلْمِسَهُ كُلُّ مَنْ فِيهِ دَاءٌ. وَالأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ حِينَمَا نَظَرَتْهُ خَرَّتْ لَهُ وَصَرَخَتْ قَائِلَةً: «إِنَّكَ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ!» (مرقس 3: 10، 11).

3- المسيح المختلف عن سواه:

صرخ الجمهور في الأعمى وانتهروه ليسكت، لكن المسيح تصرَّف تصرُّفاً مختلفاً. لقد «وَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى» (آية 49). في كل شيء كان المسيح مختلفاً عن المحيطين به، والقداسة معناها الاختلاف. فكر المسيح يختلف عن فكر الآخرين، فالبشر إمكانياتهم وطاقاتهم محدودة. يتعبون، ولا يقدرون أن يهتموا باحتياجات كل من حولهم. لكن المسيح غير المحدود يفتح بابه واسعاً، ومن يُقبل إليه لا يخرجه خارجاً (يوحنا 6: 37).

4- المسيح لا يُجبر أحداً:

سأل المسيح بارتيماوس: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟» (آية 15). سأله عن طلبه مع أنه يعرف احتياجه من قبل أن يسأله! وما زال يسألنا السؤال نفسه ليؤكد حرية اختيارنا، وأنه لا يُجبرنا.

إنه يقول: «إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ» (رؤيا 3: 20). «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي» (لوقا 9: 23). لم يكن أبداً ضيفاً ثقيلاً على أحد، فهو القادر الرقيق الذي يحترم حرية الإنسان. إنه يجذبنا إليه بحبال البشر، برُبُط المحبة (هوشع 11: 4) فنحبه لأنه هو أحبنا أولاً (1يوحنا 4: 19).

5- المسيح مانح الخلاص الذي يستحق الاتِّباع:

«فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ. فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَ وَتَبِعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ» (آية 52). منحه المسيح شفاء جسده ونفسه وتركه ليذهب، ولكنه قرر أن يتبع المسيح. هناك شيء جذاب في المسيح يجعلنا نحبه ونحترمه ونريد أن نتمثَّل به، فكلما تأملناه وددنا أن نكون على صورته، فليس فيه خطأ نعتذر عنه أو عيب ندافع عنه أو نخفيه عن الناس، أو نحاول أن نجد له عذراً! وكلما أظهرنا روعته للناس تمتعوا برؤية الله، فقد قال المسيح: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يوحنا 14: 9).

«تَبِعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ». فاتِّباع المسيح ليس اتباع فكرٍ مجرد، ولا فلسفة ولا عقيدة، لكنه اتباع شخص حي، وهو أسلوب حياة. ولذلك سُميت المسيحية الأولى «الطريق» (أعمال 9: 2).

هل عرفت المسيح المخلِّص؟ هل انفتحت عيناك على عظمة محبته؟.. هيا اتبعه كل طريق حياتك.

صلاة

أبانا السماوي، يا من تكرمنا عندما يهيننا الناس، وتعتني بنا عندما يهملنا الناس، وتقف إلى جوارنا عندما يهجرنا الناس، وتسمع استغاثتنا عندما يُسكتنا الناس – أنت الملجأ، وبك الملاذ!

نتبعك لأن حبك يأسر قلوبنا، فنسير وراءك في طريق الصليب، الذي يؤدي إلى القيامة والصعود. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- كم أعمى شفاهم المسيح عند أريحا؟ ولماذا اقتصر مرقس على ذكر بارتيماوس؟
2- كيف استخدم بارتيماوس ما عنده ليصل إلى المسيح؟
3- كيف ترى في إصرار بارتيماوس على الشفاء ضرراً لحالته المادية؟
4- ما هي بعض الأشياء التي يجب أن نطرحها لأنها تعطل شفاءنا الروحي؟
5- ما هو القرار الخطير الذي اتَّخذه بارتيماوس بعد شفائه؟ وماذا نتعلم منه؟
6- كيف يمثل المشاهدون لمعجزة شفاء بارتيماوس كنيستنا اليوم؟
7- «المسيح مختلف عمّن سواه» - اشرح هذه الفكرة.

المعجزة السادسة والعشرون

لعْن شجرة التين

«11فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى خَرَجَ إِلَى
بَيْتِ عَنْيَا مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. 12وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ 13فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا
وَرَقٌ وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئاً. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ. 14فَقَالَ يَسُوعُ لَهَا:
«لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَراً بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ». وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُونَ.

15وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي
الْهَيْكَلِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ. 16وَلَمْ يَدَعْ أَحَداً يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. 17وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً
لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً: بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ». 18وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ
وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ لأَنَّهُمْ خَافُوهُ إِذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. 19وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ خَرَجَ
إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ.

20وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوُا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَتْ مِنَ الأُصُولِ 21فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا
سَيِّدِي انْظُرْ اَلتِّينَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ!» 22فَأَجَابَ يَسُوعُ: «لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ. 23لأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ
مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ.
24لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ. 25وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاغْفِرُوا
إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلاَّتِكُمْ. 26وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لاَ
يَغْفِرْ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَيْضاً زَلاَّتِكُمْ» (مرقس 11: 11–26).

«6وَقَالَ هَذَا الْمَثَلَ: «كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَراً وَلَمْ يَجِدْ.
7فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَراً فِي هَذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اِقْطَعْهَا. لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضاً؟
8فَأَجَابَ: يَا سَيِّدُ اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضاً حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. 9فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَراً وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ
تَقْطَعُهَا» (لوقا 13: 6–9).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 21: 18–22)

تبدو هذه المعجزة غريبة علينا، فقد تعودنا أن نرى المسيح يشفي المريض، ويقيم الميت، ويعطي بركة لكل من يطلب. أما في هذه المعجزة فنرى المسيح يلعن شجرة تين غير مثمرة.

ويمكن أن نتعلم كثيراً من هذه المعجزة لحياتنا الروحية بالنسبة لانتظارات الرب منا، فلا نعتمد على محبته اعتماداً يدفعنا لنستسلم إلى اللامبالاة في سلوكنا الإيماني. صحيح أنه إله المحبة والغفران، لكنه أيضاً القاضي والديَّان العادل!

أعطى الله هذه التينة كل إمكانيات الإثمار، وتجاوبت الشجرة فقدمت الورق الأخضر، وهذا يجعل الناظر إليها يتوقع أن يجد فيها ثمراً، فجاءها المسيح ينتظر منها أن تعطيه ما زُرعت من أجله، ولكنه لم يجد فيها إلا ورقاً فقط، فأصدر حكم الدينونة عليها: «لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَراً بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ» (آية 14) فيبست التينة في الحال.

جرت هذه المعجزة في يوم الاثنين من أسبوع الآلام. ونذكر أن يوم الأحد الذي سبقه كان يوم دخول المسيح الانتصاري إلى أورشليم عندما طهر الهيكل من الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه. لقد كان الهيكل جميلاً في منظره ومبانيه، وعامراً بالعابدين المقبلين على تقديم ذبائحهم وعشورهم للرب. لكن بالرغم من هذا المنظر الخارجي الظاهري، لم تكن فيه عبادة بالروح والحق. فكان المسيح عنيفاً مع الباعة، طردهم وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم: ««مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!» (متى 21: 13).

وفي اليوم التالي (أي يوم الاثنين) مَرَّ المسيح بتلك الشجرة المورقة، التي تشبه الهيكل العامر بالعبادة ولكن بلا روح. فقد كانت عامرة بالخضرة خالية من الثمر! وكما أعلن المسيح الدينونة على الهيكل وقال إنه لا يُترك فيه حجر على حجر لا يُنقض، وتمَّ قوله بالفعل، هكذا حدث مع التينة التي أدانها، فيبست في الحال.

وكان الأتقياء اليهود يجلسون تحت أشجار التين يتعبدون ويتأملون كلمات الله ومراحمه. هكذا جلس نثنائيل يتأمل تحت شجرة التين، فقال المسيح له: «قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلُبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التِّينَةِ رَأَيْتُكَ» (يوحنا 1: 48) فكان منظر شجرة التين يوحي بالتقوى والتعبُّد. ولكن التينة التي لعنها المسيح أظهرت عكس هذا المعنى!

كما أن التينة ترمز للسلام والوفرة، فكانوا يصفون حال بني إسرائيل في أزمنة النجاح والسلام بالقول «سَكَنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلُ آمِنِينَ كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ» (1ملوك 4: 25) ولكن تلك التينة أظهرت السلام الفارغ من السلام، والأمان الخالي من الأمان!

وترمز التينة أيضاً للأمة الإسرائيلية. وكان الرب ينتظر من تينته أن تكون مثمرة لسائر الشعوب، لكن الأمة الإسرائيلية اكتفت بمظهر العبادة دون روح العبادة، فقال الإنجيل عنها: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ» (يوحنا 1: 11) فتركهم واتجه إلى الأمم التي تصنع أثماره. ورسمت شجرة التين الملعونة حالة الأمة الإسرائيلية، التي خيبت انتظار الرب منها!

أولاً: المحتاجون والمعجزة

المحتاجون هنا هم التلاميذ مشاهدو المعجزة. لقد رأوا لعن شجرة التين غير المثمرة، وكيف يبست، فتعلموا عدة دروس لفائدتهم الروحية. وفي لعن شجرة التين نتأمل أربعة دروس نحتاجها اليوم، ربما أكثر مما احتاجها التلاميذ!

1- عدم الفائدة يجلب الخراب:

بالرغم من أن التينة كانت مورقة، ومع أنها كانت تحتل مكاناً من الأرض، وتتغذى على عصارة التربة، لكنها لم تُعطِ ما يُنتظر منها: أن تصنع ثمراً. فكان عدم فائدتها سبباً في يبسها.

أوجدنا الله في الأرض لنأتي بثمر: «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أفسس 2: 10). لقد كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا فأحيانا المسيح وأقامنا من موت خطيتنا، وأجلسنا معه في السماويات لنثمر أعمالاً صالحة. ويجيء المسيح إلينا ليفتش عن ثمرنا، وعن النور الذي فينا: هل هو نور حقيقي أو ظلام؟ ويسألنا عن الفائدة التي ترجع منا على ملكوته وعلى العالم. لذلك يجب أن نبرر وجودنا، بأن نكون نافعين للمحيطين بنا.

2- النفاق يجلب الدينونة:

أعطت الشجرة صورة الثمر التي تمثلت في الورق، ولكنها لم تحمل ثمراً، فلم تكن لديها قوة الثمر! وبهذا أصبحت رمزاً للرياء والنفاق. كان يمكن أن يكون الزعيم الهندي غاندي مسيحياً، فقد كان في مطلع حياته في جنوب أفريقيا يصلي في كنيسة. وعندما درس في إنجلترا كان يذهب إلى الكنيسة بانتظام. ولكن ماذا وجد في الكنائس التي صلى فيها؟ كانت الكنيسة التي حضرها في جنوب أفريقيا أشبه بنادٍ يجتمع فيها الناس للاستمتاع بأنفسهم وبأصدقائهم، بغير رسالة خلاص وبغير اهتمام بالآخرين!! وفي إنجلترا جلس في الكنيسة يوماً فجاءه المشرف على النظام قائلاً: «ليس هذا المكان مخصصاً لك» وقاده لمكان آخر خاص بالملوَّنين! فقال غاندي: «لولا المسيحيين لصرت مسيحياً». ولو صار غاندي مسيحياً لكان ذا تأثير على الهند كلها، ولكنه احتكَّ بمسيحيين يشبهون التينة غير المثمرة.

قال المسيح: «كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ.. اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ.. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجاً كَالْغُصْنِ فَيَجِفُّ، وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ» (يوحنا 15: 2-6).

تحدث الرسول يهوذا عن «غُيُومٍ بِلاَ مَاءٍ» (يهوذا 12) فما فائدة الغيمة إن لم تمطر لتُخرج الأرض ثمراً؟ إنها تكون منافقة، تعطي الأمل في هطول المطر، ولا مطر! مثل المسؤول عن كنيسة ساردس الذي قال المسيح له: «أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّ لَكَ اسْماً أَنَّكَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيِّتٌ» (رؤيا 3: 1) له اسم وصورة، لكنه في حقيقة الأمر خالٍ من الحياة، مثل تلك التينة صاحبة المظهر بلا جوهر.

3- محاولة ستر الذات تجلب الهلاك:

لما أخطأ أبوانا الأولان في جنة عدن وأكلا من الشجرة المنهي عنها، انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لهما مآزر (تكوين 3: 7). ولكن كان من المستحيل أن تلك الأوراق المعرضة للجفاف تسترهما. وفتح الله أعينهما إلى أنهما محتاجان إلى لباس التقوى وثوب الخلاص «وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا» (تكوين 3: 21) ولئلا يظن أبوانا الأولان أن الستر في أقمصة الجلد (أي من ذبيحة كفارية حيوانية) جاء الوعد القائل إن نسل المرأة يسحق رأس الحية (تكوين 3: 15) فيكون «نسل المرأة» هو المكفر والساتر، فلا يكون هناك احتياج لذبيحة متكررة. فالمسيح بذبيحة نفسه أوجد لنا فداءً أبدياً، مرة واحدة، لما مات البار من أجل الأثمة. فنرى في محاولتهما ستر نفسيهما بورق التين محاولة بشرية فاشلة تماماً.

وحين لعن المسيح التينة غير المثمرة أراد أن يقول لكلٍ منا: لا يستطيع أحد أن يتبرر بمجهود نفسه أو بأعماله، لكن بذبيحة المسيح الذي قال على الصليب «قَدْ أُكْمِلَ». كل محاولة الإنسان لستر نفسه تفشل، لأنها من مجهود الخاطئ الفاشل. والمخلص الوحيد هو المسيح الذي لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا (أفسس 1: 7).

4- الصلاة الفعالة:

يقول البشير متى: «فَلَمَّا رَأَى التَّلاَمِيذُ ذَلِكَ تَعَجَّبُوا قَائِلِينَ: كَيْفَ يَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ؟». 21فَأَجَابَ يَسُوعُ: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ وَلاَ تَشُكُّونَ فَلاَ تَفْعَلُونَ أَمْرَ التِّينَةِ فَقَطْ، بَلْ إِنْ قُلْتُمْ أَيْضاً لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ فَيَكُونُ. 22وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ» (متى 21: 20-22). ولهذه الكلمات مكانة خاصة في تاريخ المسيحيين المصريين، ففي عهد الدولة الفاطمية أخبر يهودي الخليفة العزيز بالله الفاطمي عن هذه الآية، فاستدعى العزيز بالله البطريرك الأرثوذكسي وطلب منه أن يُثبت صحة إنجيله

بأن ينقل جبل المقطم.. وبعد صوم وصلاة ارتفع الجبل، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في حياة رجال الدولة الفاطمية.

فليكن لنا بنعمة المسيح حياة الصلاة العميقة المستجابة، التي لا تتوقف، فقد وعد المسيح تلاميذه وعداً عظيماً: «وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالاِبْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ» (يوحنا 14: 13، 14) فالصلاة الفعالة تزيل جبال المعطلات، وتساعدنا لنعمل عمل الله وتجعلنا نقبل نعمته فنتغير، وتمنحنا قوة لنحتمل كل الصعاب مهما كانت.

ثانياً: المسيح والمعجزة

1- وُجهت إلى المسيح ثلاثة انتقادات بسبب لعن التينة:

(أ) كيف لم يعرف المسيح قبل وصوله للتينة أنها غير مثمرة؟

وللرد نقول: لم يذكر البشيرون أبداً إن المسيح لم يعرف عدم إثمار التينة قبل أن يصل إليها. فقد عرف أنها كذلك، ولكنه أراد أن يعلّم التلاميذ دروساً. سأل الله آدم: أين أنت؟ لا لأنه يجهل مكانه، ولكن لينبهه للخطأ الذي ارتكبه. كان يعرف أنه سيخطئ قبل أن يخلقه (ولو أن هذه المعرفة لم تجعل آدم يخطئ) وبذلك العلم السابق دبَّر الله فداء المسيح، المعروف سابقاً قبل تأسيس العالم (1بطرس 1: 20).

(ب) والانتقاد الثاني: كيف انتظر المسيح من شجرة التين تيناً، مع أنه لم يكن وقت التين؟ (مرقس 11: 13).

والإجابة: إن ذلك كان وقت «باكورة التين» وهي ثمار أصغر حجماً من الثمرة الناضجة، ولكنها كثيرة الحلاوة. ووجود ورق في التينة قبل موعد الإثمار يعني أن الشجرة تحمل باكورة التين. وهذا ما طلبه المسيح منها.

(ج) لماذا لعن المسيح التينة ولم يعطها فرصة لتثمر؟

والإجابة نجدها في المثل الذي رواه المسيح قبل لعن التينة. قال: «كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَراً وَلَمْ يَجِدْ، فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَراً فِي هَذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اِقْطَعْهَا. لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضاً؟ فَأَجَابَ: يَا سَيِّدُ اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضاً حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَراً.. وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا» (لوقا 13: 6-9).

ونحن لا ندرك ظروف تلك الشجرة التي لُعنت. لا بد أن المسيح عرف أنها نالت نصيبها من طول الأناة ولكنها لم تعط الثمر المنتظر، ولذلك أصدر حُكمه باللعن. ونحن نعلم أن الشجرة لا تشعر بالألم عندما تيبس. كما أن هذه التينة لم تكن مملوكة لأحدٍ فيُضار صاحبها في حالة يَبَسها، لأنها كانت في الطريق. فالمسيح بهذه المعجزة لم يؤذِ أحداً، ولكنه ألقى علينا درساً عظيماً في إدانة النفاق.

2- لنا ثلاث ملاحظات عن المسيح:

(أ) قوة المسيح: هذه القوة أذهلت التلاميذ كما تذهلنا، حتى لو كنا نرى قوة المسيح عاملة بيننا باستمرار. أحياناً نتعوَّد على معجزات المسيح معنا، ولكننا نحتاج أن نتعلم الانبهار كلما رأينا قوة الله تعمل بيننا.

(ب) عدالة المسيح: استحقت التينة غير المثمرة اللعنة. هذا عدل المسيح. لقد أعطاها فرصتها، ولكنها لم تثمر ولم تعطِ باكورة الثمر، فاستحقت عقاب العدالة السماوية من الله الذي هو أمين وعادل.

(ج) أناة المسيح: الذي لا يشاء أن يهلك أحد، ويريدنا أن نتوب. فلا يجب أن «تَسْتَهِين بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَباً فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ، الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ» (رومية 2: 4-6).

دعونا نطلب من الله أن يجعلنا مثمرين، وأن تكون أناته علينا سبباً في دفعنا لنثمر، وليزيد ثمرنا.

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك لأنك زوَّدتنا بكل ما يمكن أن يجعلنا مثمرين. سامحنا على ضعفنا الذي يفشل في تحقيق انتظارك منا. ضع يدك الكريمة على ما يعطل إزهارنا فإثمارنا، وأعطنا القوة لننزعه، فنثمر، ويزيد ثمرنا ويستمر. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- ما هو الدرس المشترك في تطهير المسيح للهيكل، وفي لعنة شجرة التين؟

2- ما هو وجه الشبه بين شجرة التين الملعونة والأمة الإسرائيلية؟

3- اشرح كيف أن عدم الفائدة يجلب الخراب.

4- اشرح كيف أن النفاق يجلب الدينونة.

5- ثلاثة انتقادات وُجهت للمسيح. اذكرها وقدِّم الردود عليها.

المعجزة السابعة والعشرون

شفاء أذن ملخس

47وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمْعٌ وَالَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا - أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ - يَتَقَدَّمُهُمْ فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ. 48فَقَالَ لَهُ
يَسُوعُ: «يَا يَهُوذَا أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟» 49فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ قَالُوا: «يَا رَبُّ أَنَضْرِبُ
بِالسَّيْفِ؟» 50وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. 51فَقَالَ يَسُوعُ: «دَعُوا إِلَى هَذَا!»
وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا» (لوقا 22: 47-51).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 26: 51-54 ومرقس 14: 47 ويوحنا 18: 10، 11).

هذه معجزة فريدة للغاية، عامرة بالمعاني والدروس العميقة، ولكنها تبدو باهتة لأنها محاطة بأحداث أهم، هي أحداث القبض على المسيح، وأخذه للمحاكمة. وهي الوحيدة التي شفى فيها المسيح شخصاً أُصيب بجرح بفعل فاعل، كما أنها آخر معجزة شفاء أجراها المسيح عندما كان على أرضنا بالجسد.

رافق ملخس جنود الهيكل الذين توجَّهوا للقبض على المسيح بقيادة يهوذا الإسخريوطي. وحاول بطرس الدفاع عن المسيح، فضرب بسيفه ملخس فقطع أذنه، فاعترض المسيح على ما فعله بطرس وشفى أذن ملخس. فالمسيح المقبوض عليه، هو صانع المعجزات، وهو معلّم المحبة. وتبرهن لنا هذه المعجزة محبة المسيح لأعدائه وصلاحه الكامل من نحوهم. وتُظهر لنا في الوقت نفسه قدرته العظيمة ولاهوته.

والذي يطالع هذه المعجزة يذكر صلاة المسيح على الصليب لأجل صالبيه: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا 23: 34). ومَن غيرُ المسيح يقدر أن يرفع مثل هذه الطلبة في مثل هذا الوقت؟! إنه معلّم المحبة، الذي مارسها دائماً.

سجَّل البشيرون الأربعة قصة هذه المعجزة، وانفرد القديس لوقا الطبيب الذي كان يحب أن يُظهر اهتمام المسيح ومحبته للناس، بذكر أن المسيح شفى الأذن المقطوعة، وباقتباسه قول المسيح: «دَعُوا إِلَى هَذَا!» (لوقا 22: 51). ولا ندري لمن وجَّه المسيح قوله: «دَعُوا إِلَى هَذَا!». هل للتلاميذ أو للذين جاءوا للقبض عليه؟ فإن كان قاله للتلاميذ فهو يقصد به: «قفوا عند هذا الحد، ولا تضربوا. اصبروا ولا تقاوموا الشر». وإن كان قاله للجنود فهو يقصد به: «لا تعاقبوا التلاميذ كلهم على ما فعله واحد منهم، واعفوا عنهم، واتركوا لي حرية تحريك يديَّ المقيدتين لأشفي أذن ملخس الجريح».

وانفرد القديس يوحنا بذكر أن اسم التلميذ الذي ضرب أذن ملخس هو بطرس، كما انفرد بذكر اسم الرجل الذي قُطعت أذنه اليمنى. ويرجع السبب في ذلك أن القديس يوحنا كان آخر من دوَّن سيرة المسيح، وكان بطرس وقتها قد مات، فلم يكن هناك خطر على بطرس من ذكر اسمه. كما كان يوحنا مقرَّباً من الدوائر العليا، وكان معروفاً عند رئيس الكهنة (يوحنا 18: 15) فعرف اسم عبد رئيس الكهنة ودوَّنه لنا. ويوحنا شاهد عيان يعرف المسيح، ويعرف الضارب، ويعرف المضروب، يؤكد لنا أن ما رآه حق وصدق، لنؤمن نحن بالمسيح المحب الغافر صانع المعجزات.

وسجل البشيرون الأربعة تعليقات مختلفة قالها المسيح بعد المعجزة. يبدو أنه تحدث طويلاً مع تلاميذه ومع الذين قبضوا عليه تعليقاً على ما فعله بطرس، فسجل كلٌ من البشيرين بعض ما قاله المسيح، وسجل البشير متى أكثر مما سجله غيره.

وبشفاء أذن ملخس، أنهى المسيح مأساة هذا العبد، وصحح خطأ بطرس، كما منع أذى تأثير هذه الحادثة عن التلاميذ، فلم يُقبض عليهم معه، فقد جعل الأنظار تتجه إليه وحده، لينجوا هم، متحملاً المسؤولية الكاملة لهذا الخطأ، فأخذه الذين قبضوا عليه إلى الصليب. ولا نملك إلا أن نحني رؤوسنا أمام المسيح العظيم.

أولاً: المحتاج والمعجزة

يبدو لأول وهلة أن المحتاج هو ملخس، فقد قُطعت أذنه اليمنى. لكن المحتاج الأول كان بطرس، وكما أننا نحن أيضاً محتاجون للمعجزة. ففي حماس بطرس استخدم العنف رداً على العنف. ونحن نفعل الشيء نفسه، ولو أن ما نفعله لا يعقبه دائماً الإصلاح الذي أصلح به المسيح خطأ بطرس، عندما شفى أذن العبد! فما أكثر ما نخطئ وندمر، لأننا نبتعد عن فكر المسيح المحب الغفور.

فلنتأمل ملخس المحتاج، ولنتأمل بطرس المحتاج أيضاً للمعجزة!

1- ملخس:

معنى اسمه «ملك» ولكن تصرُّفه كان تصرف عبد للخطية. لم يكن حراً يقرر لنفسه، بل خضع لأمر سيده رئيس الكهنة، فهو عبده. وهو يختلف عن الذين جاءوا للقبض على المسيح، فقد كانوا جنوداً يتقاضون أجورهم كضباط شرطة، أما هو فقد جاء متطوعاً. أغلب الظن أنه سمع الكثير عن المسيح من سيده، فرآه وحكم عليه من وُجهة نظر رئيس الكهنة، وقرر في نفسه أن المسيح يعرِّض الدولة كلها للخطر، فالشعب يريد أن ينصِّبه ملكاً، ولو حدث هذا سيعتبره الرومان انقلاباً ضدهم، فيهاجمون البلاد ويدمرونها، ولذلك قال رئيس الكهنة: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا» (يوحنا 11: 50). فليمُت المسيح إذاً! ولما اقتنع ملخس بهذا رافق الجنود ليلقي القبض على المسيح، بهدف خدمة كل الأمة. وما أن رأى بطرس المهاجمين قادمين حتى استل سيفه وضرب ملخس فقطع أذنه!

ولم يذكر أحدٌ من البشيرين الأربعة أن ملخس بعد نواله الشفاء تراجع عن المهمة التي جاء ليحققها. وهذا يُظهر جحود ملخس وإنكاره لجميل المسيح الذي شفاه، ولم يردّه شكراً ولا اعترافاً ولا توبةً. لقد اشترك مع إبليس في الشكوى، وفي الاستمرار في عدم التجاوب مع الحب. وما أكثر الذين يأخذون، وما أقل الذين يعترفون بالفضل ويشكرون.

2- بطرس:

(أ) كان التلاميذ ممزَّقين بين عاملين: أن يدافعوا عن المسيح بالسيف؛ وأن يبتعدوا عن العنف كما علَّمهم هو. لقد سبق أن قال للتلاميذ: «مَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفاً» (لوقا 22: 36). ولكنهم لم يدركوا المعنى الروحي لكلامه، فأجابوا: «يَا رَبُّ، هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي!». ليس بمعنى أنه يكفي سيفان، بل «يَكْفِي» كلاماً في هذا الموضوع الذي لم يفهموه. أو بمعنى أن ما قاله «يَكْفِي» لأن يدركوا منه المعنى الروحي الذي قصده، ولكن في وقت لاحق.

ويبدو أن أحد السيفين كان مع بطرس. وعندما جاء الجمع لإلقاء القبض على المسيح في البستان، سأله التلاميذ: «يَا رَبُّ، أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ؟» (لوقا 22: 49). ولم ينتظر بطرس الرد، لأنه كان مندفعاً كعادته، فلم

يصبر بل استل سيفه بغير اتزان وقطع أذن ملخس. لقد كانت دوافع بطرس ليفعل ما فعله دوافع كريمة، لكن عمله كان خاطئاً بغير شك.

وكثيراً ما نتصرف نحن تحت ضغط الإلحاح فلا ننتظر حتى نسمع صوت الرب، فنخطئ. لذا يجب أن يكون قلبنا دائماً صابراً أمام الرب منتظراً تعليماته، لنسأله سؤال شاول: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» (أعمال 9: 6).

وكان تعليق المسيح على ما عمله بطرس: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!» (متى 26: 52). ولهذه الكلمة العظيمة معنيان:

* لا تعاقبهم أنت بل اتركهم للسماء. لقد حملوا السيف وسيهلكون به. وهذا ما جرى مع كل الذين قَتلوا بالسيف، لأنهم رجال حرب أكثر منهم رجال فكر.

* ليس المسيح محتاجاً إلى معونة البشر للدفاع عنه، فعنده أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة يمكن أن يقوموا بذلك. ولا بد من تحقيق العدالة الإلهية، التي تقول: «لِيَ النَّقْمَةُ. أَنَا أُجَازِي» (رومية 12: 19).

وبالفعل لم تمضِ أربعون سنة حتى كان أولئك الذين قبضوا على المسيح معلَّقين على صلبان في مدينة أورشليم، يوم لم يُترك فيها حجر على حجر لم يُنقض، تحقيقاً لنبوة المسيح (مرقس 13: 2).

(ب) كان بطرس يريد قتل ملخس، لكن العناية الإلهية أنقذته من أن يقتل إنساناً. فأكرم المسيح بطرس بشفاء ملخس، كما أكرم باقي التلاميذ. فلو مات ملخس لأُلقي القبض على بطرس وعلى سائر التلاميذ، ولكن الرب حفظهم من الخطر.

وأكرم المسيح ملخس، فلو أن بطرس قتل ملخس لمات دون أن ينال فرصة ولو أخيرة قدمها المسيح له ليتوب. فالمسيح وهو يلمس أذنه ليبرئها كان يقدم له فرصة جديدة للتوبة والإيمان.

(ج) نسي بطرس كلام المسيح عن الصليب والآلام، وحتمية إلقاء القبض عليه ليُصلب. وردَّه المسيح إلى صوابه بأن قال له: «وَأَمَّا هَذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ» (متى 26: 56). لقد رفض بطرس فكرة صلب المسيح من قبل، وحذَّره المسيح من أنه يناصر الشيطان، مع أنه كان يعبر عن الحب للمسيح (مرقس 8: 31–33) فقد جاء المسيح ليبذل نفسه عن الخطاة ليخلِّصهم (مرقس 10: 45 ولوقا 19: 10). كانت لبطرس غيرة شديدة على المسيح، لكنها لم تكن حسب المعرفة.

(د) استخدم بطرس العنف، مع أن استخدام العنف ليس علاجاً، فهو بلا نتيجة ولا فائدة ولا ضرورة، وغير منطقي، فللمسيح كل السلطان في السماء وعلى الأرض، وبسلطانه وحده نستطيع أن نخلِّص الناس ونحمي الملكوت. فلنتعلم كيف نسلم أنفسنا لفكر المسيح، فنستخدم الطريقة التي يرضاها، فإن الذين يحترمون سيدهم يجب أن يتأملوا فكره وروحه، فيتصرفون بحسب ذلك الفكر والروح.

ثانياً: المسيح والمعجزة

1- المسيح القوي:

يبدو موقف المسيح كأنه ضعيف، بعد أن قاد أحدُ تلاميذه الأعداء للقبض عليه. لكن ضعف المسيح الظاهر لا يمكن أن يخفي قوته الداخلية الكاملة، التي قدَّمت الشفاء للأذن المقطوعة، ولو أنها كانت قوة محتجبة وراء حجاب جسده، الذي كان ساتراً لتلك القوة (عبرانيين 10: 20).

2- المسيح يغفر:

لمس المسيح أذن قائد أراد إلقاء القبض عليه لقتله! كم كانت قلوبهم قاسية، وكم كان قلبه رقيقاً! نسي المسيح آلامه ونسي موقفهم الناكر للجميل، وفكر في ملخس المسكين والدماء تسيل منه! فكر فيه كخاطئ محتاج للتوبة والشفاء، فلمس أذنه وقلبه، لعله يتوب!

تعامل ملخس مع المسيح بالعنف والشدّ والجذب، أما المسيح فعامله باللمسة الرقيقة الشافية. ولا زال المسيح إلى يومنا هذا يتعامل مع معانديه بذات الطريق، يلمسهم بلمسة الحب ليرجعوا إليه ويُلقوا خطاياهم عليه ليخلِّصهم ويريحهم، ويفيض عليهم من نِعمه، بغير استحقاق فيهم.

3- المسيح يعلِّم:

علَّمنا المسيح أن الذي يستخدم السيف يموت به. هذا قوله هنا: «الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!» (متى 26: 52). وهذه كلمات الله في التوراة: «سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ» (تكوين 9: 6). وهذا ما يعلنه آخر أسفار الكتاب المقدس: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَقْتُلُ بِالسَّيْفِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْتَلَ بِالسَّيْفِ» (رؤيا 13: 10) والسيف أضعف أنباءً من الكتب، وأضعف تأثيراً من قوة الروح القدس، الذي عمل على نشر الإنجيل بقوة إقناعه، وبعمله في القلوب. الروح يقنع بصدق كلمة حق الإنجيل، ويفتح قلوبنا للمسيح، الذي قال: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يوحنا 12: 32).

4- ضرورة الصليب لتحقيق النبوات:

أعلن المسيح أنه كان يمكن أن يتحاشى الصليب بأن يطلب من الآب السماوي فيقدم له أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. ولكن هذا لا يحقق النبوات التي يجب أن تتحقق. وتساءل المسيح: «فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟» (متى 26: 54). وقال الرسول بولس في أقدم إقرار إيمان: «فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (1كورنثوس 15: 3، 4).

لم يأخذ أحدٌ حياة المسيح منه، لكنه هو الذي بذلها، باعتبار أنه الفادي، وراعي شعبه (يوحنا 10: 11).

وتقدم لنا معجزة شفاء أذن ملخس دروساً عديدة:

(أ) كان المقبوض عليه هو المسيح نفسه بدليل أنه في محبة كاملة وقوة عظيمة شفى أذن ملخس. ولا يستطيع شخص آخر غيره أن يشفي أذن ملخس، ويتصرف بكل هذا الحب والغفران.

(ب) قد نقاوم الرب بأعمالنا وسلوكنا، لكنه يحبنا ويريد خلاصنا ويلمسنا.

(ج) يجب أن نعبِّر عن محبتنا للمسيح بطريقته هو، وبحسب فكره هو. فليكن فينا فكر المسيح.

(د) في الصليب نجاتنا وخلاصنا كلنا. فليكن شعرنا قول بولس: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غلاطية 6: 14).

صلاة

أبانا السماوي، محبتك لمن جاء يقاوم تلك المحبة تجعلنا نحني الرؤوس والقلوب انبهاراً. سامحنا عندما نشارك ملخس في هجومه، وبطرس في تسرُّعه. وهبنا أن نرى يدك في قدرتها ومحبتها تُعيد إلينا ما ضاع منا أثناء ضلالنا عن طريقك. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- اذكر سببين يبرهنان أن المسيح هو بنفسه الشخص الذي قبضوا عليه، وليس شخصاً آخر غيره.

2- اذكر أربع بركات نتجت عن شفاء أذن ملخس.

3- ما معنى اسم «ملخس»؟ وكيف يتعارض اسمه مع عمله؟

4- هل غيَّرت معجزة المسيح موقف ملخس منه؟ لماذا؟

5- ما معنى قول المسيح: «يكفي» عندما قال التلاميذ له: «هنا سيفان»؟

6- اكتب تعليقاً على قول المسيح: «الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون».

7- من هذه المعجزة اشرح ضرورة الصليب.

المعجزة الثامنة والعشرون

صيد 153 سمكة

«1بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضاً يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتّلاَمِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبَرِيَّةَ. ظَهَرَ هَكَذَا: 2كَانَ سِـمْعَانُ بُطْـرُسُ
وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ وَنَثَنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ وَابْنَا زَبْدِي وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تلاَمِيذِهِ مَـعَ بَعْـضِهِمْ.
3قَالَ لَهُمْ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لأَتَصَيَّدَ». قَالُوا لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضاً مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا الـسَّفِينَةَ
لِلْوَقْتِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُمْسِكُوا شَيْئاً. 4وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. 5فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غِلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَاماً؟». أَجَابُوهُ: «لاَ!» 6فَقَالَ لَهُمْ: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ
إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الأَيْمَنِ فَتَجِدُوا». فَأَلْقَوْا وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثْرَةِ السَّمَكِ. 7فَقَالَ ذَلِكَ التِّلْمِيذُ
الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ». فَلَمَّا سَمِعَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ اتَّزَرَ بِثَوْبِهِ لأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانـاً
وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ. 8وَأَمَّا التّلاَمِيذُ الآخَرُونَ فَجَاءُوا بِالسَّفِينَةِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعِيدِينَ عَنِ الأَرْضِ إِلاَّ نَحْـوَ
مِئَتَيْ ذِرَاعٍ وَهُمْ يَجُرُّونَ شَبَكَةَ السَّمَكِ. 9فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الأَرْضِ نَظَرُوا جَمْراً مَوْضُوعاً وَسَـمَكاً مَوْضُـوعاً
عَلَيْهِ وَخُبْزاً. 10قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «قَدِّمُوا مِنَ السَّمَكِ الَّذِي أَمْسَكْتُمُ الآنَ». 11فَصَعِدَ سِـمْعَانُ بُطْـرُسُ وَجَـذَبَ
الشَّبَكَةَ إِلَى الأَرْضِ مُمْتَلِئَةً سَمَكاً كَبِيراً مِئَةً وَثَلاَثاً وَخَمْسِينَ. وَمَعْ هَذِهِ الْكَثْرَةِ لَمْ تَتَخَرَّقِ الشَّبَكَةُ. 12قَـالَ لَهُـمْ
يَسُوعُ: «هَلُمُّوا تَغَدَّوْا». وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ التّلاَمِيذِ أَنْ يَسْأَلَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الرَّبُّ. 13ثُمَّ جَاءَ
يَسُوعُ وَأَخَذَ الْخُبْزَ وَأَعْطَاهُمْ وَكَذَلِكَ السَّمَكَ. 14هَذِهِ مَرَّةٌ ثَالِثَةٌ ظَهَرَ يَسُوعُ لِتلاَمِيذِهِ بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ.
15فَبَعْدَ مَا تَغَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلاَءِ؟» قَالَ لَـهُ:
«نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ٱرْعَ خِرَافِي». 16قَالَ لَهُ أَيْضاً ثَانِيَةً: «يَـا سِـمْعَانُ بْـنَ يُونَـا
أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ٱرْعَ غَنَمِي». 17قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: «يَا سِمْعَانُ بْـنَ
يُونَا أَتُحِبُّنِي؟» فَحَزِنَ بُطْرُسُ لأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: أَتُحِبُّنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي
أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ٱرْعَ غَنَمِي. 18اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي
حَيْثُ تَشَاءُ. وَلَكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ». 19قَالَ هَذَا مُشِيراً إِلَى أَيَّةِ
مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يُمَجِّدَ اللَّهَ بِهَا. وَلَمَّا قَالَ هَذَا قَالَ لَهُ: «ٱتْبَعْنِي». 20فَالْتَفَتَ بُطْرُسُ وَنَظَرَ التِّلْمِيذَ الَّذِي كَـانَ
يَسُوعُ يُحِبُّهُ يَتْبَعُهُ وَهُوَ أَيْضاً الَّذِي اتَّكَأَ عَلَى صَدْرِهِ وَقْتَ الْعَشَاءِ وَقَالَ: « يَا سَيِّدُ مَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُكَ؟» 21فَلَمَّا
رَأَى بُطْرُسُ هَذَا قَالَ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ وَهَذَا مَا لَهُ؟» 22قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّـى أَجِـيءَ
فَمَاذَا لَكَ؟ اتْبَعْنِي أَنْتَ». 23فَذَاعَ هَذَا الْقَوْلُ بَيْنَ الإِخْوَةِ: إِنَّ ذَلِكَ التِّلْمِيذَ لاَ يَمُوتُ. وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لاَ
يَمُوتُ بَلْ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ؟» (يوحنا 21: 1–23).

تُذكرنا هذه المعجزة بأخرى جرت قبلها بثلاث سنوات، وردت في إنجيل لوقا 5، عندما صرف بعض التلاميذ ليلة كاملة في محاولة الصيد دون أن يصيدوا شيئاً، فطلب المسيح منهم أن يبعُدوا إلى عمق البحيرة ويُلقوا شباكهم للصيد، فامتلأت سفينتهم حتى استدعوا آخرين ليساعدوهم.

جرت المعجزة التي نتأملها الآن بعد قيامة المسيح من الموت، أثناء ظهوره السابع. وكان سبعة من التلاميذ قد قرروا العودة للصيد، بعد أن كانوا قد تفرغوا لخدمة الله، فظهر المسيح لهم ليبارك حياتهم، وليذكرهم باختباراتهم الروحية الماضية، وليُرجع إليهم الثقة به والثقة بنفوسهم، وليُعيد تكليفهم لخدمته وخدمة الإنجيل.

ظهر المسيح لتلاميذه بعد القيامة عشر مرات:

1- ظهر للنساء وهنّ راجعات من القبر (لوقا 24: 9-11).

2- ظهر لمريم المجدلية وحدها (يوحنا 20: 11-18).

3- ظهر لبطرس وحده (1كورنثوس 15: 5).

4- ظهر لتلميذين منطلقين إلى عمواس (لوقا 24: 13-35).

5- ظهر للرسل في غياب توما، في العلية (لوقا 24: 36-49).

هذه المرات الخمس ظهر فيها المسيح لتلاميذه في أورشليم، أو بالقرب منها، يوم الأحد الذي قام فيه من بين الأموات.

6- ظهر للتلاميذ في العلية ومعهم توما (يوحنا 20: 24-29).

7- ظهر لسبعة من الرسل عند بحيرة طبرية، حيث جرت المعجزة التي نتأملها الآن (يوحنا 21: 1-24).

8- ظهر للأحد عشر رسولاً مع خمسمئة أخ على أحد جبال الجليل (متى 28: 16-20 و1كورنثوس 15: 6).

9- ظهر ليعقوب (1كورنثوس 15: 7).

10- ظهر للأحد عشر رسولاً في أورشليم وقت صعوده (أعمال 1: 3-8)

وكان الظهور السابع للمسيح عند بحيرة طبرية تحقيقاً لوعد المسيح أنه سيلتقي بالتلاميذ في الجليل. ولكنه في الوقت نفسه هو الظهور الثالث لمجموعة التلاميذ، فقد كان ظهوره الأول والثاني في أورشليم، في العلية، مرة وتوما ليس معهم. ومرة أخرى وتوما معهم.

وتُسمى بحيرة طبرية بتسميات مختلفة، منها بحر طبرية، وبحر الجليل، وبحيرة جنيسارت. وقد أخذت اسم «طبرية» من مدينة طبرية المبنية على شاطئها، نسبة لطيباريوس قيصر. وما أكثر ما جرى على مياه طبرية من معجزات وذكريات:

* على مائها وقف المسيح في قارب يعلّم مَثل الزارع (متى 13: 1-9)

* على ضفافها أشبع خمسة آلاف (متى 14: 14-21)

* أسكت رياحها بكلمة منه (مرقس 4: 35-41).

* سار على مائها وجعل بطرس يسير عليه (متى 14: 35-41)

* منها صاد بطرس سمكة في فمها إستار (متى 17: 24-27)

* على شواطئها شُفي اللجئون (مرقس 5: 1-20).

* على ضفافها كانت مدينة كورزين وبيت صيدا وكفرناحوم التي رأت الكثير من معجزاته.

* في بدء خدمته، يوم دعا أربعة من تلاميذه، أجرى معجزة صيد سمك (لوقا 5: 1-11).

ولا زال المسيح اليوم يتعامل معنا حيث نحن، يسدد احتياجاتنا، بمعجزة تلو معجزة، لأنه الحي، المُقام من الأموات، الذي رفعه الله، والذي نتوقع مجيئه ثانية إلى أرضنا.

أولاً: المحتاجون والمعجزة

عاد سبعة من التلاميذ بدعوة من بطرس إلى بحيرة طبرية للصيد، لأن لكل واحد حرفته، وقد شاركهم الرسول بولس في ممارسة حرفته، وهي صُنع الخيام، وقال: «وَلاَ أَكَلْنَا خُبْزاً مَجَّاناً مِنْ أَحَدٍ، بَلْ كُنَّا نَشْتَغِلُ بِتَعَبٍ وَكَدٍّ لَيْلاً وَنَهَاراً، لِكَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ» (2تسالونيكي 3: 8).

ولم تكن عودة التلاميذ السبعة للصيد نكسة دينية أو هروباً وردَّة عن الخدمة، ولكنهم لم يريدوا أن يصرفوا أيامهم في كسل، فقرروا أن يعملوا ليقتلوا الملل الذي قد يتسرب إليهم من الانتظار، لأنهم لم يكونوا يعلمون متى يأتي المسيح لملاقاتهم. ثم أن الصيد سيوفر لهم شيئاً من المال يتعيَّشون منه.

1- قضوا ليلة صيد فاشلة:

بالرغم من فشلهم لم يكونوا وحدهم، بل كانت عينا الرب عليهم. ربما نظن في آلامنا وعذابنا وفشلنا أننا وحدنا، لكن هذا ليس صحيحاً، لأن عيني حبيبنا تراقباننا، ولا بد أن يطلع الصباح. فهو يعرف ما نحن فيه، ويمينه ستمتد إلينا بالبركة في اللحظة التي يراها هو مناسبة. إنه لا يتـــأنى علينا بمعنى أنه يهملنا، لكن لأن عنده توقيتاً مباركاً حكيماً.

2- لم يعرفوا المسيح عندما جاءهم:

يقول القديس يوحنا: «وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ» (آية 4).

لقد حدث تغيير في هيئة المسيح الخارجية بعد قيامته من بين الأموات، لأنه أخذ جسد المجد، وهو «الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ» (فيلبي 3: 21). ولهذا السبب لم تعرفه مريم المجدلية عندما رأته عند القبر فإنها «الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفاً، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ» (يوحنا 20: 14). وللسبب نفسه لم يعرفه تلميذا عمواس «وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا، وَلَكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ» (لوقا 24: 15، 16).

3- على كلمته ألقوا الشبكة:

عندما أصدر المسيح الأمر إليهم أطاعوه، فصادوا سمكاً كثيراً. «عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ الْبُكَاءُ، وَفِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ» (مزمور 30: 5) وهذا ما حدث مع التلاميذ. وفي مزمور 143: 8 يقول داود: «أَسْمِعْنِي رَحْمَتَكَ فِي الْغَدَاةِ، لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. عَرِّفْنِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَسْلُكُ فِيهَا، لأَنِّي إِلَيْكَ رَفَعْتُ نَفْسِي» لأنه قال: «لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ. حَتَّى إِنَّنَا نَقُولُ وَاثِقِينَ: الرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ؟» (عبرانيين 13: 5، 6).

كان التلاميذ محتاجين إلى نفقات رحلة سفرهم إلى أورشليم، فدبَّر المسيح احتياجهم كله من السمك الذي صادوه.

4- صاد التلاميذ 153 سمكة كبيرة:

يحدد الإنجيل عدد السمك الذي صادوه. وهناك تفاسير كثيرة تشرح المقصود من عدد السمك:

(أ) ذكر الشاعر اليوناني «أوبيان» في إحدى قصائده، في وقت معاصر لحدوث هذه المعجزة، أن أنواع السمك المعروفة في العالم 153 نوعاً. ويقول المفسرون إن صيد السمك بهذا العدد يعني أن الرب يقول للتلاميذ: ستصيد شبكتكم الروحية كل أنواع الناس «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ» (متى 28: 19). وهذا ما قال سفر الرؤيا إنه حدث: «بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْحَمَلِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ، وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: الْخَلاَصُ لإِلَهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ» (رؤيا 7: 9، 10).

(ب) يصوّر مثَل الشبكة المطروحة في البحر التي تحتوي على سمك جيد وسمك رديء (متى 13: 47-49) الكنيسة المنظورة بمن فيها من مؤمنين وغير مؤمنين. لكن هذه الشبكة التي صادت 153 سمكة جيدة ترمز إلى الكنيسة غير المنظورة، التي كل أعضائها مقدسون. وفي اليوم الأخير تُجذب هذه الشبكة الممتلئة بالمؤمنين ولا يضيع منهم واحد! فتكتمل الكنيسة كلها «لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ» (أفسس 5: 27).

5- عرفوه:

عندما صاد التلاميذ الأسماك عرفوه. وكان أول من عرفه يوحنا، التلميذ الذي كان يسوع يحبه. وكان بطرس أول من ألقى بنفسه في الماء ليلتقي بالمسيح! ونلاحظ فرق المواهب بين الرسل: موهبة التعرُّف القلبي لدى يوحنا بسبب عُمق معرفته بالرب، فميَّز صوت المسيح وعمله. أما بطرس فكان أسرع في العمل، فألقى بجسده ونفسه نحو المسيح سابحاً على الماء. والرب يعطي مواهب لكل واحد كما يختار هو، بحسب ما يحسن في عينيه، لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح. «فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ» (1كورنثوس 12: 4).

6- تعلَّموا:

(أ) أدرك التلاميذ في تلك الليلة أنهم بدون المسيح لا يقدرون أن يصيدوا شيئاً. ونحن نحتاج أن ندرك أنه بدون المسيح يستحيل أن نصيد نفوساً. نجرِّب أن نفعل شيئاً بقدراتنا وذكائنا وترتيباتنا وإمكانياتنا وحُسن إدارتنا فنفشل. ونتعلم مع التلاميذ درس تلك الليلة الفاشلة وذلك الصباح الناجح: أننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً، ولكننا معه نستطيع كل شيء لأنه يقوينا (يوحنا 15: 5 وفيلبي 4: 13).

(ب) يذكرنا جر الشبكة إلى الشاطئ بما حدث معنا يوم جذبنا المسيح من مياه الضياع إلى شاطئ الأمان في الحياة الجديدة معه. هذا ما حدث مع ثلاثة آلاف نفس جذبتها شباك الإنجيل (الخبر المفرح) في يوم الخمسين، إلى الكنيسة. وهذا ما نراه في كل اجتماع تتعرَّف فيه النفوس الضالة إلى راعي النفوس العظيم، ربنا يسوع المسيح.

(ج) ويذكرنا جر الشبكة إلى الشاطئ باليوم الأخير، عندما يجمعون السمك الجيد إلى أوعية، وأما الأردياء فيطرحونها خارجاً (متى 13: 47-50). فعلى شاطئ الأبدية يعطي كل واحد منا حساباً عن نفسه. فماذا سيكون حالك؟

ثانياً: المسيح والمعجزة

1- المسيح يفتح باب الكلام معهم:

بدأ بسؤالهم: «يَا غِلْمَانُ، أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَاماً؟» (آية 5). والإدام هو ما يؤكل مع الخبز، والمقصود به هنا السمك. لقد أخذ المسيح زمام المبادرة في الاتصال بتلاميذه. عندما سلَّمنا حياتنا للرب واختبرنا الحياة الجديدة، كانت المبادرة منه، فمحبته هي التي امتدت من أعلى لتخلصنا من خطيتنا، فأخذت يدنا في يده ورفعتنا، وهكذا قادنا إلى الخلاص.

ويد الرب ما زالت ممدودة برحمة غير محدودة، وهو ينتظر أن نمدَّ يدنا لنأخذ البركة المُعدَّة لنا «كَأْسَ الْخَلاَصِ أَتَنَاوَلُ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو» (مزمور 116: 13). وعندما نأخذ يقول لنا: «إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا 16: 24).

2- المسيح العالم بكل شيء:

«يَا غِلْمَانُ، أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَاماً؟» (آية 5). إنه دائماً يضع إصبعه تماماً على نقطة احتياجنا. ومهما كانت الحاجة فهو يعرفها من قبل أن نسأله، فيسدد كل احتياج وينجي من كل ضيق وفشل، ويُعطي بغنى لنتمتع.
ولما أجاب التلاميذ أن لا إدام عندهم، قال: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الأَيْمَنِ فَتَجِدُوا» (آية 6). لم يعرف الخبراء المتخصصون في الصيد الذين صرفوا عمرهم على بحيرة طبرية، أين يوجد السمك، ولكنه هو العارف بالاحتياج، وأين يوجد هذا الاحتياج! وعندما نسمع صوته ونتجاوب معه وننتظر توجيهه لنا، يرينا أين نجد البركة التي نحتاج إليها! جرِّب بنفسك أن تحصل على بركته.

3- المسيح المحب الحنان:

كان التلاميذ مُتعَبين بسبب عملهم طوال الليل، وفي الصباح كانوا جائعين، ولم يعطهم العالم شيئاً. ولكن المسيح المحب أعطاهم الصيد الوفير من البحر، ووجدوا «جَمْراً مَوْضُوعاً وَسَمَكاً مَوْضُوعاً عَلَيْهِ وَخُبْزاً» (آية 9). إنها لمسات محبة من سيدٍ حنون لإنسان مُتعَب!
هذا يعني أن المسيح فكر في كل احتياجاتهم العاجلة، بكل أبعادها، وفي احتياجاتهم على المدى البعيد بكل تفاصيلها. وعندما نصل إلى المكان والوقت الذي نحتاج فيه، نجد أنه قد دبر كل شيء بطريقة أفضل وأحسن مما كنا نطلب أو نفتكر!
يتساءل المرنم: «هَلْ يَقْدِرُ اللهُ أَنْ يُرَتِّبَ مَائِدَةً فِي الْبَرِّيَّةِ؟» (مزمور 78: 19). ونحن نسأل السؤال نفسه: أليست الحياة كلها برية؟!
وتجيئنا الإجابة من رحمة الله وحنانه. وكنموذج لها نذكر ما فعله مع نبيه إيليا، في موقف ضعُف فيه هذا النبي البطل أمام تهديد الملكة الشريرة إيزابل، فهرب من ميدان خدمته إلى البرية. وأشفق الله عليه فأرسل له ملاكاً يحمل طعاماً: «فَتَطَلَّعَ وَإِذَا كَعْكَةُ رَضْفٍ وَكُوزُ مَاءٍ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ رَجَعَ فَاضْطَجَعَ. ثُمَّ عَادَ مَلاَكُ الرَّبِّ ثَانِيَةً فَمَسَّهُ وَقَالَ: قُمْ وَكُلْ لأَنَّ الْمَسَافَةَ كَثِيرَةٌ عَلَيْكَ. فَقَامَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ» (1ملوك 19: 6-8). وأسندته تلك الوجبة حتى وصل إلى جبل حوريب.

4- المسيح الذي يحترم مقدراتنا:

بعد أن رأى التلاميذ السمك الموضوع على الجمر والخبز قال المسيح لهم: ««قَدِّمُوا مِنَ السَّمَكِ الَّذِي أَمْسَكْتُمُ الآنَ» (آية 10) ليُشعرهم بالإنجاز! وهو يشجعنا لنقدم له مما سبق أن أعطانا، فنقول: «لأَنَّ مِنْكَ الْجَمِيعَ، وَمِنْ يَدِكَ أَعْطَيْنَاكَ!» (1أخبار 29: 14). صحيح أن الرب يفعل كل شيء، لكنه يريد أن يشركنا معه في ما يعمله هو لنحترم نفوسنا ونثق فيه.
وتقول آية 13: «ثُمَّ جَاءَ يَسُوعُ وَأَخَذَ الْخُبْزَ وَأَعْطَاهُمْ وَكَذَلِكَ السَّمَكَ». فعندما نتردد نحن في التقدم إليه يتقدم هو إلينا، ويقدم لنا ما نحتاجه، لنطمئن ونجد الأمان.

5- المسيح يعلّمنا:

(أ) أننا بدونه لا يمكن أن نجد شبعاً.
(ب) أن قلوبنا تلتهب حباً له كلما أدركنا محبته وعظمته.

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك لأنك تأتي إلينا دوماً في فشلنا ويأسنا لتُلهمنا وتُعيد لنا الشجاعة والأمل. أرنا معجزة جديدة تعقب معجزاتك السابقة معنا، ولتكن لنا حياة الانتظار الراجي والثقة المطمئنة. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- كيف نقول إن هذه المعجزة حدثت وقت الظهور السابع للمسيح، ووقت الظهور الثالث؟
2- اذكر ثلاث حوادث هامة جرت عند بحيرة طبرية.
3- لماذا عاد التلاميذ السبعة للصيد؟
4- لماذا لم يعرف التلاميذ المسيح لما وقف على الشاطئ؟
5- اذكر درساً نتعلمه من صيد 153 سمكة.
6- يعلّمنا جر الشبكة للشاطئ درسين، ما هما؟
7- «هَلْ يَقْدِرُ اللهُ أَنْ يُرَتِّبَ مَائِدَةً فِي الْبَرِّيَّةِ؟». اشرح إجابتك.